السبت 19 شباط 2022
العدد 4565 السنة السادسة عشرة
Samedi 19 février 2022 nº 4565 16ème année

24 صفحة
5000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

أنسي الحاج
لا يحضر إلا مايغيب

مقاتلو الحرب الناعمة

«صندوق تغيير الأنظمة»: NED الوجه الآخر لـ CIA
«هيا بنا» إلى الإعلام الشيعي المعارض!
[4 - 7]

المقاومة تتحدّى: تحليق آمن فوق فلسطين [2]

(هيثم الموسوي)

البلاد

من النهر إلى البحر
النقب ليس ميْتاً...
«ديرتنا» التي عمّرناها قبل أن يولدوا
[10]

تحت الاحتلال
متاهة التسوّق «أونلاين»...
حتى «علي إكسبرس» ينغّص على الفلسطينيين!
[13]

ذاكرة الأرض
مدينةٌ لا يطّلع عليها أحد
آثار غزة... «كان صرحاً من خيال فهوى»
[12]

قضية اليوم

صفعة جديدة للعدوّ: طائرات المقاومة تخترق سماء فلسطين وتعود بأمان

شرحت المقاومة الإسلامية، بالعمل المباشر، ما أعلنه الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله قبل يومين عن قدرات المقاومة في ما يتعلّق بالمسيّرات، وأقدمت على خطوة هي الأولى من نوعها منذ سنوات، تمثّلت في إرسال طائرة مسيّرة متطورة من نوع «حسان» في رحلة استطلاع داخل فلسطين المحتلة، جالت فيها على طول 70 كلم فوق المنطقة الشمالية وعادت الى قواعدها بسلام.

طوال نهار أمس، كان العدوّ منشغلاً في الحديث عن فشل منظومته العسكرية والتقنية في إسقاط الطائرة أو السيطرة عليها، لكن، بعد وقت قصير من صدور البيان الرسمي عن المقاومة حول العملية، بادر العدو الى إرسال طائرات حربية في طلعة ترهيب فوق بيروت والضاحية الجنوبية، كرد على العملية وفي محاولة التعويض عن الفشل العملاني.

وكشفت ردود فعل العدو، الإعلامية والشعبية، عن إدراك بأنّ ما جرى يتجاوز عملية تحليق تقليدية لطائرة استطلاع، ويجري التعامل مع الحدث على أنه «عمل تأسيسي» يحمل في طيّاته رسائل متنوعة، تعكس القدرة والردع، وأن حزب الله قرر الارتقاء في التعبير عنها من موقف سياسي الى خطوة عملياتية نفذها سلاح الجو التابع للمقاومة الإسلامية.

يشار الى أن المقاومة أطلقت اسم «حسان» على الطائرة، تيمّناً باسم الشهيد حسان اللقيس المسؤول السابق عن السلاح المسيّر في المقاومة الذي اغتالته وحدة كوماندوس إسرائيلية في الضاحية منتصف ليل الرابع من كانون الأول عام 2013. ويبدو أن الطائرة من جيل متطور من الصناعات التي تقوم بها المقاومة في لبنان. وقد عمل الشهيد اللقيس لعقدين على الأقل في تطوير البرامج التقنية واستقدام التكنولوجيا التي تستخدم في هذا النوع من الأسلحة الى جانب أسلحة أخرى.

نجاح مهمة الطائرة في استطلاع أهداف داخل فلسطين المحتلة وعودتها سالمة، أحدث إرباكاً لدى أجهزة الجيش وفي المستويين السياسي والإعلامي في إسرائيل. وانعكس ذلك على طريقة التعاطي مع الحدث. فتعددت بيانات الجيش الذي بدا لوهلة كما لو أنه لم يكن يعلم بداية ماذا يحصل. إذ أشار في بيانه الأول الى تفعيل منظومة القبة الحديدية واستدعاء طائرات ومروحيات مقاتلة، لكنه لم يشر الى إسقاط طائرة حزب الله. ثم عاد وأكد أنه فقد أثرها، ليعترف في بيان ثالث بفشله في اعتراضها.

> باءت بالفشل كل المحاولات والأدوات والمنظومات التي استخدمها العدو لإسقاط الطائرة

ويكشف استدعاء طائرات سلاح الجو والمروحيات بعد تفعيل منظومة القبة الحديدية، أنه جرت محاولات متعددة الأساليب ومتنوعة الأدوات وبوتيرة متتالية لإسقاط الطائرة باءت جميعها بالفشل، الأمر الذي يكشف عن مستوى تطور الطائرة التي يبدو أن حزب الله أراد إفهام مؤسسة القرار في كيان العدو قدرته على اختراق كل التكنولوجيا التي يمتلكها، رغم التطوير الذي أدخله على منظوماته ورغم أنه في ذروة جهوزيته. وتؤكد تقارير إعلامية أنه على وقع أصداء الحدث وتداعياته، سيشكل جيش العدو لجنة تحقيق تهدف الى فهم ما جرى.

الإرباك الذي أظهرته بيانات الجيش انعكس في وسائل الإعلام، فنقلت روايات متضاربة حول عدد الطائرات التي اخترقت الأجواء الفلسطينية، وما إن كان قد تم اعتراضها. ولم يكن واضحاً لدى وسائل إعلام العدو في البداية ما إن كانت المسيّرة مسلحة أو أنها استطلاعية فقط. لكن المعطى الإضافي الذي يفتح مروحة من الأسئلة التي لا إجابة عنها حتى الآن، أنه في حال عدم رصد الطائرات عبر أجهزة الرادار يعني ذلك أن حزب الله قادر على اختراق منظومات الدفاع الجوي بدون أن تكتشفها.

وفي حال رصد الطائرة بداية ــ بحسب جيش العدو ــ كيف اختفت عن راداراته ولماذا، وما هي الرسائل التكنولوجية لذلك؟ وفي كل الأحوال، هذه الطائرة أن تكون انتحارية. لكن حزب الله لم يرد ذلك، ولو أراد لفعل. وتوقفت القناة (13) عند إعلان حزب الله المسؤولية عن العملية، رغم أنه كان في إمكانه تجاهلها، في إشارة الى أن هذا الإعلان ينطوي بدوره على رسالة محددة موجهة الى إسرائيل.

من جانب آخر، عرض إعلاميون في كيان العدو للحدث بوصفه انتصاراً لحزب الله في معركة الوعي القائمة بين الطرفين، وخاصةً أنه جرى أيضاً استدعاء طائرات إف 15، وإطلاق صافرات الإنذار وتفعيل القبة الحديدية التي فشلت في إسقاطها، وهو ما أدى الى إحراج الجيش، وإلى إذا «لم يكن الجيش جازماً فسوف تتوسع التصدعات». أما القناة (12) في التلفزيون الإسرائيلي فقدّرت أن الطائرة هدفت الى جمع معلومات استخبارية. فيما لفتت قناة «كان» الى أن الطائرة وصلت على ما يبدو الى نقطة ما في شمال بحيرة طبريا، قبل أن تعود الى لبنان. وتوقف آخرون عند ما اعتبروه «أخطر أبعاد» الحدث، بالإشارة الى أنه كان بإمكان هذه الطائرة أن تكون انتحارية. لكن حزب الله لم يرد ذلك، ولو أراد لفعل. وتوقفت القناة (13) عند إعلان حزب الله المسؤولية عن العملية، رغم أنه كان في إمكانه تجاهلها، في إشارة الى أن هذا الإعلان ينطوي بدوره على رسالة محددة موجهة الى إسرائيل.

من جانب آخر، عرض إعلاميون في كيان العدو للحدث بوصفه انتصاراً لحزب الله في معركة الوعي القائمة بين الطرفين، وخاصةً أنه جرى أيضاً استدعاء طائرات إف 15، وإطلاق صافرات الإنذار وتفعيل القبة الحديدية التي فشلت في إسقاطها، وهو ما أدى الى إحراج الجيش، وإلى انتشار حالة من الرعب بين سكان المستوطنات الشمالية الذين سارعوا للنزول الى الملاجئ، ما دفع الجيش الى محاولة طمأنة المستوطنين من خلال الإعلان عن العودة الى الحياة الروتينية.

على أن العدو لجأ الى ردّ سريع تمثّل في إرسال طائرات حربية لتحلّق على علوّ منخفض فوق بيروت والضاحية بقصد إثارة الرعب، ولإيصال رسالة بأنّ سلاح الجو الإسرائيلي لا يخشى المعادلات التي يحاول حزب الله رسمها. لكن الأمر بدا في رأي الإسرائيليين أنفسهم تعبيراً عن التخبط في المستوى السياسي حول كيفية الرد. وقال معلقون إنه إذا اقتصر الرد على هذا المستوى يعني «أننا أمام معادلة إشكالية». فيما اعترف آخرون بأن انطلاق الطائرة من لبنان يعقّد المشهد أمام إسرائيل لجهة الرد الذي ينبغي أن تنتهجه، في إشارة الى القيود والمخاوف من أن أيّ تجاوز للحدود سيُقابل بردّ مضادّ من قبل حزب الله.

(الأخبار)

(أرشيف)

على الغلاف

النقابة لا تنتفض: «التحالف» والسلطة يغرقان في العجز والإنكار

محمد وهبة

النقابة لا تنتفض. هو خلاصة ما حصل منذ سيطرة تحالف «النقابة تنتفض» على مجلس نقابة المهندسين في بيروت، في الانتخابات الأخيرة. طبعاً، هذا لا يعني أن قوى السلطة التي كانت تسيطر على النقابة سابقاً لديها أي نيات إصلاحية، بل هي أصل المشكلة وتبقى كذلك. لكن تتشارك غالبية قوى «النقابة تنتفض» مع قوى السلطة التقليدية، في سلوك الإنكار. فالائتلان لا يعترفان بأن هناك أزمة أطاحت أموال النقابة، وأن الخدمة الأساسية التي تقدّمها هذه النقابة لمنتسبيها وعائلاتهم، وكانت تميّزها عن باقي شرائح اللبنانيين، هي خدمة التأمين الصحي. تقديم هذه الخدمة يتطلب أموالاً لا تملكها النقابة في إطار الاستدامة. فالمبلغ المتوافر في صناديق النقابة الذي يصل إلى 450 مليون دولار محجوز لدى المصارف وتقلصت قيمته إلى 50 مليون دولار، وبالتالي لم يعد كافياً لتقديم الخدمة التمييزية لفترة طويلة. كذلك حصل الإنكار أيام مجلس النقابة السابق برئاسة جاد ثابت الذي دُعي إلى اجتماعات عدّة منذ 2018، واطلع على الأزمة المقبلة واستمع إلى شروحات وافية عن ضرورة حماية أموال النقابة... إلا أنه رفض القيام بأي خطوة في هذا المجال وسانده في ذلك أعضاء النقابة الذين ينتمون إلى مختلف قوى السلطة.

وإلى جانب الإنكار، فإن العجز إحدى سمات مدّعي الانتفاضة وقوى السلطة أيضاً. فكما عجزت قوى السلطة عن حماية أموال صناديق النقابة، يُظهر التحالف المسيطر حالياً عجزاً مماثلاً يتعلق بالامتناع عن محاولة استعادة هذه الأموال. فمنذ تسلّم التحالف بقيادة عارف ياسين مجلس النقابة، رفض أي خطوة احتجاجية في وجه المصارف. والطرح الذي قُدم من أجل فتح معركة مع المصارف في محاولة لاسترجاع الأموال، اعتبر طرحاً راديكالياً، إذ فضلت غالبية قوى التحالف التعامل مع المصارف في إطار التسوية وتسوّل الحقوق بدلاً من انتزاعها. الخطوة الوحيدة التي قام بها ياسين في وجه المصارف هي مراسلتهم، طالباً اعتبار أموال الصناديق عائدة إلى المهندسين، فجاء الردّ بأن المصارف تتعامل مع النقابة باعتبارها كياناً واحداً مثل أي شركة. وعندما اشترطت المصارف إيداع المبالغ النقدية لتسديد رواتب الموظفين والعاملين في النقابة، أو تسديد هذه الرواتب من حسابات النقابة بعد حسم عليها، لم يحرّك التحالف ساكناً، بل غرق في مناقشات لا طائل منها. والأمر نفسه يحصل اليوم في مناقصة التأمين للمهندسين الـ 120 ألفاً (مع عائلاتهم). فالتحالف يغرق في مناقشة دفتر الشروط ويعدّل عليه ويسأل عن فضّ عرض وحيد بدلاً من إعادة توجيه البوصلة نحو أزمة الأزمة: المصارف. هناك ترقد أموال النقابة بلا مراسم دفن، بينما لم يعد لدى المهندسين سوى 8 أيام قبل انتهاء تأمينهم الصحي. هذه الأموال هي التي قد تنقذ المهندسين إذا انتفضت نقابتهم.

مناقصة التأمين في «المهندسين»: مجلس النقابة منقسم

لم تنجح نقابة المهندسين في بيروت، أمس، في «فضّ» سيرة مناقصة تلزيم برنامج الاستشفاء للمهندسين المنتسبين إليها. فبعد تأجيلين بسبب عزوف معظم الشركات عن المشاركة، ارتأت النقابة أن تعقد عصر اليوم اجتماعاً استثنائياً لاتخاذ قرار بشأن العارض الوحيد المتقدم «ميدغلف»

رأفت حمية

للمرّة الثانية على التوالي، تقدّم عارض وحيد للمشاركة في مناقصة تلزيم برنامج الاستشفاء لنقابة المهندسين في بيروت. في المرّة الأولى، انفردت شركة GMI بتقديم عرض، وفي المرة الثانية قدّمت شركة "ميدغلف" عرضاً وحيداً، ما أغرق النقابة في أزمة متفرّعة من أزمة إفلاسها. فمجلس النقابة منقسم بين ثمانية أعضاء يطالبون بإعادة المناقصة، وثمانية يطالبون بتلزيم "ميدغلف"، فيما يقف النقيب عارف ياسين في الوسط بصوته المرجح.

بحسب مصدر في النقابة، فإن انسحاب GMI من المنافسة جاء بحجّة قيام النقابة بخفض درجة تصنيف معهد التأمين إلى "B"، ما ترك الأمر مفتوحاً على خيارات محصورة بالموافقة على العرض الوحيد من "ميدغلف"، أو إعادة المناقصة للمرة الثالثة. وهذا هو الأمر الذي يفترض أن يبتّه مجلس النقابة عصر اليوم في جلسة استثنائية.

سابقاً، كانت شركات التأمين تتهافت على الفوز بعقد التأمين مع نقابة المهندسين نظراً إلى الأرباح التي كان يحققها للشركة الفائزة، أما اليوم، فإن خفوت الحماسة مردّه إلى أن النقابة لم تدرك بعد الانعكاسات الفعلية للانهيار. وهذا كان محور جدال واسع في مجلس النقابة في الأسابيع الماضية. إذ اعترضت شريحة واسعة من المهندسين على أداء مجلس النقابة الذي سيطر عليه تحالف "النقابة تنتفض"، مشيرة إلى «قلّة كفاءة» إدارة هذا الملف وسط إرباك يدفع الجميع إلى تقاذف المسؤوليات على الآخرين. وهذا الأمر لم يظهر مباشرة بعد انتخاب النقيب ياسين وسيطرة التحالف الذي ينتمي إليه على مجلس النقابة، بل كان جمراً تحت الرماد انفجر لهيبه لحظة إعداد دفتر شروط التأمين، وهي الخدمة الأهمّ التي كانت تقدّمها النقابة للمهندسين على مدى السنوات الماضية.

خلال مرحلة إعداد دفتر الشروط، جاءت الاعتراضات على التعديلات التي طرحت على بنوده لجهة نقطتين جوهريتين، وفق اعتبارات المعترضين:

ـ الأولى، إن التعديلات تمسّ "مبدأ التعاضد" المعمول به في النقابة. ففي هذه النقطة بالذات، تطرح النقابة إحلال مبدأ آخر يقوم على تصنيف المهندسين إلى ثلاث درجات تربط خيارات المهندس تبعاً «لما هو قادر على الالتزام به". ما يعني التمييز بين مهندسين من ذوي القدرات المالية وآخرين بقدرات أضعف. ما يقود عملياً الى التمييز تبعاً للمبلغ المدفوع. وينتقد مهندسون هذا التوجه الذي يعتمد «مبدأ تأمينياً يصنّف المواطنين على أساس ما يدفعونه ونسف أساس فكرة صندوق التقديمات الاجتماعية».

ــ الثانية، تتعلق بتضمين مبدأ التخمين؛ فعلى أساسه سيتم تقسيم عدد المنتسبين إلى الفئات الثلاث تقديرياً، مثلاً تقدير 40 الف منتسب في الدرجة الأولى، و30 الفاً في الدرجة المختلطة بين الأولى والثانية، و30 الفاً في الدرجة الثانية، أو العكس... بينما لم يرد أي بند يحدّد الأكلاف المفترضة. فهل هذا يعني ترك الأمر للشركات؟

ورغم الانتقادات، مرّ دفتر الشروط، وعلى أساسه فتحت النقابة في 20 كانون الثاني الماضي باب استدراج العروض ضمن مهلة أسبوع. ولم تتقدم سوى شركة GMI رغم أن هناك عدداً أكبر من الشركات سحبت دفتر الشروط وشركة GMI هي نفسها التي كانت تتولى تغطية برنامج الاستشفاء للعام الماضي. يومها، اجتمعت لجنة فضّ العروض ودرست خيارين؛ أحدهما يقضي بفتح عرض شركة GMI بشرط إعادة المناقصة إذا لم تكن الأسعار مناسبة، والثاني بإعادة المناقصة بلا فضّ العرض. في النهاية، اتخذ قرار بإعادة المناقصة.

غير أنه في الجولة الأولى، كان ياسين قد تلقى رسالة من "ميدغلف" لم يفتحها إلا بعد اتخاذ القرار بإعادة المناقصة. الرسالة تضمنت أسباب عزوف الشركة عن المشاركة وأبرزها أنها لم تتمكن من إقناع أي من شركات إعادة التأمين العالمية في المشاركة معها، كما أنها اعتبرت أن الكفالة المصرفية التي تطلبها النقابة والمقدرة بثلاثة ملايين دولار لدى مصرف في الخارج، غير منطقية في ظل ظروف لبنان، مقترحة تعديلات تتناسب مع اعتراضاتها كشرط للمشاركة.

> التعديلات على دفتر الشروط تمسّ «مبدأ التعاضد» وتصنّف المهندسين إلى ثلاث «طبقات»

هنا ولدت تعديلات إضافية؛ منها خفض تصنيف شركة إعادة التأمين بالدرجة B بدل A، واستبدال «مكان» الكفالة المصرفية لتكون في مصرف محلي، على أن تتضاعف قيمة الكفالة بحدود 3 مرات.

لكن التعديلات أثارت اعتراضات إضافية حول جواز تنقيح الشروط على مقاس اقتراحات ميدغلف، علماً بأن المعلومات تشير إلى أن النقابة أهملت كتاباً من شركة «بانكرز» يعرض أسباباً إضافية. وأعرب المعترضون عن تخوّفهم من أن يؤدي خفض شركات إعادة التأمين (معيد التأمين) إلى درجة أدنى، إلى تدنّي مستوى الشركات المتقدمة وارتفاع المخاطر ومن أن تكون الكفالة المحلية قاصرة عن تغطية الأكلاف الفائضة.

(هيثم الموسوي)

ثلاثة صناديق

تملك نقابة المهندسين ثلاثة صناديق أساسية، وهي: التقاعد والتقديمات الاجتماعية وصندوق النقابة. وهي تموّل من الاشتراكات التي يسدّدها المهندسون والرسوم والمبالغ التي تتقاضاها النقابة من رسوم الأمتار ورسوم العقود. والأهم هو صندوق التقديمات الاجتماعية والذي يقدم مساعدات اجتماعية للمهندسين، كما خدمة الاستشفاء (برنامج الاستشفاء)، التي تدفع أكلافها النقابة عبر الصندوق. ويكون الانتساب إلى هذه الخدمة إلزامياً للمهندسين. واختيارياً لعائلاتهم (الزوجة والأولاد)، مع ذلك، عندما يقرر المهندس تأمين عائلته، يصبح انتسابهم إلزامياً. ويقدّر عدد هذه الفئة (مهندسين وعائلاتهم) بـ 100 ألف منتسب.

أما بالنسبة إلى أقارب المهندس (والد ووالدة المهندس، الإخوة، والد ووالدة الزوجة، الموظفون لدى المهندس...)، فانتسابهم يكون اختيارياً من خلال بوالص تأمين يشتريها المهندس مباشرة من شركة التأمين. وإذ لا تخضع هذه الأخيرة لصندوق التقديمات الاجتماعية، إلا أنه تطبق عليها شروط التأمين نفسها. ويقدر عدد هذه الفئة ما بين 20 إلى 25 ألف منتسب.

قضية اليوم | مقاتلو الحرب الناعمة

في الإعلام، تحظر واشنطن بثّ الدعاية الممولة من الحكومة الاميركية والمخصّصة للاستهلاك الخارجي داخل الولايات المتحدة. فقناة الحرة وصوت اميركا وغيرهما من أدوات البروباغندا لا تصلح إلّا لإصلاح الشعوب المتخلّفة التي تهيمن عليها إمبراطورية عصرنا. الامر نفسه ينطبق على «الصندوق الوطني للديموقراطية» (NED). ديموقراطيته الوطنية غير صالحة للاستهلاك المحلي. فهي فقط للنشر في الدول التي تراها واشنطن مارقة. قد تحتاج الحكومة ووسائل الإعلام والناخبون والمرشحون الاميركيون إلى النصائح حول كيفية إدارة العملية الانتخابية بشكل امن وديموقراطي اكثر منّا كي لا تتكرر غزوة الكابيتول التي حدثت العام الماضي. لكن الى ان تلحظ الولايات المتحدة عيوب ديموقراطيتها، فهي لن تنفكّ عن التدخل في ديموقراطية الدول التي لا تعجبها خيارات شعوبها. و«NED» هو إحدى ادوات هذا التدخل

«صندوق الديموقراطية» الأميركي... لعبة تغيير الأنظمة

علي مراد

يرجع تاريخ الاستثمار الأميركي الرسمي في المنظّمات غير الحكومية في ما تسمى «دول العالم الثالث» والدول الخصمة للأميركيين إلى سبعينيات القرن الماضي. رئيس البنك الدولي (1968 - 1981) وزير الدفاع الأميركي الأسبق، المهزوم في فيتنام، روبرت ماكنمارا كان من أول من تحدّثوا علناً عن الفكرة في خطاب worldbank.org/,http://documents1/930801468315304694/curated/en pdf/Address-to-the-Board-of-Governors-by-Robert-S-McNamara. pdf له في مدينة نيروبي الكينية (24 أيلول عام 1973) في اجتماع مجلس محافظي مؤسسة البنك الدولي. يومها، حدّد ماكنمارا السياسة الليبرالية الجديدة القائمة على إعطاء المنظمات غير الحكومية دور الدولة ومؤسساتها، لا سيما دورها التدخّلي في الدورة الاقتصادية، واعتبر أنّ «التجربة تثبت أنّ هناك فرصة أكبر للنجاح إذا وفّرت المؤسسات المشاركة الشعبية والقيادة المحلية والللامركزية في السلطة».

بعد فوز رونالد ريغان بانتخابات الرئاسة عام 1982، دخل إلى البيت الأبيض وفي جعبته ملفات أعدّها له المحافظون الجدد، خصوصاً عرّابهم إفرينغ كريستول، وكبار منظّري المذهب النيوليبرالي أمثال ميلتون فريدمان. صادق ريغان على تأسيس «الصندوق الوطني للديموقراطية» (NED) عام 1983 بعد إقرار قانون تأسيسه في الكونغرس، لتموّل واشنطن عبره، بشكل مركّز، جمعيات ومنظمات غير حكومية تعنى بـ«الديموقراطية» و«حقوق الإنسان» في دول المعسكر الشرقي الذي قادته موسكو.

«الكثير مما نفعله اليوم كانت تفعله سراً وكالة الاستخبارات المركزية قبل 25 عاماً»، قال آلان وينستاين، أحد مؤسّسي NED، وصلة الوصل بين بوريس يلتسن وإدارة جورج بوش الأب بين 1988 و1991. اعتراف وينستاين الوقح والصريح جاء في مقال للصحافي المقرّب من الـ CIA ديفيد إغناطيوس (أيلول 1991) https://www.washingtonpost.com/ /22/09/1991/archive/opinions innocence-abroad-the-new-world--92bb989a-de6e/of-spyless-coups -92bb-99b9-4bb8/462c76b59a16/ كشف فيه معلومات كثيرة عن العمليات السرّية الأميركية لقلب أنظمة الحكم حول العالم.

استثمرت إدارة بيل كلينتون في NED لانقضاض على أنظمة دول أوروبا الشرقية بعد انهيار الاتحاد السوفياتي. وتضخّمت الموازنات المرصودة للصندوق - وغيره من الأذرع - في عهد جورج بوش الابن الذي استثمر مجدّداً في هذا النهج لتعزيز أدوات التأثير الناعم لقلب أنظمة الحكم، بالتوازي مع «الأدوات الصلبة» عبر الغزو المباشر لأفغانستان والعراق. أصبح برنامج عمل المؤسسات الأميركية المعنيّة بالتأثير في ساحات المواجهة مع الأنظمة المصنّفة أميركياً بأنّها «مارقة»، يتطلّب التوسّع والتنويع في البرامج المراد تنفيذها عبر منظمات «المجتمع المدني»، بعدما فتحت تجربة انهيار الاتحاد السوفياتي شهيّة الإمبراطورية الأميركية على استثمار مجد وغير مكلف مقارنة بالحروب العسكرية المباشرة.

لتجنّب تبادل الاتهامات السياسية التي ظهرت بين الحزبين الجمهوري والديموقراطي عقب فضيحة «ووترغيت»، تقرّر في واشنطن أن يُدار عمل NED من قبل الحزبَين، مع وجود قسم خاص لكل منهما داخل المؤسسة، هما: «المعهد الديموقراطي الوطني» (NDI)، و«المعهد الجمهوري الدولي» (IRI). تغيّر اسم المؤسسة مرات عدّة، وكانت إحدى المجموعات التأسيسية له تُدعى «المركز الأميركي للتضامن الدولي في العمل» الذي عُرف باسم «مركز التضامن»، وانبثق الأخير مما سُمّي «معهد النقابات الحرّة» (FTUI) الذي أُسس عام 1977 وأداره الاتحاد النقابي الرئيسي للولايات المتحدة. إلى جانب هذا الهيكل المسمّى زوراً «نقابي»، استحدث العقل النيوليبرالي كياناً موازياً باسم «مركز المشروعات الدولية الخاصة» (CIPE) مثّل بشكل علني مصالح الشركات المملوكة من قبل رأسمالي الحزبَين.

سُجّلت NED كمنظّمة غير ربحية بموجب القسم 501 (c) من «قانون خدمة الإيرادات الداخلية الأميركية». وينصّ هذا القسم على أنّ المنظّمات المؤهلة لهذا التسجيل «ممنوع أن تكون منظّمات عمل سياسي، أي أنه لا يجوز لها محاولة التأثير في التشريع كجزء كبير من أنشطتها، ولا يجوز لها المشاركة في أي نشاط/حملة لصالح أو ضد المرشّحين السياسيين». لكن، وللمفارقة، ولوقاحة الأميركيين، فإن مهمّة NED الأساسية هي التدخّل السياسي في شؤون الدول وقلب أنظمة حكمها وفق مصالحهم.

لعل أولى المهام التي نفّذها الأميركيون عبر NED داخل مناطق النفوذ السوفياتي حصلت في بولندا عبر دعم «حركة تضامن» المناهضة للشيوعية. في بولندا، وفي كثير من بلدان أوروبا الوسطى والشرقية، يشارك NED منذ تسعينيات القرن الماضي مع مؤسسات وأنظمة أخرى كمؤسسات جورج سوروس في تشكيل أنظمة الحكم وفق المصالح الأميركية، عبر «المعهد الجمهوري الدولي» (IRI) و«المعهد الديموقراطي الوطني» (NDI). وذكر الباحثان الأميركيان في جامعة بورتلاند جيرالد سوسمان وساشا كريدر في بحثهما «ثورات القالب: التسويق الأميركي لتغيير الأنظمة في أوروبا الشرقية»، أن أحد مفاتيح هزيمة من تصنّفه واشنطن «زعيماً غير جدير» في أيّ من الجمهوريات السوفياتية السابقة يتمثّل بتوحيد المعارضة المتباينة خلف مرشح سياسي واحد. تحرّك IRI وNDI بحزبة في أنحاء أوروبا الشرقية باعتماد التكتيك السالف الذكر. وكان أول تطبيق نموذجي في بلغاريا عام 1996، حيث «اكتشفَ» المعهدان أنّ «المنظّمات غير الحكومية يمكن أن تميل في الانتخابات لصالح المرشح المفضّل لأميركا»، من خلال توحيد المعارضة، ثم تمويل استطلاعات الرأي التي تدعم مرشّحها للتأثير في توجّهات الناخبين الحديثي عهد بتجارب انتخابات مغايرة للتي عرفوها لعقود. وساهم NDI في هذا المشروع من خلال تمويل «الجمعية البلغارية للانتخابات العادلة والحقوق المدنية» للإشراف على استطلاعات الرأي في ذلك العام.

بحسب سوسمان وكريدر، رتّب NED وأذرعه استطلاعات الرأي في رومانيا عام 1997 عبر دعم جمعية Pro Democracy؛ وفي سلوفاكيا عام 1998 حيث أجرى المعهد الجمهوري الدولي (IRI) «جدولة موازية للأصوات»، وفي كرواتيا عام 1999 بالشراكة مع الوكالة الأميركية للتنمية الدولية» (USAID) و«فريدوم هاوس»، وتمويل دولي آخر لمجموعة مراقبة الاقتراع المسماة «المواطنون المنظّمون لمراقبة الانتخابات GONG»، في بوغوسلافيا السابقة، عندما بدا أن ميلوسيفيتش عرضة للهزيمة قبيل الانتخابات الرئاسية عام 2000، أمّن NDI سفر قادة أحزاب المعارضة الصربية إلى بولندا لـ «طلب المشورة» من نشطاء حزبيين بولنديين كانوا قد فازوا على أحزاب اليسار في انتخابات سابقة. استعان NDI بشركات Penn وSchoen وBerland الأميركية المتخصّصة باستطلاعات الرأي، التي خلُصت إلى أنّ المحامي الدستوري المناهض للشيوعية فيتشسلاف كوستونيتشا سيكون الشخص الأكثر ملاءمة للمراهنة عليه في السباق الانتخابي. بناءً على التوصية، استدعت وزيرة الخارجية الأميركية آنذاك مادلين أولبرايت ووزير الخارجية الألماني يوشكا فيشر المرشحَين الرئاسيَّين (عمدة بلغراد زوران دينديتش وزعيم حزب المعارضة فوك دراسكوفيتش) إلى بودابست، وتم الضغط عليهما للانسحاب من السباق الانتخابي. وكان IRI وNDI أصدرا توصيات مماثلة في كل من بلغاريا ورومانيا، مما دفع زعماء الأحزاب الموالين للغرب إلى الإذعان لما تريده واشنطن. هذا جزء من قصص NED وأذرعه في الاستثمار في المنظّمات والجمعيات المحلّية للتأثير في نتائج انتخابات دول أوروبا الشرقية وتشكيل أنظمة حكمها وفق الأجندة الأميركية، وفي بلدان أخرى في أفريقيا وأميركا اللاتينية وآسيا، نشط الصندوق دائماً لتلبية الهدف عينه.

مشهد الانقلاب الديموقراطي بين ترامب وبايدن في 6 كانون الثاني 2021

> فتحت تجربة انهيار الاتحاد السوفياتي شهيّة واشنطن على استثمار مجدٍ وغير مكلف مقارنة بالحروب العسكرية المباشرة

بيانات تمويل مؤسسة «الصندوق الوطني للديمقراطية - NED» في لبنان (2020)

القطاع	الجهة الممولة	الشريك في التنفيذ	قيمة التمويل	الاهداف المعلنة للتمويل
دعم المجتمع المدني	جمعية «نحن»	-	$30,000	تحميل المسؤولين الحكوميين المسؤولية من خلال إشراك الشباب في حملات المناصرة من أجل الوصول المفتوح وحماية الأماكن العامة. ستقوم المنظمة وفرق العمل المجتمعي التابعة لها بقيادة المبادرات المدنية، وإطلاق حملة مناصرة لإعادة تصميم حديقة حرش بيروت، وإعداد دراسة جدوى على شاطئ الرملة البيضاء، وقيادة ورشة عمل للمطالبة بمساءلة البلدية المحلية عن إعادة تطوير حديقة صور.
	International Republican Institute (IRI)	-	$700,000	لتعزيز الخطاب السياسي القائم على القضايا، ستقوم المنظمة بتضخيم الأصوات البديلة في المجتمع المدني، باستخدام استطلاعات الرأي العام والدورات التدريبية لمساعدتهم على تطوير استراتيجيات فعالة لمناصرة القادة السياسيين وتثقيف المواطنين وتعبئتهم على أولويات السياسة العليا. لمساعدة الأحزاب السياسية ذات العقلية الإصلاحية والمرشحين المستقلين على التنافس ضد الفاعلين السياسيين الراسخين، ستجري المنظمة دورات تدريبية لبناء القدرات للمنظمات الناشئة، ودورات تدريبية على الديمقراطية الحزبية للمنظمات القائمة، وندوات للمجتمع المدني والأحزاب السياسية لتسهيل البرامج المستجيبة للمواطنين.
	جمعية «نقطة فاصلة»	-	$30,000	لتعزيز القدرات القيادية الشبابية بين مجتمعاتهم المحلية في جنوب لبنان. وستواصل المنظمة العمل مع كادر من النشطاء الشباب في أندية الشباب في جنوب لبنان. سيقود المستفيد واتحاد نادي الشباب التابع له 12 جلسة حوار، ويطورون دليلاً تدريبيًا، وينتجون حملة مرئية تضم الرسوم البيانية ومقاطع الفيديو، ويستضيفون مؤتمرًا وطنيًا حول إصلاح المناهج التعليمية.
حقوق الإنسان	جمعية «النعمل من أجل المفقودين» Act for the Disappeared	-	$35,000	تعزيز عملية مصالحة وطنية توضح مصير المختفين في لبنان وتعيد الكرامة للضحايا. ستستمر الجهة المستفيدة في رفع مستوى الوعي بقضية المفقودين من خلال عقد 12 جلسة إعلامية، ورصد وتوثيق المقابر، وتحديث قاعدة بياناتها لتشمل تعاونًا بحثيًا إضافيًا، ونشر تقرير عن احتياجات أسر المفقودين.
المساءلة والحوكمة	National Democratic Institute for International Affairs (NDI)	جامعة MUBS	$750,000	لدعم برنامج «نشاط الشباب من أجل المساءلة اللبنانية» ، لإعداد الشباب اللبناني لمساءلة حكومتهم بشكل أكثر فعالية. سيقود المعهد دورة حول مبادئ المشاركة المدنية، ومهارات النقاش والحوار، وحملات المناصرة والمساءلة. لزيادة مشاركة الشباب مع المسؤولين المنتخبين، سينظم المعهد والشركاء موائد مستديرة مع صانعي القرار المحليين والوطنيين، ويدعونهم في قيادة حملات المناصرة والمساءلة. لتعميق قدرة الشباب على المشاركة في النقاش القائم على الأدلة، سيدعم المعهد وشركاؤه تدريب نقاشات الشباب وتبادل النقاشات الإقليمية للشباب.
	المعهد اللبناني لدراسات السوق	-	$35,000	تعزيز جهود الإصلاح الاقتصادي المتوافقة مع اقتصاد السوق. سينظّم المعهد أكاديمية للقيادة تتكوّن من ورشتي عمل وإرشاد عبر الإنترنت ومعرض للسياسات. كما أنه سيرشد النشطاء المدنيين والسياسيين في تطوير مقترحات الإصلاح الاقتصادي لتقديمها بشكل فعّال ومناصرتها لصانعي السياسات.
	مؤسسة «مهارات»	-	$40,000	لتعزيز المساءلة على استجابة الحكومة لمطالب المواطنين. الصحفي ومحرر الوسائط المتعدّدة في المنظمة سيراقب استجابة الحكومة لمطالب المواطنين من خلال التغطية الإعلامية. سيقوم المشروع بإنتاج ونشر قصص متعمّقة ومقاطع فيديو توضيحية تحلّل الموضوعات ذات الصلة، مع التركيز على تقييم وشرح وعود الحكومة بالإصلاح.
	الجمعية اللبنانية لتعزيز الشفّافية – لا فساد	-	$38,000	محاسبة الحكومة الوطنية بخصوص مكافحة الفساد. ستقوم المنظمة بتطوير وإطلاق حملة مناصرة حول الأدوات التشريعية لمكافحة الفساد. سيشمل ذلك تنظيم دورات تدريبية للشباب حول تكتيكات ونهج الدعوة، وتطوير مجموعة أدوات تدريبية، وإجراء دورات تدريب للقادة المحليين، وعقد جلسات إعلامية حول التشريعات الحالية ومقترحات التعديلات، وإطلاق مدرسة لتجهيز المهنيين الشباب للنهوض بهذا المجال لمكافحة الفساد.
	الجامعة الأميركية في بيروت	-	$48,200	لرصد تداعيات الأزمة الاقتصادية في لبنان وتعزيز إصلاحات السياسة القائمة على الأدلة التي تستجيب لأولويات المواطنين. ستقوم الجامعة بإجراء مسوحات ميدانية لتقييم التأثير المباشر للأزمة على سبل عيش المستجيبين ورفاههم، وإنتاج تقرير تحليلي ومخطط معلوماتي وقيادة جلسة حوار مع أصحاب المصلحة بعد كل استطلاع. ستصدر الجامعة أيضا تقريرًا تجميعيًا لنتائجها وملخصًا للسياسة العامة بشأن التوصيات، وتنشرها في حدثٍ عام.
خدمات الأعمال	Center for International Private Enterprise (CIPE)	-	$462,144	لتعزيز قدرة اتحادات الأعمال على خدمة الأعضاء وتمثيلهم وتعزيز وجهات نظر القطاع الخاص والحلول القائمة على السوق للأزمة الاقتصادية في لبنان. ستقوم المنظمة ببناء قدرات جمعية التصنيع الوطنية في لبنان كمزود خدمة فعال ومناصرة جمهورها الخاص المحاصر. كما ستشترك مع مؤسسات فكرية رائدة لتقديم تحليل للقضايا الحرجة وتعزيز الحلول المستندة إلى السوق من أجل الانتعاش الاقتصادي في لبنان.
إعلام	مؤسسة سمير قصير	-	$100,000	تقوية وسائل الإعلام المستقلة أثناء تعافيها وتعزيز تركيزها على مساءلة الحكومة. ستطلق المنظمة مبادرة إنعاش إعلامي لدعم المشهد الإعلامي اللبناني الذي تضرّر بشدة من الانفجار الأخير في بيروت. من خلال هذا الجهد، ستدعم استبدال المعدات المدمرة وإصلاح المكاتب وتوفير التأمين الصحي للصحفيين وتنسيق تقرير استقصائي حول الانفجار.
	شؤون جنوبية	-	$80,000	تعزيز منتدى مستقل للحوار وتنشيط النقاش المدني بين جميع مواطني جنوب لبنان. ستدعم المنظمة منصة واسعة للحوار المدني، وتنشر إصدارات من المجلات، وتحافظ على موقعها الإخباري والتحليلي اليومي، وتسهّل الندوات حول المسائل السياسية والتعليمية والمجتمعية في المنطقة.
حرية التعبير	جمعية «مارش» MARCH	-	$40,000	للدفاع عن حرية التعبير وتنقيح التشريعات التي تدعمها. سيستمر المستفيد في دعم مجموعة من الشباب لبناء ثقافة المواطنة المتجذرة في الحريات الشخصية والديمقراطية من خلال زيادة الوعي وإبراز الحاجة إلى الإصلاح. كما سيخلقون مساحة للحوار البناء الذي يشجع المحادثات المهمة حول الحريات الشخصية وقبول الاختلافات من خلال منصة رقمية. أخيرًا، ستعمل المنظمة أيضًا مع مختلف أصحاب المصلحة لتعزيز مكافحة الرقابة.
المجموع			$2,388,344	

الجدول كاملاً على الموقع

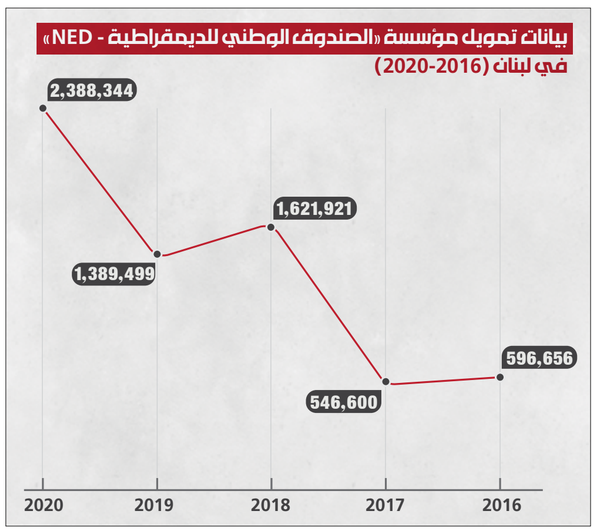

«صندوق» بدل «الوكالة»: NED الوجه الآخر لـ CIA

جوليا قاسم

شكّلت ذريعة «الصندوق الوطني للديموقراطية» (NED) بالترويج للديموقراطية عبر المجتمع المدني غطاءً أيديولوجياً وتنظيمياً لوكالة الاستخبارات المركزية (CIA)، وسمح للولايات المتحدة، بحسب المقولة الشهيرة لآلان وينستاين، بأن «تقوم علناً بما كانت تقوم به سراً قبل 25 عاماً». كان وينستاين يقصد بذلك فضائح أواخر الستينيات، كتلك التي نشرتها «نيويورك تايمز» عام 1967 حول مجموعات الطلاب التي تلقت أموالاً من وكالة الاستخبارات المركزية مقابل جمع معلومات استخبارية، أو ما كشفته صحيفة «واشنطن بوست» في 26 شباط 1967 حول تمويل وكالة الاستخبارات المركزية لنقابات العمال والمنظمات الثقافية والمثقفين ووسائل الإعلام في الخارج.

تعود فلسفة منظمات اليوم إلى حملة «مكافحة الاستبداد» التي بدأت في الحرب الباردة، والتي جدّدها رونالد ريغان عند تأسيسه «الصندوق الوطني للديموقراطية»، قائلاً: «لن نفرّق بعد الآن بين مستبدّي اليسار وديكتاتوريي اليمين. كلاهما أعداء للديموقراطية، وسنعارض كليهما».

توسيع نشاط الحكومة عبر قنوات سياسات «حقوق الإنسان» لم يكن من سمات ريغان، بل كانت إحدى سمات إدارة كارتر التي كان ريغان ينظر إليها بازدراء. لكن كانت هناك لجنة لإقناع ريغان بضرورة إنشاء «الصندوق». بناء على رسالة حثت ريغان على تسهيل إنشاء الصندوق، من السيناتور الجمهوري ويليام بروك الذي شغل منصب زعيم الحزب الجمهوري بعد فضيحة ووترغيت ووزارة العمل والتجارة.

سوّق تقرير برنامج الديموقراطية لعام 1983 لـ«الصندوق» على أنه «شراكة جديدة بين الحزبين»، وأنّ إنشاءه هو امتداد للالتزام ما بعد الحرب العالمية الثانية «بدعم النموذج الديموقراطي ... في جميع أنحاء العالم»، وأشار إلى نتائج بدايات هذه الجهود في أوروبا في التقويض الثقافي والتنظيمي في أوروبا الشرقية ومبادرات المساعدة الاقتصادية مثل خطة مارشال. وفيما ساهم NED في تقريب المسافة بين النشاط السري الخاص في الخارج والكونغرس الأميركي، بقي مؤسسة خاصة. وفي الوثيقة السياسية لحكومة الولايات المتحدة لعام 2019 بعنوان «تعزيز الديموقراطية: هدف للمساعدة الخارجية الأميركية»، وُصف NED بأنه قادر على «دعم الأنشطة في الأماكن التي تكون فيها الوكالة الأميركية للتنمية الدولية أو الكيانات الرسمية الأخرى مقيّدة بموجب القانون أو لاعتبارات دبلوماسية» لأنه «ليس وكالة حكومية».

المنطلق الفلسفي لـ NED بمعاداة الشيوعية، والذي كان نيوليبرالياً تماماً ويمينياً بطبيعته، تلوّن بألوان اليسار واليمين على حد سواء. فقد ضم مجلس الإدارة، برئاسة بروك، آلان وينستاين، ورئيس الاتحاد الأميركي للعمل - مؤتمر المنظمات الصناعية آنذاك لاين كيركلاند، ورئيسي اللجان الوطنية للحزبين الجمهوري والديموقراطي، ومحاميي «برنامج الديموقراطية» اللذين عملا كمستشارين للرئيس كارتر ولحملة بوش - ريغان عام 1980، وريتشارد آلن مستشار ريغان للأمن القومي، وجورج آغري من المؤسسة السياسية الأميركية. ويذكر «برنامج الديموقراطية» المكون من الحزبين أنه استمدّ إلهامه من المؤسسات الألمانية التي رسخت نفسها في أكثر من ستين دولة في الخارج.

لإنشاء مؤسسات قائمة على الأحزاب تستخدم التعددية الحزبية لتعزيز أهداف السياسة الخارجية الغربية في الخارج.

تجلّى إرث الصندوق العائد إلى حقبة الثمانينيات بتقديم «الترويج للديموقراطية» كخطاب تدخلي ليبرالي يروّج للهيمنة السياسية الأميركية في الخارج والذي توارثته الإدارات المتعاقبة. فقد جمع بين الالتزام اليميني الأميركي المتشدد سابقاً بمناهضة الشيوعية والذريعة اليسارية المناهضة للشيوعية، «حقوق الإنسان». خلال الحملة الانتخابية لعام 2004، حاول كل من بوش وكيري تقديم نفسيهما كأكثر المانحين سخاء لتمويل NED، فتعهد كيري بمضاعفة ميزانية الصندوق ثلاث مرات بعدما اقترح بوش زيادتها بنسبة 100%.

واصلت إدارتا أوباما وبايدن زيادة دعمهما للصندوق، وكان ذلك وعداً انتخابياً في حملة أوباما للرئاسة عام 2008، إلى جانب زيادة دعم عدد من المؤسسات الحكومية وغير الحكومية الأخرى، وحضر في حكومتيهما ممثلون عن NED، كما شارك بايدن، عام 2003، في رعاية تشريع يعيد تأكيد مهمة الصندوق.

قضية اليوم | مقاتلو الحرب الناعمة

NED وغلّة المنتفعين في لبنان

علي مراد

منذ تأسيسه عام 1983، حرصت نخبة الإمبراطورية الأميركية في واشنطن، بجناحَيها الديموقراطي والجمهوري، على تطوير عمل «الصندوق الوطني للديموقراطية» (NED)، لخدمة أهداف التوسّع والتطويع أو إسقاط الأنظمة المصنّفة ضمن قائمة خصوم الإمبراطورية وأعدائها. وبما أنّ مؤسّسيه اختاروا له صفة «الصندوق»، كان لا بدّ من تخصيص مبالغ مالية سنوية تُضَخّ فيه، لتمويل البرامج المرسومة من NED والمنظمات المتّصلة به. حدّدت الولايات المتحدة في 2006 دعم وإنشاء قانون لإصلاح الانتخابات، وإصلاح القضاء، ودعم حكومة «مختصة وشفافة» كأولويات، وانعكست هذه الأهداف في نشاطها ودعمها للمنظمات غير الحكومية المحلية عبر NED. عقب اغتيال الرئيس رفيق الحريري، انتقل مجال نشاط NED في لبنان من التركيز الحصري على الانتخابات إلى التركيز على وسائل الإعلام والانتخابات معاً، وسعت الجهود إلى إنشاء كتلة شيعية مناهضة لحزب الله. عام 2005 قامت جمعية «هيا بنا» على أساس «أصوات ليبرالية مستقلة وحديثة» من أجل «مقاومة ثقافة الخوف». وتصف الجمعية هدفها بالاستفادة من «أولى بشائر التفاؤل بعد انسحاب القوات السورية من لبنان عام 2005، حملتنا الأولى التي سلطت الضوء على حق المواطنين في المشاركة في الحياة السياسية على أساس القيم المدنية بدلاً من تمويل برامج قلب الأنظمة والتلاعب بثقافات الشعوب، يضخّ NED أمواله في 7 مناطق جغرافيّة حول العالم، وللبنان حصّته ضمن منطقة الشرق الأوسط.

NED مؤسّسة أميركية تقدّم المِنَح، وتوزّع الأموال على المنظّمات غير الحكومية، تحت شعار «تعزيز الديموقراطية في الخارج» في حوالى 90 دولة حول العالم. يتمّ تخصيص نصف تمويله سنوياً لأربع منظمات أميركية رئيسيّة هي: «المركز الأميركي للتضامن العمّالي الدولي» (ACILS)، و«مركز المشروعات الدولية الخاصة» (CIPE) التابعة لغرفة التجارة الأميركية، و«المعهد الديموقراطي الوطني للشؤون الدولية» (NDI) التابع للحزب الديموقراطي، و«المعهد الجمهوري الدولي» (IRI) التابع للحزب الجمهوري. ويُمنح النصف الآخر من التمويل الخاص بـNED سنوياً إلى مئات المنظّمات غير الحكومية في 7 مناطق هي: آسيا، أفريقيا، أميركا اللاتينية والكاريبي، الشرق الأوسط، أوروبا، أوراسيا، وعالمياً.

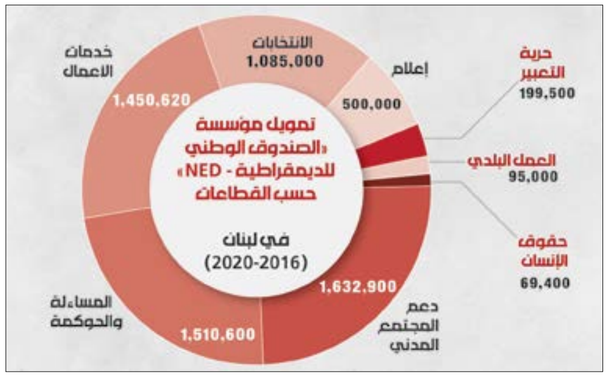

يتلقّى NED اعتماداً سنوياً من موازنة الحكومة الفيدرالية الأميركية، يتم تضمينه في فصل ميزانية وزارة الخارجية المخصّصة لـ«الوكالة الأميركية للتنمية الدولية» (USAID)، ويخضع لرقابة الكونغرس كمنظّمة غير حكومية.

بين عامَي 1984 و1990، تلقّى الصندوق بين 15 و18 مليون دولار من تمويل الكونغرس سنوياً، وبين 25 و30 مليون دولار بين عامَي 1991 و1993. في السنة المالية المنتهية عام 2009، بلغت ميزانية NED حوالى 135 مليون دولار، جاء معظمها من وكالات الحكومة الأميركية. إضافة إلى التمويل الحكومي، يتلقّى الصندوق تمويلاً من مؤسسات تمويل خاصة مثل «مؤسسة سميث ريتشاردسون» و«مؤسسة جون إم أولين» وغيرهما.

بشكل عام، تميل الإدارات الديموقراطية عندما تحكم إلى رفع حجم التمويل السنوي للصندوق، وسارت أغلب الإدارات الجمهورية السابقة ضمن التوجّه نفسه وإن بمنسوب أقل، لكنّ الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب أقدم عام 2018 على خفض تمويل الصندوق، وطالب بشكل علني بقطع روابطه بمعهدَي NDI وIRI.

بين عامَي 2017 و2020 صرف NED حوالى 103 ملايين دولار أميركي في منطقة الشرق الأوسط. حلّ العراق في المرتبة الأولى عربياً من حيث التمويل بين عامَي 2017 و2020 بحوالى 12,7 مليون دولار، ولبنان سادساً بحوالى 5,8 ملايين دولار بعد كلّ من المغرب والسودان ومصر وتونس. تجدر الإشارة إلى أنّ NED ومن يديره في واشنطن، يرون أنّ حالة الديموقراطية وحقوق الإنسان والحوكمة الرشيدة في كلّ من كيان العدو الإسرائيلي والسعودية والإمارات والبحرين والكويت وسلطنة عمان وقطر ممتازة، وبالتالي لا داعي لصرف سنت واحد لدعم هذه البرامج المذكورة فيها أو للمعارضات الخليجيّة التي تتّخذ من المنافي منصّات لإيصال أصواتها الممنوعة في بلدانها.

وتجدر الإشارة إلى أنّ موقع NED الإلكتروني يعرض بيانات التمويل فقط لمدة 5 سنوات، وبالتالي فإنّ الأرقام ليست متاحة قبل عام 2017 (إلّا في حال أرشفة محتويات الموقع في عام سابق)، وهو ما يتنافى مع أغلب الشعارات والمعايير التي تروّج لها البرامج المموّلة من قبله. في لبنان سُجّل بين عامَي 2016 و2020 تمويل NED منظّمات مجتمع مدني ومكتب IRI وNDI اللبنانيّين بقيمة 6,422,907 دولار. أقلّ بقليل من نصف هذا التمويل سُجّل عام 2020 وحده (حوالى 2,388,344 دولار)، ما يعكس اهتمام واشنطن ونُخبها بضرورة استثمار ظروف ما بعد 17 تشرين الأول 2019 وتزايد حدّة الأزمة المعيشيّة في لبنان (مجموع التمويل السنوي لـNED في لبنان بين 2016 و2020 موجود في الموقع).

أكثر القضايا التي موّلها NED في لبنان تمثّلت بـ«دعم المجتمع المدني» و«المساءلة والحوكمة» (حوالى نصف التمويل). ومن الواضح بأنّ NED «ملتزم» بصرف مبالغ مقطوعة وثابتة سنوياً لجمعيات وكيانات محدّدة، مثل «نحن» و«نقطة فاصلة» و«جنوبية» التي أسّسها جنوبيّون وأغلب برامجهم تنفّذ في الجنوب. وتظهر بيانات التمويل والبرامج المموّلة أنّ المعهد الوطني الديموقراطي (NDI) عادة ما يكون أكثر نشاطاً من نظيره الجمهوري في مواسم الانتخابات اللبنانية، إذ تُظهر بيانات عام 2018 أنّ NDI طلب من مركز إحصاء لبناني إجراء استطلاع رأي قبل الانتخابات وبعدها وأرسل فريقاً لمراقبة سير العملية الانتخابية في دورة 2018.

> **بين عامَي 2017 و2020 صرف NED حوالى 103 ملايين دولار أميركي في منطقة الشرق الأوسط**

بورتريه

كارل غيرشمان

اليساري المزيّف

كان كارل غيرشمان زعيماً للحزب الديموقراطي الاشتراكي في الولايات المتحدة، الجناح اليميني للحزب الاشتراكي الأميركي (1975-1980). لعب غيرشمان، التروتسكي التوجه، دوراً فعّالاً في المساعدة في دفع موقف مؤيد لإسرائيل داخل الحزب الاشتراكي الأميركي، لأن دعم إسرائيل «ضروري لمنع الشرق الأوسط من الوقوع في شمولية الاشتراكية الشيوعية». كباحث مقيم في «فريدوم هاوس»، المنظمة التي هندست ركيزة ما بعد الحرب العالمية الثانية للقوة الناعمة الأميركية وذريعة «حقوق الإنسان» للتدخل في الخارج، لعب غيرشمان دوراً جزئياً في ترويج وتأسيس «الصندوق الوطني للديموقراطية» (NED). دفع غيرشمان طويلاً لإنشاء «مؤسسة الحرية» الخاصة عام 1980 لاستخدامها في الأنشطة في الخارج. أعلن غيرشمان دعمه «للصندوق الوطني للديموقراطية» فور تأسيسه، وشغل منصب الرئيس منذ تأسيسه عام 1984 وحتى عام 2021. ساهمت خلفيته التروتسكية بجعله صلة الوصل المناسبة لخرق النقابات من موقع يساري زائف. وبصفته مدير الأبحاث السابق للاتحاد الأميركي للعمل - مؤتمر المنظمات الصناعية (AFL-CIO) الذي دمج تحت قيادته ضمن مجلس إدارة «فريدوم هاوس»، أشرف غيرشمان على انتشار الاتّحاد في قرابة 30 دولة. أول تمويل من الكونغرس للصندوق الوطني للديموقراطية سجّل عام 1983، وكان عبارة عن حزمة بقيمة 31,3 مليون دولار، تضمنت 13,8 مليون دولار لمعهد النقابات الحرة التابع للاتحاد (AFL-CIO) الذي يرأسه غيرشمان. أنفقت هذه الأموال تحت غطاء حركة تجارية حرة في بولندا، وذهبت أموال معهد النقابات الحرة التابع للاتحاد إلى حركة «تضامن» البولندية من خلال NED. لاحقاً أصبح غيرشمان أحد الأعضاء المؤسسين للمجلس الاستشاري لحرية الإنسان في معهد جورج بوش الابن.

باتريسيا كرم .. الملكيّة أكثر من الملك

منذ شباط 2018، تشغل اللبنانية باتريسيا كرم منصب مدير منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في المعهد الجمهوري الدولي (IRI). بحسب الموقع الإلكتروني للمعهد، فإنّ كرم «مسؤولة عن الإشراف الإستراتيجي والقيادة لمجموعة من البرامج التي تقدّر بالملايين، التي تركّز على الحوكمة المستجيبة للمواطنين، وتطوير الأحزاب السياسية، وتعزيز التشريعات، وبناء قدرات المجتمع المدني». متوسط الراتب السنوي لمديري المناطق الجغرافية في المعهد يتراوح بين 150 و200 ألف دولار. عملت كرم لسنوات في «معهد حوكمة الموارد الطبيعية» (LOGI) كمديرة لمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا (تلتها في المنصب لوري هايتيان). تنقّلت سابقاً بين عدد من المؤسسات والمنظّمات غير الحكومية الأميركية خصوصاً في العراق. منذ 17 تشرين الأول 2019 تنشط في كتابة مقالات عن الوضع في لبنان، تركّز فيها على ضخّ السرديات التي يتداولها الإعلام المعادي للمقاومة، من قبيل «هيمنة حزب الله على الدولة»، وتطرح أفكاراً ونصائح للدول الغربية بأنّه لا ينبغي حلّ مشكلة الأزمة الاقتصادية والمالية في لبنان دون «حلّ مشكلة» حزب الله أولاً. في تشرين الثاني عام 2019 بثّ حساب IRI في موقع تويتر فيديو t=KxNjbCWAW5NE&20=s?119798242500931174 8/https://twitter.com/IRIglobal/status L5H2eb1AVw لباتريسيا كرم شرحت فيه للجمهور الغربي طبيعة التظاهرات في لبنان، وفسّرت فيه شعار «كلّن يعني كلّن» على أنّه «دعوة للتحرّر من النفوذ الخارجي».

«هيا بنا» إلى الإعلام الشيعي المعارض!

جوليا قاسم

بعد الحرب الأهلية، وسّع الصندوق الوطني للديموقراطية (NED) عمله ليشمل لبنان، بالتزامن مع تأسيس «جمهورية الطائف». تلقت «المؤسسة اللبنانية للسلم الأهلي الدائم»، التي تأسست عام 1987، منحاً من الصندوق منذ عام 1993 وهي تصف نفسها بأنها «واحدة من أكثر المنظمات غير الحكومية نشاطاً في لبنان والعالم العربي». وتشارك الصندوق مع «مؤسسة فورد» في إنشاء «المركز اللبناني للدراسات» (LCPS) والمنظمات المرتبطة به، وشكّلت الانتخابات وجهود «السلام» نقطة التركيز الرئيسة للمنظمات الممولة من NED والمنظمات المتّصلة به. حدّدت الولايات المتحدة في 2006 دعم وإنشاء قانون لإصلاح الانتخابات، وإصلاح القضاء، ودعم حكومة «مختصة وشفافة» كأولويات، وانعكست هذه الأهداف في نشاطها ودعمها للمنظمات غير الحكومية المحلية عبر NED. عقب اغتيال الرئيس رفيق الحريري، انتقل مجال نشاط NED في لبنان من التركيز الحصري على الانتخابات إلى التركيز على وسائل الإعلام والانتخابات معاً، وسعت الجهود إلى إنشاء كتلة شيعية مناهضة لحزب الله. عام 2005 قامت جمعية «هيا بنا» على أساس «أصوات ليبرالية مستقلة وحديثة» من أجل «مقاومة ثقافة الخوف». وتصف الجمعية هدفها بالاستفادة من «أولى بشائر التفاؤل بعد انسحاب القوات السورية من لبنان عام 2005، حملتنا الأولى التي سلطت الضوء على حق المواطنين في المشاركة في الحياة السياسية على أساس القيم المدنية بدلاً من الانتماء الطائفي،» عام 2008، التقى القائم بالأعمال في السفارة مع «هيا بنا» التي نظّم مؤسسها لقمان سليم لقاءً مع ثلاثة طامحين لإنشاء إعلام شيعي معارض «مستقل». كما دعمت أموال «مبادرة الشراكة الأميركية الشرق أوسطية» (EPI) برنامجاً في IRI لدراسة مشكلة «الرقابة الذاتية» في وسائل الإعلام من قبل الصحافيين الشيعة.

كان NED المنظمة الأقرب إلى السفارة الأميركية خصوصاً في دورة انتخابات 2009. في تلك الدورة، وفيما كانت الولايات المتحدة تراقب حالة خطة «لجنة قانون بطرس» للإصلاح الانتخابي في البرلمان، كان التواصل منتظماً بين الحكومة الأميركية ومتلقي المنح للعمل الانتخابي في المعهد الديموقراطي الوطني (NDI)، والمعهد الجمهوري الدولي (IRI)، التابعين لـ NED، إضافة إلى المؤسسة الدولية للنظم الانتخابية (IFES) والمركز اللبناني لدراسات السياسات (LCPS)، والمنظمات التي نشأت عنه، وجمعية الشفافية اللبنانية (LTA)، والحملة المدنية للإصلاح الانتخابي (CCER).

وقام «NED» مع المركز اللبناني للاستشارات وجمعية الشفافية اللبنانية، برعاية عدد من الأوراق البحثية والمبادرات حول «الحوكمة المحلية وتقديم الخدمات» بما يتماشى مع حملة المركز الساعية لتحقيق اللامركزية (ومهمة «NED» الدائمة لمراقبة الانتخابات البلدية المحلية) وإشراك الشباب في الدراسات السياسية والندوات وورش العمل. رغم أن «NED» تستثمر حوالى ربع ما تستثمره «مؤسسة فورد» (التي تتشارك مع الصندوق في تمويل المركز اللبناني للاستشارات والمنظمات الشريكة لها، أي الحملة المدنية لإصلاح الانتخابات وجمعية الشفافية اللبنانية) في لبنان في السنوات الأخيرة، لكنها كانت وتبقى أهم منظمة لتطوير أسس واستراتيجيات التعاون المباشر للولايات المتحدة ووضع جدول أعمال للمجتمع المدني، من خلال استخدام منظماته الفرعية (NDI وIRI وغيرها) وشركائه، مثل «مؤسسة فورد» كمقاولين فرعيين أساسيين لتحقيق أهداف حكومة الولايات المتحدة.

> **عقب اغتيال الحريري، انتقل نشاط NED من التركيز الحصري على الانتخابات إلى التركيز على وسائل الإعلام والانتخابات معاً**

بورتريه

ألان وينستاين

عميد العملاء العلنيين

تولّى ألان وينستاين الإدارة التنفيذية لـ«الصندوق الوطني للديموقراطية» (NED)، بعدما ساهم في صياغة التشريع الأصلي الذي أدى إلى تأسيس الصندوق عام 1983.

وينستاين بروفسور في جامعة جورجتاون وكلية سميث وجامعة بوسطن، ومحرّر مجلة «فصلية واشنطن». أصبح «عميداً غير رسمي للعملاء العلنيين الجدد»، كما وصفه ديفيد إغناطيوس الكاتب في صحيفة «واشنطن بوست»، إذ ساعد المعارضين السوفيات، وساهم في تثبيت الحكومات الصديقة للغرب في أوروبا الشرقية مع تفكك الاتحاد السوفياتي، وتولّى مهامّ الانتخابات في دول مثل الفيليبين وبنما ونيكاراغوا.

في الواقع، اعتنق وينستاين دور «العميل العلني» بشكل واسع، واشتهر بمقولة إنّ «الكثير مما نقوم به اليوم، كانت تقوم به وكالة الاستخبارات المركزية سرّاً قبل 25 عاماً». في مهامه الخاصة بمراقبة الانتخابات، كما هي الحال في الفيليبين على سبيل المثال، كُلّف وينستاين بمتابعة حصيلة التصويت و«ما حدث في كل دائرة انتخابية». وكان يشرف بانتظام على مراقبة الانتخابات لـ «مركز الديموقراطية»، الذي أسسه وأداره منذ عام 1985 إلى عام 2003 (كان هنري كيسنجر عضواً في مجلس إدارته)، وكان يراقب البرامج الانتخابية في عدد من الدول حول العالم. كما كان لاعباً أساسياً في صعود بوريس يلتسن، وساهم في تحويل الاتحاد السوفياتي المنهار إلى الاتحاد الروسي النيوليبرالي، ولعب مركزه دوراً حاسماً في إحباط محاولة انقلاب ضد ميخائيل غورباتشوف.

نصح وينستاين بعدم استخدام كلمة «لوبي» عند وصف أنشطة الصندوق الوطني للديموقراطية. وروّج لهذا الصندوق كمعلم مؤثر محتمل للسياسة الخارجية، مقارناً إياه ببرامج السياسة الخارجية الذائعة الصيت أميركياً مثل خطة مارشال وبرنامج فولبرايت. استفاد وينستاين من خلفيته الأكاديمية ليصبح خبيراً في جمع المعلومات والاستخبارات. في كتاب شارك في تأليفه مع ضابط الاستخبارات السوفياتية المنشق ألكسندر فاسيليف، «الغابة المسكونة: التجسس السوفياتي في أميركا - عصر ستالين»، حث ناشره على دفع تعويضات لضباط الاستخبارات السوفياتية السابقين (KGB) بقيمة 100 ألف دولار مقابل السجلات الحصرية والسرية. وكونه مقرّباً من إدارة جورج بوش الأب، رشحه بوش ليكون أمين المحفوظات الوطنية للأرشيف القومي للولايات المتحدة.

إعداد نيبه الدامودي

NDI في لبنان: «صار الوقت» لتوسيع ثقافة النقاش!

نيبه الدامودي

بدأ المعهد الوطني الديموقراطي (NDI) العمل في لبنان عام 1995، وافتتح مكتبه الأول فيه عام 1998. يركز المعهد على دعم جمعيات المجتمع المدني ومراقبة الانتخابات وتنظيم برامج المناظرات من خلال ورش العمل والتعاون مع مختلف المنصات الإعلامية ومنظمات المجتمع المدني.

صيف 2018، أعلن NDI عن تعاونه مع قناة الـ MTV وبرنامج «صار الوقت» الذي يتضمن فقرة للمناظرة من خلالها «يأمل مارسيل غانم وإدارة الـMTV بتوسيع ثقافة النقاش في لبنان (...) وبهدف الطريق لاستضافة مناظرات لبنان الأولى بين القادة السياسيين الوطنيين قبل الانتخابات المقبلة المقرر إجراؤها عام 2022»، وفقاً لما ذكر بيان المنظمة حول البرنامج. عملت NDI على تدريب أكثر من 200 من المناظرين وتطوير صيغة المناظرة في البرنامج لتنتقل في الموسم الثاني عام 2019 إلى إطلاق مبادرة «صار الوقت نحسبها صح» بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي لبنان (UNDP) والبوابة العربية للتنمية (ADP) بالشراكة مع وزارة الدولة للتمكين الاقتصادي للمرأة والشباب في لبنان. تهدف المبادرة إلى «توفير مساحة للشباب لممارسة المناظرة واتخاذ القرار لتحدي الوضع الراهن». واقيمت العديد من ورش العمل والتدريب بالتعاون مع الوزير السابق زياد بارود ومعهد باسل فليحان المالي والاقتصادي.

في كانون الثاني 2020 أصدر برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (UNDP) بياناً يعلن فيه «تعليق مشاركة البرنامج في هذه المبادرة مرحلياً إلى حين تغير الظروف». وكان NDI وMTV يعملان أيضاً على تدريب 100 طالب إضافي للمشاركة في المناقشات لتعود وتتوقف هذه الخطط بسبب «الاحتجاجات على مستوى البلاد التي بدأت في تشرين الأول (أكتوبر) استجابة لأزمة الاقتصادية في لبنان، وبسبب تدابير التباعد لمنع انتشار فيروس كورونا»، وفقاً لبيان المنظمة. تجدر الإشارة إلى أن على جميع المشاركين في البرنامج الإفصاح عن المناطق التي يقيمون فيها والانتخابات التي يعملون فيها والأحزاب السياسية التي يدعمونها، إضافة إلى العديد من البيانات الشخصية الأخرى.

ينشط NDI أيضاً في مجال مراقبة العمليات الانتخابية في لبنان حيث شكل فرقاً من مختلف الجنسيات للقيام باستطلاعات رأي قبل الانتخابات النيابية أعوام 2005 و2009 و2018 وبعدها، إضافة إلى الانتخابات البلدية عام 2016. عام 2018، ضم وفد NDI لمراقبة الانتخابات في لبنان «31 من القادة السياسيين والمدنيين وخبراء الانتخابات والمتخصصين الإقليميين من 13 دولة في الشرق الأوسط وأفريقيا وأوروبا وأميركا الشمالية». ويصدر NDI عند نهاية الانتخابات تقارير مفصلة حول رأي المقترعين في العملية الانتخابية وكيفية إجرائها وقانون الانتخابات إضافة إلى نصائح للسلطات الانتخابية والأحزاب السياسية والمرشحين وقوى الأمن والمجتمع المدني ووسائل الإعلام حول كيفية تحسين العملية الانتخابية وإشراك المزيد من المواطنين فيها.

الأخبار
al-akhbar
■ رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
■ مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير
أمل الأتربي
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور
■ المدير الفني
صلاح الموسى
■ صادرة عن
شركة أخبار بيروت
■ المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دوغان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق الثامن
■ تلفاكس:
01759500
01759597
ص.ب 113/5963
■ الإعلانات
الوكيل الحصري
ads@al-akhbar.com
01/759500
■ التوزيع
شركة الوان
ت 15ـ 01/666314 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل
/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnews-paper

كيف أنّ الغرب لم يعد غرباً

أسعد أبو خليك *

لم يصبح الغربُ غريباً عند العرب إلّا بعد الحرب العالميّة الثانية. قبل ذلك، تعاطى العرب مع الفرنجة، هؤلاء الذين أتوا من خلف البحار والقفار وتعاملوا بوحشية فظيعة مع السكّان المحليّين من مختلف الطوائف. وتعامل العرب مع الغرب آنذاك من منطلق التفوّق العلمي: يكفي أن تقرأ في كتاب «الاعتبار» لأسامة بن منقذ عن الفارق بين طبّ العرب يومها وطبّ الغرب. بعد الحرب العالميّة الثانية، تبلور عند العرب مفهوم الغرب لأنّ الغرب أراد تسويق نفسه بديلاً لنظام عالمي (شيوعي) كان أكثر جاذبيّة لشعوب البلدان الفقيرة. الغرب كان واعياً لنفسه (بحكم العرق وعقيدة التفوّق الحضاري على أشكالها) قبل الحرب العالميّة الثانية. كتب أوزالد شبنغلر كتابه «انحدار الغرب» بعيد الحرب العالميّة الأولى ودرس حضارات العالم (وأدرج بينها الحضارة العربيّة من بين ثماني حضارات رفيعة ـ الغرب أتانا في لبنان ما زلنا بحكم تلويث المناهج من قبل أمثال سعيد عقل وفؤاد أفرام البستاني نصدّق أكذوبة الحضارة الفينيقيّة). كان شبنغلر متشائماً بسبب ظهور علائم انحدار الغرب (وهو لم يكن نازياً خلافاً لما يُكتب عنه في الثقافة الشعبيّة في الغرب والشرق إذ إنه عارض من منظور محافظ عقيدة الحزب النازي).

عرفنا الغرب في العالم العربي كما أراد أن يعرفنا. لم نعرفه بوسائلنا الخاصّة. هو أنفق المليارات على بروباغندا تصل إلى كل أنحاء العالم النامي. كان يمدّ طغاتنا بالسلاح ويغذّي حروبنا، فيما هو يرمينا بالدعاية السياسيّة التي تجمّله وتجعل منه نقيض حقيقته وأفعاله. يخطئ مَن يظنّ أن البروباغندا السياسيّة لم تكن ناجحة في العالم العربي. الغرب المُخترع بعد الحرب العالميّة الثانية كان نقيضاً قويّاً لنظام شيوعي عالمي مُفترَض. نحن لم نعرف المنظومة الشيوعيّة كما أرادت هي أن نعرفها، بل عرفنا كما أراد لنا الغرب أن نعرفها. لم يتغيّر نظام الهيمنة العالمي. لا تزال ترى كيف أن الفبركات عن كوريا الشمالية من قبل مخابرات عدوّتها كوريا الجنوبيّة تصل إلى الإعلام العربي وتنتشر على مواقع التواصل الاجتماعي من دون تدقيق أو تشكيك. النظام الكوري الشمالي ليس جميلاً بالضرورة لكنّ الاستبداد فيه ليس أكثر من استبداد محمد بن زايد ومحمد بن سلمان. لكنّ الشباب اللبناني الـ«كول» يريد أن يتغرّب عبر استبطان كل ما يصله من إعلام الغرب المتوفّر بكثرة في عصر الإنترنت. لنتقلع عن الإيمان الغربي بـ«سوق الأفكار» الحرّ في لبنان ما قبل الحرب. لم تكن صحافتنا حرّة على الإطلاق. ولم تكن حتى سوقاً للسفارات على أنواعها كما يتصوّرها الكلام الكليشيه النزعة من شارل حلو لنقابة الصحافة عندما رحّب بهم في وطنهم الثاني لبنان. صحافتنا كانت مُشتراة بأكثرها من دول الغرب والخليج وقلّة قليلة كانت تتلقّى تمويلاً من سفارات عربيّة غير خليجية (قبل 1970) كما أن النظام المصري كان يقدّم مواعين ورق وتمويلاً زهيداً لبعض الصحف (راجع مقالة هامة لصقر أبو فخر بعنوان «عبد الناصر وشغف الكلمات»). «النهار» و«الحياة» والكثير من صحف المرحلة كانت أبواقاً لأنظمة الخليج ودول الغرب التي كانت تدفع للصحف في حربها غير البارعة ضد الشيوعيّة. و«الأنوار» كانت تقبض من الخليج وتوالي عبد الناصر (حتى وفاته) فيما كانت تنشر لمعارضيه (مثل الأخوين أمين). ناشرو صحف لبنان لم يكونوا من أصحاب الولاء الواحد الأحد قط.

الذي نشأ على «النهار» (وكانت النافذة والسائدة بالرغم من منافسة من عدد من الصحف) أو على «الحوادث» (النافذة والسائدة والمتعدّدة مصادر القبض) يكون قد نشأ على دعاية صفيقة ضد اليسار والشيوعيّة. كانت «النهار» منذ الستينيّات دائمة السخرية من كمال جنبلاط وكان الأخير دائم الإشادة بغسان تويني ويتعامل مع جريدته بإعجاب. قارن اليوم بالأمس: كم من الصحافة في لبنان (بما فيها «الإعلام الجديد» الذي تموّله حكومات أميركا وأوروبا والخليج وجورج سوروس) يتخصّص في ذم جهة واحدة فقط، وهي الجهة نفسها التي تزعج وتعادي إسرائيل. والحركة الصهيونيّة كانت تنشر مقالات بالقطعة في صحف لبنان منذ الثلاثينيّات من القرن الماضي (وكانت تنشر حتى في صحف لبنان في المهاجر). أميركا نشرت مقالات صادرة من البنتاغون في الصحف العربيّة («الحياة» و«الشرق الأوسط») عند التحضير لغزو العراق (لزّمت وزارة الدفاع الأميركيّة شركة «مجموعة لينكلن» كي تنشر مقالات مُترجمة عن الإنكليزيّة من قبل مكتب دعاية أميركي لتحسين صورة الحرب والعدوان الأميركي). تستطيع أن تتخيّل حجم العقود التي وقّعها البنتاغون آنذاك مع «النهار» أو مع «إل. بي. سي». اذكر عنواناً في جريدة «النهار» بعد الغزو في عام 2003 وهو يقول: مقتل 80 بعثياً. تماماً كما أن «المرصد السوري» الممول من الغرب يعنون عن مقتل 40 «موالياً لإيران» في سوريا (!). الصورة العربيّة للغرب ليست صورة عربيّة. هذا ما عناه إدوار سعيد في آخر قسم من كتاب «الاستشراق» عندما تأسّف لعدم وجود مركز عربي واحد لدراسة الغرب في جامعة عربيّة. لكنّ الوليد بن طلال موّل مركزَيْن في الجامعة الأميركيّة في بيروت وفي الجامعة الأميركيّة في القاهرة. لكنّ المركزَيْن ليسا عربيَّيْن: ليس بحكم الوجهة الغربيّة للجامعتيْن أو التمويل السعودي الموالي لحكومات الغرب للمركزَيْن، بل لأن الجامعتيْن تنصاعان لمشيئة الحكومة الأميركيّة. الأكاديمي الفلسطيني، ستيفن سالايطة، كان أستاذاً ناجحاً في الجامعة الأميركيّة في بيروت وهو خير الأقلّيات المضطهدة والعنصريّة في أميركا. لكن عندما اقترحت لجنة أكاديميّة توقيع عقد معه، رفض فضلو خوري بمجرّد أن تلقّى اتصالاً من عضو مجلس الشيوخ الأميركي عن ولاية إلينوي، ديك دوربان. وكان سلايطة قد تعرّض لحملة ظالمة بسبب تغريدات أدّت إلى فصله من عمله الجامعي في ولاية إلينوي (هو يقود باصاً مدرسياً في العاصمة واشنطن هذه الأيام، بسبب فضلو خوري).

فازت أميركا في الحرب الباردة بالبروباغندا أكثر ممّا فازت بالمواجهة العسكريّة التي أرادتها بالواسطة في كل أنحاء العالم النامي حيث أشعلت قلاقل وحروباً أهليّة ونزاعات (في دول كثيرة بما فيها لبنان). صوّر الغرب نفسَه صنواً للحرّية فيما كان هو يقمع المعارضة ضمن حدوده وحول العالم. الشيوعيّة كانت صواراً رمادية، وكانت صور رفوف فارغة في المخازن الكبرى في موسكو مناسبة للاحتفال والابتهاج ونشر الصور في الصحافة العربيّة المُطيعة (مثل «النهار» وغيرها). ولأنني عاصرتُ بروباغندا أميركا أمس واليوم، أرى نمط الدعاية السياسيّة نفسه ضد الاتحاد السوفياتي في الدعاية السياسيّة الغربيّة والخليجيّة ضد إيران. لا تجد في صحافة الغرب أو الخليج صوراً جميلة لطهران. لا ترى إلا صوراً قاتمة ورماديّة ومن دون ناطحات سحاب (من يعلم أن هناك أبنية شاهقة وأبراجاً في طهران؟) وصحافة الخليج بعد أيلول، باتت تقتفي توجّهات إعلام الغرب بحذافيرها مخافة إقلاق راحة صانعي القرار في واشنطن.

لم يرد الغرب لنا أن نراه كما هو. رأينا صورة تجميليّة عنه مقابل صور تقبيح للمنظومة الشيوعيّة. الغرب وضع مثاله النظري مقابل الواقع غير المثالي للشيوعيّة. فاصبحت الحرّية نفسها في تضادّ مع الشيوعيّة. والعقول الشابة تتقاد وراء كلمة حريّة أكثر من كلمة مساواة وثورة وعدل اجتماعي وثورة (في لبنان تجذبهم كلمة ثورة فقط عندما تكون تعني نقيض الثورة الحقّة). تخيّل أن الكتاب المعتمد في الخمسينيّات عن الشيوعيّة في المدارس كان من وضع جي إدغر هوفر (المؤسّس الفاشي لمكتب التحقيقات الفيدرالي)، بعنوان «أسياد الخداع» (يحتوي غلاف الكتاب على مسابقة مدرسيّة لسبر أغوار الشيوعيّة التي كانت لا تقبل إلا «بتركيع أميركا»، حسب العنوان الفرعي للكتاب). الفاشي هوفر (الكاره للسود والنساء والأقلّيات واليسار) يريدنا أن نراه رمزاً للحرّية. أميركا كانت تعبّر الاتحاد السوفياتي بسبب غياب الحرّية فيما كانت تشنّ حملات تطهير في المجتمع والدولة ضد أي شخص يُقال إنه شيوعي الهوى، أو الذين يرفضون أن يعملوا مخبرين دساسين ضد رفاقهم في الحركات اليساريّة. كانت الحكومة تقمع حركات الحقوق المدنيّة للسود وتخلط الاتحاد السوفياتي عن المساواة والحرّية. كانت أميركا تنصّب طغاة وحوشاً ضد المسلمين والعرب فيما كانت تتصنّع الاهتمام بوضع المسلمين في الاتحاد السوفياتي (تماماً كما تفعل اليوم في وضع المسلمين في الصين). اليوم على حافّة الحرب الأهليّة وفريقا النزاع لم يعودا يؤمنان بعدالة اللعبة الانتخابيّة: الحزب الديموقراطي بلوم مؤامرة روسيّة على فشله فيما يلوم ترامب التزوير لتسويغ فشله. أشخاص الغرب ليسوا تاريخيّين بالمعنى الفوتوجينيكي للكلمة. لم يعد الغرب قادراً على إنتاج شخصيّات تبهر في البروباغندا الغربيّة. كيف تسوّق لأميركا شخصيّاتٌ مثل ترامب أو بوش أو بايدن أو جونسون او ساركوزي...

كانت الدول الإسكندنافية مثلاً مثالياً لديموقراطيّة اشتراكيّة. تلك الدول تغيّرت عمّا كانت عليه بعد الحرب العالمية الثانية. الأحزاب الليبراليّة بالكاد تحافظ على مواقعها واليمين العنصري الجديد يبرز في الاقتراع وفي الاستطلاعات. الدول التي اشتهرت بضيافة المهاجرين باتت فظّة وعنصريّة وترفض قبول المضطهدين والاجئين. فرنسا التي كانت تعتمد على استغلال شعارات الثورة الفرنسيّة للترويج لنفسها باتت تشهد منافسات بين كل الأحزاب لنيل تأييد البيض العنصريّين. الكثير من أحزاب اليمين وبعض الوسط وحتى اليسار باتت مجاهرة بالعنصريّة ضد المسلمين والعرب. هذا الوجه الحقيقي للغرب لم يكن له مكان في بروباغندا الغرب في الحرب الباردة. والطريف أن أجهزة دعاية الحكومة الأميركيّة مثل «الحرّة» أو «صوت أميركا» لا تزال تستعمل شعارات الحرّية فيما تستمرّ أميركا في تسليح وتدعيم أنظمة الطغيان في كل العالم العربي. تكاد محطة «الحرّة» لا تختلف في التغطية عن إعلام الخليج، وإعلام الغرب يعتمد على مضامين إعلام طغاة الخليج لأن العدوّ واحد (إيران والمقاومة ضدّ إسرائيل).

كان الغرب عنوان النقيض النظري للشرق: الشرق هو الدين والخرافات فيما الغرب هو العلم والحقائق. أظهر طاعون الكورونا أن الغرب ليس العلم وأننا لسنا عكسهم في الإيمان بالخرافات. العلم والطب الحديث هما مدار جدل في الغرب. هناك قطاع عريض من السكّان هنا ممّن يظنّ أن العلم ليس إلا مؤامرة ليبراليّة. ونظريات المؤامرة الغبيّة عن اللقاحات، أو أن بيل غيتس اجترحها من أجل أن يضع رقاقات صغيرة في أجسادنا كي ترصدها الحكومة، انطلقت من أميركا لا من جب جنّين. ومؤسّسة «بيو» (صاحبة أشمل وأدقّ استطلاعات رأي ـ في أميركا لأن استطلاعاتها العالميّة تُلزَم لشركات محلّية ويشوبها الكثير من التشويه وحتّى الفساد) تقول إن ربع الأميركيّين لا يثقون بالعلم. نحو ثلث السكّان يرفضون اللقاح هنا. وتوقّعات ماكس فيبر («الذي طالب في زمانه بنزع سلاح حزب الله لأن ذلك يتناقض مع تعريفه للدولة واحتكارها للعنف المشروع) عن نموّ العلمانيّة في المجتمعات الغربيّة لم تصحّ. لا يزال الدين عنصراً مؤثراً هنا ودور الدين السياسي يتعاظم في السياسة الأميركيّة ـ وأوروبا أشرقيّة التي «تحرّرت» تنحو نحو اللاعقلانيّة. والإعلام الاشتراكي الغربي كان يعظنا حول ضرورة العلمانيّة تحت باب التطوّر الطبيعي للمجتمعات (رونالد إنجلهارت الذي كرّس عمله لسنوات لدراسة أهواء الناس في دول مختلفة من العالم كان يقول إن أميركا أقرب إلى دول العالم النامي في التمسّك بالدين ـ انظر كتابه الضخم «قيم إنسانيّة»). وحتى بديهيّات العلم مثل نظريّة النشوء والارتقاء باتت عرضة للمجادلة هنا. هناك الكثير من مجالس التربية في أنحاء مختلفة من الولايات هنا التي تفرض مقابلة نظريّة داروين بنظرة الإنجيل في «سفر التكوين» في المدارس. ليس من إجماع علمي، أو إجماع على صحّة نتائج البحث العلمي خصوصاً إذا كان ذلك يخدش الإيمان العميق بخرافات الدين.

والغرب الذي كان يعظنا بضرورة التسامح وحبّ الآخر (والغرب لم يكن يعني من حثّنا على التسامح وحبّ الآخر إلا قبول إسرائيل ودمجها في عالمنا العربي ونسيان شعب فلسطين. وطغاة الخليج حوّلوا من ضخّ كراهية مقيتة ضد اليهود واليهوديّة إلى اعتناق شعارات الغرب عن قبول الآخر لإعلان التحالف مع إسرائيل. وهؤلاء لا يقبلون أبناء وبنات طوائف إسلاميّة فيما يترجمون شعار قبول الآخر بالتطبيع مع إسرائيل) بات أوّل كاره وقاسم للآخر. فرنسا تعظنا عن قبول الآخر؟ فرنسا تعظنا عن المحبّة والتسامح؟ فرنسا هي عاصمة كراهية العرب والمسلمين في العالم. الخطاب السياسي الفرنسي الحالي عن المسلمين لم أرَ مثيلاً له في سنوات في أميركا، مع أن أميركا هي طبعاً دولة عنصريّة بكل الكثير من سكّانها ومن ممثليها السياسيّين كراهية شديدة للعرب والمسلمين. سويسرا تسنّ قانوناً ضد المنقّبات في بلد ليس فيه إلا نحو 30 منقّبة، وسويسرا منعت بناء المآذن في بلد ليس فيه إلا أربع مآذن. الغرب الحالي الحقيقي لا يتطابق مع الغرب المُتخيّل الذي صدّر لنا صورته الغربُ الإستعماري لإبعادنا عن اليسارية والشيوعيّة. إن صعود اليمين العنصري الإسلاموفوبي المعادي في الكثير من الأحيان للعلمانيّة وللمساواة مع المرأة وحقوق المثليّين هو تظهير للغرب بعد أن أسفر البيض (أو الكثريّة منهم) عن الوجه الحقيقي لاستمرار عقيدة التفوّق الأبيض. الغرب يعيش تمزّد قطاع كبير من البيض ضد كل قيم المساواة والتسامح. البيرالية الغربيّة مزيّفة تماماً مثل الليبراليّة العربية. والغرب صوّر كل أعدائه على أنهم عدائيّون ينشدون الحروب والعنف. وحوّل الغرب الإرهاب إلى تهمة يلصقها بكل من يعارض ويقاوم احتلاله وعدوانه على أنه إرهابي. كلّهم ابن لادن لو سوّلت لهم أنفسهم معاداة الغرب وحروبه. والغرب الذي كان يعظنا بضرورة نبذ العنف هو المصدر الأساس للعنف حول العالم. لكنّ أميركا (مُشعلة الحروب في معظم أنحاء الكرة الأرضيّة) تسمح لنفسها بتصوير الصين وروسيا على أنهما دولتان عدوانيّتان تقلقان راحة السلام والأمن العالميّيْن.

لا يزال للغرب دعاته ومريدوه بيننا. وهؤلاء (بالأجرة أو بالانخداع) يتحدّثون عن غرب لا وجود له. غربه غرب الكتب المدرسيّة المستوردة التي تأتينا هبات من سفارات الغرب. هذا الغرب هو الغرب الذي يقدّمه لنا إعلام طغاة الخليج لأن إعلام العرب بات يخضع ـ كما المناهج الدراسيّة ـ إلى رقابة وتمحيص من منظّمات صهيونيّة في واشنطن من أجل تنقيته من أي شوائب أو عواطف نحو أعداء إسرائيل وحروب الغرب. الغرب يتغيّر فيما نحن ننشدّ أكثر نحوه، ليس طوعاً وإنما بحكم ربط العالم العربي (المُنقاد من قبل النظاميْن السعودي والإماراتي) بالغرب وحروبه. النظام الإماراتي تطوّع لإرسال جنوده لمحاربة الشعب الأفغاني لإثبات الولاء للجيش الأميركي. واليوم الذي سيرسل فيه محمد بن زايد ومحمد بن راشد جيشهما لإثبات الولاء للجيش الإسرائيلي في حروبه ضدنا ليس بعيداً. لكنّ الغرب في ورطة لأنه يصعبُ عليه المواءمة بين صورته كما تبدو لنا من نشرات أخباره وبين مضمون البروباغندا الغربيّة عن الغرب على مدى عقود مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية. لكن ليس هناك عند الغرب من مشكلة لا يقترح حلّها بقصف أو حرب أو بسلسلة عقوبات لتجويع الشعب المعترض.

* كاتب عربي ـ حسابه على تويتر @asadabukhalil

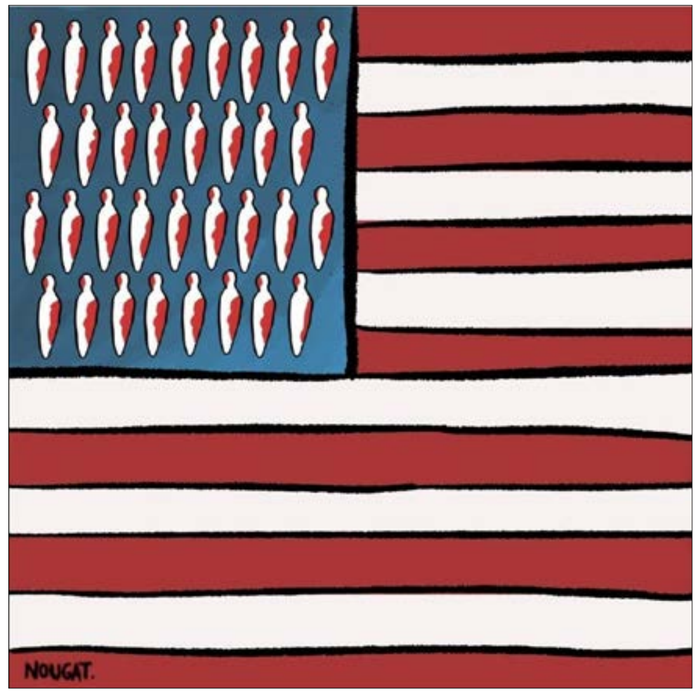

(نهاد علم الدين)

> الغرب ابتعد كثيراً عن الصورة المثاليّة التي رسمها لنفسه ووزّعها حول العالم ولم يعد باستطاعته أن يروّج لنفسه من خلال ذمّ الخصم السوفياتي

> أميركا (مُشعلة الحروب في معظم أنحاء الكرة الأرضيّة) تسمح لنفسها بتصوير الصين وروسيا على أنهما دولتان عدوانيّتان تُقلقان راحة السلام والأمن العالميّيْن

الحزب الشيوعي إلى أين؟

سعد الله مزرعاني *

يُفتتح اليوم المؤتمر الثاني عشر للحزب الشيوعي اللبناني. تجري أعماله على مرحلتين موزعتين، بالتساوي، على أربعة أيام، بين نهايتَي الأسبوع الحالي والقادم. فترة تحضير وتوقيت المؤتمر غير ملائمين لأسباب عامة صحية ومناخية وسياسية (الانتخابات النيابية). لكن الأهم هو ما يعانيه الكثير من المنظمات والهيئات الحزبية من تعثّر وصعوبات، ما فرض إيقاعاً متثاقلاً على عملية التحضير: لجهة تدنّي نسبة الحضور وضآلة المساهمة في النقاش... ما سيقود، حتماً، إلى تغليب الشأن الانتخابي على ما سواه.

يقع المؤتمر، أيضاً، في سياق أزمة مستمرة في الحزب (وسواه من الأحزاب الشيوعية)، والتي برزت، خصوصاً، بعد انهيار الاتحاد السوفياتي ومنظومته، وبعد الحرب الأهلية ونتائجها. المراجعة الشاملة المهمة التي باشرها «المؤتمر السادس» (1992)، إثر الانهيار السوفياتي وتوقف الحرب الأهلية، اصطدمت بعاملَي التخلّي، من جهة، والتشدد والجمود، من جهة ثانية... هذه الأمور القديمة والجديدة وما نجم عنها من فشل ومراوحة، كانت تتطلب في هذا المؤتمر وما سبقه، مقاربات مختلفه، عميقة وشاملة، ترتقي، بالضرورة، إلى مستوى إعادة تأسيس متكاملة للمشروع: ركائز التعاقد فيه، بنيته الفكرية والسياسية والتنظيمية، برنامجه المرحلي والعام... كل ذلك استناداً إلى الإحاطة بالمتغيّرات الهائلة على مستوى العالم، بعد تحوُّل الولايات المتحدة الأميركية إلى قوة عالمية، وحيدة مهيمنة وساعية، بكل الوسائل، بما فيها الغزو المسلح والاحتلال، للتوسع وللاستئثار والنهب. في نطاق ذلك، بات الشرق الأوسط، عموماً، والمنطقة العربية خصوصاً، ساحة محورية لاختبار التوجهات والمغامرات والمشاريع والأساليب العدوانية الأميركية الجديدة، ما أكد، تكراراً، الطابع التحرري للصراع والمنضال: دفاعاً عن مصالح شعوب المنطقة، وعن استقلالها، وعن ثرواتها، وعن حقها بالحرّية والتنمية وتقرير المصير... في مواجهة العدوانية الاستعمارية والصهيونية وتابعيهما من السلطات المحلية. بعدما تعثّرت وفشلت عمليات الاحتلال والغزو في العراق وأفغانستان، تختبر واشنطن، منذ أكثر من عقد، «القوة الناعمة» المستندة إلى إثارة التناقضات الداخلية والحصار والعقوبات. ففي نطاق «الثورات الملونة» التي شجّعتها وتوسّلتها، لجأت واشنطن في العقد المنصرم، على نطاق واسع، إلى استخدام تقنيّات اليسار وأساليبه: «التحرّكات الشعبية والانتفاضات»، حرب العصابات المسلحة («داعش» ومنظمات إرهابية أخرى). في مجرى ذلك، هي استطاعت احتواء كل الانتفاضات العربية، والتمكّن من إدراج معظم نتائجها في مشروعها المشترك مع العدو الصهيوني في المنطقة. حمل هذا المشروع اسم «الشرق الأوسط الجديد» (الرئيس بوش الابن)، و«محاربة الإرهاب» (الرئيس أوباما)، و«صفقة القرن» (الرئيس ترامب). لبنان هو حلقته الراهنة بعد السودان، حيث تستغل واشنطن، عبر تدخل شامل ومباشر أكبر عملية نهب وفساد وفشل طاحنة تعرّض لها الشعب اللبناني من قبل منظومة طالما كانت، ولا تزال، شديدة الارتباط بالسياسات الأميركية! هدف واشنطن، طبعاً، ليس حل الأزمة اللبنانية ولا محاسبة المسؤولين المباشرين الفعليين عنها، بل استهداف المقاومة ضد العدو الصهيوني بعد الفشل في تصفيتها في الحرب الأميركية الإسرائيلية على لبنان في تموز 2006.

> يحضر جزء من هذا النهج في مشروع الوثيقة الفكرية السياسية المقدّمة للمؤتمر الحالي، لكنه يغيب، غالباً، في المواقف والممارسة التي تركّز على البعد الداخلي

أشرنا في المقدمة إلى عدم ملاءمة التوقيت وإلى وهن التحضير. أشرنا أيضاً، إلى الطابع التقليدي التكراري لصيغ مؤتمرية تستمر وكأن زلزالاً كبيراً لم يحدث في هذا العالم. لكن الأسوأ، في الواقع، هو العودة إلى الوراء في عدد من المسائل الأساسية. هذا مسار بدأ بعد المؤتمر التاسع بداية عام 2004. كان الحزب قد تمكّن بين عامَي 1964 و1968 من إنجاز عملية تغيير جذرية وشاملة متجاوزاً النهج البكداشي الستاليني المهيمن في الحزب الشيوعي الموحّد في لبنان وسوريا. استند التغيير المذكور إلى مراجعة عميقة أفضت إلى إعادة بناء هياكل الحزب، بالانتخاب، بشكل شرعي ومتجدّد، وإلى إقرار برنامج ذي مرحلتين، قريبة وبعيدة، للتغيير الثوري في لبنان. الأهم كان المصالحة مع التيار القومي التحرّري، وفق منهج جدلي وشامل للصراع الطبقي على المستوى الداخلي والإقليمي والخارجي. أثمر ذلك انخراطاً كاملاً في الصراع وحضوراً عاصفاً في المشهد اللبناني والعربي، ومشاركة طليعية في معركة المقاومة والتحرير من الاحتلال الصهيوني عام 1982. يحضر جزء من هذا النهج في مشروع الوثيقة الفكرية السياسية المقدّمة للمؤتمر الحالي، لكنه يغيب، غالباً، وإلى حد كبير، بل إلى حد مقلق، في المواقف والممارسة السياسية التي تركّز على البعد الداخلي وتُغيّب البعد الخارجي الذي تقوده واشنطن بشكل كامل وشامل وسافر ووقح: اقتصادياً ومالياً وإعلامياً وأمنياً ودبلوماسياً، من مسألة المفاوضات البحرية إلى تركيب الولائح الانتخابية... والهدف الأميركي هو إعفاء أرباب النظام وعتاة المنظومة من مسؤولية النهب والسرقة والسطو على موارد البلاد ومدّخرات المواطنين، وإلقاء المسؤولية على الطرف الأقل مساهمة وحضوراً في حقل الإدارة والمال والتحاصص (رغم الكثير من المآخذ عليه)، للنيل من دوره المميّز في مقاومة العدو الصهيوني وفي بناء معادلة ردع وتوازن غير مسبوقة في كل ساحات الصراع معه!

ينبغي إضافة أن ثمّة استهدافاً باريزاً لتحييد، أو حتى لتجنيد، جزء من اليسار في الحملة الأميركية. ويندفع بعض من اليساريين ممّن التحقوا سابقاً بفريق 14 آذار، ولأسباب متنوعة، للالتحاق بالخطة الأميركية. يحاول هذا البعض توظيف جزء من رصيد «جبهة المقاومة الوطنية» في خدمة هذه الخطة! أمّا الموقف الصحيح فيتمثّل، في هذه المرحلة، بمواجهة تلك الخطة الأميركية في لبنان، من جهة، وبمواجهة إجرام منظومة النهب والإفقار والفشل، من جهة ثانية. هذا الأمر كان ولا يزال يملي بناء تيار وطني مستقل يحجز مكاناً فاعلاً في المشهد السياسي الصاخب والخطير الراهن. وحده اليسار الحقيقي قادر على القيام بهذه المهمة التي تستأنف إنجازاته التاريخية وتسدّ فراغاً كبيراً يحتاج إليه الشعب اللبناني المهدد بمزيد من الخسائر والكوارث والأزمات والمآسي.

أليس أن هذه المهمّة الوطنية هي ما ينبغي أن يشكّل الهدف الأساسي للنضال، ولعقد المؤتمرات، وللمشاركة في الانتخابات وإقامة التحالفات، وللانخراط في الصراع الدائر بشكل عام؟!

* كاتب وسياسي لبناني

البلاد

من النهر إلى البحر

النقب ليس ميْتًا...

«ديرتنا» التي عمّرناها قبل أن يولدوا

ما تواجهه منطقة بئر السبع اليوم، هو عيْنه ما كانت تواجهه على الدوام منذ عام 1948: مصادرات، تجريف أراضٍ، هدم بيوت، عدم اعتراف بالقرى، تشريد للعائلات الفلسطينية البدوية. وخلافاً للوضع المتقادم المرتبط بمناطق أخرى من فلسطين، ثمّة خصوصية لقضاء بئر السبع، تتمثّل في كونه مهمّشاً وبعيداً من المركز، وغالبية سكّانه من العرب البدو. ولعلّ هذه الخصوصية هي ما جعلته عُرضة لآراء مسبقة مغلوطة على المستويَين العربي والفلسطيني، لكن ثمّة اليوم تطوّرات ومواقف وروًى متجدّدة، تعود لتذكّرنا بفلسطينيّة المنطقة وسكّانها... بـ«نصف فلسطين المنسيّ والمهمّش»

أحمد أمارة *

لم يكن يُعرف جنوب فلسطين كوحدة إدارية سياسية محدّدة على مرّ الوقت باسم «النقب»، بل وقعت أجزاء منه ضمن مناطق جغرافية مختلفة، كبلاد غزة ومنطقة الخليل وسيناء والعقبة وغيرها. وإذ لا يمكن فصل التسميات عن السياقات التاريخية والسياسية، والتي تتنوّع ما بين المحو والاستبدال والتجدّد، فما يُعرف اليوم باسم النقب هو مسمّى لمصطلح توراتي - سياسي. لا يعني ذلك أن المصطلح غير موجود عربياً، فالنقب هو الممرّ بين سلسلة الجبال، والتي تقع العديد منها وبأسماء مختلفة في جنوب فلسطين، لكنه لا يتطرّق إلى وحدة جغرافية - سياسية، بل يُعرف الجنوب محلياً وعربياً باسم «بلاد غزة» أو «ديرة بئر السبع»، فيما يُكنّى المهجّرون من الجنوب، القاطنون اليوم في الأردن مثلاً، بـ«السبعاوين» وليس بـ«النقباويين». المنطقة أصلاً هي جزء من ثغور جنوب سوريا، وتقع إدارياً ضمن متصرّفية القدس. ومع ترسيم الحدود السياسية لفلسطين منذ بداية القرن العشرين، توسّع «جنوب فلسطين» ليشمل مناطق مختلفة كانت تقع إدارياً خارج المتصرفية، كالوية الحجاز والبلقاء، وحتى جزء صغير من مصر. كما وكانت تُعرف في بعض الدوائر المحلية والعثمانية باسم ديرة بئر السبع، إلى ما قبل تأسيس مدينة بئر السبع الجديدة في عام 1900.

بعد عام 1900، أصبحت المنطقة تُعرف أكثر باسم قضاء بئر السبع أو ديرة السبع. تمّت إعادة تشكيل النقب كوحدة سياسية في السياق الصهيوني في الثلاثينيات، وبدأت دراسات ومفاوضات صهيونية - بريطانية من أجل تحديد المنطقة ومنحها للدولة اليهودية، باعتبار الصهاينة وحدهم القادرين على «تطوير الصحراء».

تصل مساحة المنطقة المحيطة ببئر السبع إلى نحو ثلاثة ملايين دونم، تتميّز بخصوبتها، وكانت تُزرع على مدى قرون وحتى اليوم بالحبوب، منذ ما قبل بداية المشروع الصهيوني وصندوقه لـ«جعل الصحراء مزهرة»، عن طريق التهجير والاقتلاع والتجريف وإعادة التشجير. حتى مصطلح «البدو» وعلى الرغم من ارتباطه بالبادية، فلم يكن متداولاً في الوثائق التاريخية الخاصة بالمنطقة، ولا حتى في أوساط السكّان، الذين كانوا يرون أنفسهم «عرباً»، فيما العثمانيون يسمّونهم «العربان». أمّا مصطلح «البدو» فانتشر، نقلاً عن اللغة الإنكليزية، مع بداية الاستعمار. والأهمّ من التسمية هو ما يتمّ ربطه بها من رموز وتمثّلات، من حيث الوحشية، والميل إلى الغزو والنهب، وافتقاد الارتباط بالأرض أو تقديرها ومعرفتها وفلاحتها.

الصراع «الرسمي» على الأرض

يعود الصراع السياسي على الأرض، والمؤطّر بشكل رسمي وقانوني، إلى ما بعد تأسيس «دولة إسرائيل»، ضمن مسألة ما عُرف بـ«تسوية الأراضي». فبعد المصادرات الإسرائيلية الضخمة للأراضي الفلسطينية الشاسعة، وبالذات في منطقة الجليل، راوغت الحكومة الإسرائيلية في الاعتراف بمُلكية أهل بئر السبع لأراضيهم، ودأبت على مطاردتهم من منطقة إلى أخرى على مرّ السنين، مقابل وعود بالتعويض عليهم. كما فعّلت سياسة «فرّق تسُد»، بتعيينها مشايخ وعزلها آخرين، من أجل ضرب العشائر بعضها ببعض. وقد تمّ تركيز السكّان البالغ عددهم حوالي 13 ألفاً من أصل 90 ألفاً تقريباً، بعد أن تمّ تهجيرهم خلال النكبة، في منطقة تُعرف بمنطقة السياج، التي رُحّلت إليها العديد من العشائر من منطقة «النقب الغربي» ووادي الشريعة بين بئر السبع وغزة، وأُخضعت للحُكم العسكري الإسرائيلي حتى عام 1966. ومنذ ذلك الحين، حاولت الحكومة حصر جميع السكّان في ثلاث بلدات حضرية، لكنّ المشروع فشل، ليتمّ حتى اليوم «تأسيس» 7 بلدات حضرية، فيما البقيّة تُرى ترفض إسرائيل الاعتراف بقانونيّتها وتحرمها أبسط الخدمات، ويصل عددها إلى نحو 45، منها 10 بدأت دولة الاحتلال مسار الاعتراف بها.

في السبعينيات، أعلنت الحكومة الإسرائيلية البدء بتسوية الأراضي التابعة للعائلات الفلسطينية البدوية في مدينة بئر السبع وتسجيلها، لكنها رفضت إنفاذ القرار في معظم الدعاوى التي قدّمها أهل النقب ما بين عامَي 1970 و1979 بخصوص مليون دونم (زراعي) ونصف مليون دونم (مراعي)، عدا عمّا صادرته إسرائيل كـ«أملاك متروكة» للاجئين السبعاويين ولعشائر مثل العزازمة أيضاً، إذ لم تعترف دولة الاحتلال، بشكل رسمي، إلّا بـ780 ألف دونم، فيما شطبت الباقي بوصفها أراضيَ صودرت مسبقاً. وهكذا، وبدل الاعتراف بالمُلكية، جمّدت إسرائيل عملية التسوية، وطوّرت قانونياً ما يُعرف بـ«عقيدة النقب الميت»، والتي تقوم على اعتبار جميع الأراضي أراضيَ مُواتاً بحسب القانون العثماني، ولذا فهي «أراضي دولة»، وبالتالي أهل السبع ما هم إلّا «معتدون على أراضي الدولة». وفي المقابل، أقرّت الحكومة التعويض البسيط على المتعدّين، مهدّدةً إيّاهم بخسارة قانونية كاملة ومصادرة جميع أراضيهم، وبالذات بعد أن صادقت المحكمة الإسرائيلية العليا على «عقيدة النقب الميت».

اعتمدت الحكومة الإسرائيلية والقضاء الإسرائيلي فقط على قانون الأراضي العثماني الموروث من عام 1858، والذي يتناول مسألة الأراضي الموات في مادّتين رئيسيتين منه (6 و103)، تُقدّم كلّ منهما تعريفات تكميلية مختلفة لهذه الفئة، ما يفضي إلى تصنيف قانوني موسّع ومتداخل وغير موحّد. فالمادة 6 تصنّف تلك الأراضي باعتبارها «المحلات الخالية الواقعة بعيدة عن القرى والقصبات، بدرجة لا تُسمع بها صيحة الشخص ذي الصوت الجهير من أقصى العمران، أي التي تبعد عن أقصى العمران مسافة ميل ونصف ميل أي مقدار نصف ساعة، وهي ليست في تصرّف أحد وغير متروكة ولا مخصّصة للأهالي». وفي المقابل، تنصّ المادة 103 على أن «مَن يحيي الأرض الموات له الحقّ بها». لكنّ القانون البريطاني منع ذلك، وطلب الموافقة المسبقة لإحياء الأرض، وإعطاء فرصة شهرين لمن يدّعي حقوقاً في الأرض المُوات لأن يقوم بتسجيلها.

أعادت الحكومة الإسرائيلية تفسير القوانين بشكل يتوافق ورؤيتها الهادفة لعدم الاعتراف بالملكية، وأهمّ ما ساقته في هذا الإطار أن القرية البدوية ليست نقطة قياس شرعية، وأن أي «قرية عصرية» يجب أن تكون قائمة منذ عام 1858، بالإضافة إلى أن الفرصة الأخيرة لتسجيل الأرض كانت سنة 1921، وليس على «البدو إلّا أن يلوموا أنفسهم» لعدم تسجيلها. سيطرت «عقيدة النقب الميت» على التعامل القضائي والرسمي بعدم الاعتراف بمئات الملفّات في بئر السبع. لكن، في ظلّ كلّ ذلك، حاولت الحكومات الإسرائيلية المتتالية الضغط على المدّعين وترغيبهم وترهيبهم من أجل قبول تعويض بسيط والتنازل عن الدعوى، لكنها فشلت وحلّت أقلّ من 20% من الدعاوى على مدى عشرات السنين وتحت تهديد الطرد والهدم. ومن ثمّ بدأت بدعاوى مضادّة ضدّ السكّان في المحاكم، مدّعية أن الأرض هي «أرض مُوات» بحسب القانون العثماني، وأن زارعيها هم «معتدون على أراضي الدولة».

أراضي الأطرش وسعوة

ما جرى من مواجهات في الأسابيع الأخيرة تركّز في قرية سعوة، وفي أراضي عائلة الأطرش بشكل خاص. وجاءت هبّة أهالي سعوة بعد هبّات عديدة أخرى سبقتها، مثلاً في قرية العراقيب، وطويل أبو جرول، وبير هدّاج، وأم الحيران وغيرها. أمّا ما حرّك الأحداث فهو عمليات تشجير من قِبَل «الصندوق القومي اليهودي»، بتفويض من «سلطة أراضي إسرائيل»، المكلّفة «حراسة وحماية الأرض»، من أصحابها الذين سكنوها مئات السنين وفلحوها وقاموا برعي ماشيتهم فيها لعقود، منذ ما قبل تأسيس «دولة إسرائيل». بالأساس، مذكّرة التسوية الرقم 989 (دعوى مُلكية) التي قدّمها الجدّ سليمان الأطرش في السبعينيات، هي واحدة من آلاف دعاوى المُلكية التي قدّمها أهالي بئر السبع. وفي حالة عائلة الأطرش، لم تبتّ إسرائيل في الدعاوى، كما لم تبتّ في آلاف غيرها حتى اليوم. وعلى الرغم من جهود العائلة القانوني لمنع الاعتداء على الأرض حتى يتمّ تسجيلها، فإنها فشلت في ذلك؛ إذ تتعامل إسرائيل مع تلك الأراضي وكأنها خاصّتها، وتقود، عبر «الصندوق القومي»، عملية تجريف مساحات شاسعة من المزروعات، واقتلاع أشجار الزيتون، وغرْس أشجار بديلة مكانها.

ولشرعنة نشاطها هذا، تُنكر إسرائيل فعل المصادرة. فمِن منظورها، هذه الأراضي هي «أرض مُوات»، أي أنها ليست بحوزة أحد، ولا يزرعها أيّ شخص، ولا حق لكائن فيها غير الدولة. وترى في مَن سكنها مئات السنين مجرّد عابري سبيل رُحّالاً مرّوا من هناك، أو ربّما زرعوها لكنهم كانوا مخالفين للقانون مُعتدين. أمّا الحقيقة، فهي أن العشائر البدوية سكنت ديرة بئر السبع وبلاد غزة لمئات السنين، وبلغ عدد أفرادها عشرات الآلاف. وكانت تفلح وتزرع وترعى الغنم وتتاجر وتتحوّل وتؤسّس علاقات اجتماعية وتجارية مع غزة والخليل وحُج والعريش والعقبة وسيناء ومدن وقرى وعشائر مختلفة.

أراض موات وصحراء قاحلة؟

في أقلّ تقدير، وحتى بحسب التقارير السرّية للجمعيات الصهيونية، فقد فلحت العشائر البدوية العربية في بئر السبع ما بين 2,5 و 3,5 ملايين دونم، غالبيتها من الشعير والقمح والبطيخ والذرة والأشجار. اشتُهر شعير جنوب فلسطين بجودته، وكان يتمّ تصدير أغلبه إلى أوروبا، وخصوصاً بريطانيا، عبر نحو 40 سفينة يومياً، منذ نهاية القرن التاسع عشر. ووصلت تقديرات صادرات الشعير مثلاً، حتى الحرب العالمية الأولى، إلى 60 ألف طنّ، في ما لا تستطيع الكيبوتسات والمشاريع الزراعية الإسرائيلية مضاهاته حتى اليوم. هي إذاً أراضٍ سكنتها العائلات، عرفت حدودها، باعتها واشترتها، وورثتها وورّثتها لمَن بعدها، أرهنتها، دفعت ضرائبها أو لم تدفعها، وكلّها لها

خريطة عثمانية للمنطقة

> **ما يجري اليوم في بئر السبع هو ما جرى في فلسطين طوال الوقت وبوتائر مختلفة**

> **سكنت العشائر البدوية ديرة بئر السبع وبلاد غزة لمئات السنين، وبلغ عدد أفرادها عشرات الآلاف**

أسماء وتاريخ وتضاريس. هي أراضي العشائر والعائلات بالفطرة وبالحق وبالقانون أيضاً، حيث ينصّ القانون العثماني على أن مَن يفلح الأرض عشر سنوات له الحقّ فيها، ومن يُحيي الأرض المُوات ـ أي يزرعها ـ له الحقّ فيها أيضاً. حاول العثمانيون، على الأقلّ منذ سنة 1891، وبحسب قرار مجلس الشورى العثماني، تسجيل ما قدّروه بخمسة ملايين دونم عثماني للعشائر البدوية. وقدّر البريطانيون، في آخر تقرير رسمي لهم قبل مغادرة فلسطين، أنه إذا ما وصلت عملية تسوية الأراضي قضاء بئر السبع فإنه سيتمّ تسجيل مليوني دونم على الأقلّ باسم أصحابها العرب.

أحصى تقرير سرّي لهخشرات هيشوف، سنة 1919، المساحات والأراضي التابعة لكلّ عشيرة - سواءً المزروعة أو مساحات الرعي -، وعدد رؤوس الغنم ونوع الزراعة، والعائلات ومشايخها. وفي سنوات الثلاثينيات، عندما بدأ «الصندوق القومي اليهودي» يولي اهتماماً لقضاء بئر السبع، شرع في توسيع عملية شراء الأراضي من أصحابها الذين يحملون السندات القانونية، وفي حال لم تتوافر لديهم هذه السندات، يتمّ التوجّه إلى مكتب تسجيل الطابو في غزة وبئر السبع لتسجيلها ومن ثمّ بيعها. وصلت المساحات التي اشتراها الصندوق وغيره من الأفراد والمؤسسات اليهودية والصهيونية إلى نحو 100 ألف دونم إلى ما قبل 1948. وفي سنة 1952، أسّس وزير القضاء الإسرائيلي لجنة للنظر في مسألة مُلكية الأراضي لبدو النقب، كان من بين أعضائها الثلاثة يوسف فايتس، مدير قسم الأراضي والتحريش في الصندوق، والمشهور بدوره في سياسة هدم القرى الفلسطينية والترانسفير. خلُصت اللجنة، في تقريرها المختصر السرّي في 20 تشرين الأوّل 1952، بشأن الأراضي المفلوحة والمزروعة لبدو النقب الذين بقوا «داخل إسرائيل» إلى ما يلي: «فالحقيقة المعروفة أنه خلال حقبة الانتداب، سُجّلت مساحات شاسعة من الأراضي باسم البدو، على أساس الدليل القائل إنهم كانوا يزرعون تلك الأراضي طيلة فترة التقادم، ونُقلت ملكية مساحة معتبرة من هذه الأراضي، بعد تسجيلها، إلى الصندوق القومي اليهودي]، وإلى شركات يهودية أخرى وإلى أفراد يهود. ولذلك، تنطوي هذه المسألة على المئات من السوابق، ونحن نرى أن حكومة إسرائيل لا تستطيع أن تتجاهلها، وينبغي لها ألا تتجاهلها... فمن الممكن تماماً أن البدو يملكون الدليل الذي يثبت حيازتهم لمساحات كبيرة أخرى... وفي نتيجة نقاشنا، توصلنا إلى النتيجة التالية: (أ) نرى أن ينبغي للمرء ألّا يتحاشى الاعتراف بحقوق البدو في ملكية تلك الأراضي التي يستطيعون أن يقيموا الدليل على أنهم كانوا يتعهّدونها بالزراعة على مدى فترة طويلة (فترة التقادم)».

موجة الاستيطان الثالثة

«جعْل الصحراء مزهرة»، «جعل فلسطين مزهرة»، «تطوير النقب»، أو «سلطة القانون»... كلّها ذرائع تاريخية مستمرّة لشرعنة المجهود الصهيوني في تهويد فلسطين. وما يواجهه النقب في العقدَين الأخيرين بشكل خاص، هو موجة جديدة من التهويد، من حيث تأسيس البلدات اليهودية الجديدة، الاستيطان فيها، التجريف، المصادرة، وأيضاً هدم البيوت بوتيرة عالية جداً، تفوق حتى ما يجري في الضفة الغربية والقدس الشرقية بأضعاف، ضمن سباق مع الزمن. صحيح أن إسرائيل لم تقرّر في الآف الدعاوى، ولكنّها أيضاً لا تستطيع الانتظار لحلّها أو تقديم دعاوى مضادّة لها، بالنظر إلى أن العائلات الفلسطينية تستمرّ في التكاثر والزراعة. والجدير ذكره، هنا، أن سياسة إعادة التشجير لا يتمّ تنفيذها حتى بحسب المعايير الإدارية القانونية الإسرائيلية بما يشمل التخطيط والبناء، فيما يوصف الفلسطينيون، في كلّ الحلقات الرسمية، بأنهم «عائق أمام التطوير»، أي أمام مشروع التهويد الصهيوني. وتدّعي «سلطة أراضي إسرائيل»، أمام المحكمة، أنها لا تستطيع السماح لمن ادّعى المُلكية من العرب، أن يستمرّ في حيازة الأرض وزراعتها، لأن هذا سيعيق بشكل جدّي مشاريع البنية التحتية وإقامة المستوطنات في النقب، على الرغم من أن القانون الإسرائيلي نفسه يمنح حقّ حيازة الأرض بالتقادم، كون «الكنيست» عمد إلى تغيير قانون التقادم مراراً لمنع العائلات الفلسطينية من اكتساب حقوق المُلكية في الأراضي.

ما يجري اليوم في بئر السبع هو ما جرى في فلسطين طوال الوقت وبوتائر مختلفة، من الجليل والساحل، إلى وسط الضفة وشرق القدس، إلى جنوب فلسطين... والقائمة تطول. لكنّ الفارق الآن أن الحكومة الإسرائيلية باتت تلعب على المكشوف، معتبرة أنها ليست بحاجة إلى مفاوضات أو إرضاء بعض المشايخ. لكنّ السياسيين الإسرائيليين الذين يتوجّهون إلى المنطقة ليزرعوا الشتلات تحت حراسة مئات عناصر الشرطة والسلاح والآليات العسكرية والآليات الثقيلة، لا يفتأون يواجَهون حتى من الأطفال الفلسطينيين، الذين يعرفون تراب سعوة وخشم زنّة والعراقيب ووادي النعم وكلّ ديرة بئر السبع، حقّ المعرفة، رغماً عن أنف القانون الإسرائيلي وخرائط «الصندوق القومي اليهودي».

* باحث فلسطيني

البلاد

ذاكرة الأرض

«الحيّ أبْقى من الميت»، على هذه القاعدة يجري التعامل مع المعالم الأثرية في قطاع غزة، والتي تكاد لا تحظى باهتمام يُذكَر، بالنظر إلى ظروف الحصار الخانق المفروض على القطاع، وغياب التمويل المطلوب لمشاريع الاكتشاف والترميم. مع ذلك، تعود تلك المعالم لتطلّ من وقت إلى آخر، مُذكِّرةً الغزّيين بأن مدينة كاملة يبلغ عمرها مئات السنين، ما زالت مدفونة في باطن أرضهم، مثلما حدث أخيراً لدى إيقاف العمل في مشروع المدينة المصرية في بيت لاهيا

مدينةٌ لا يطّلع عليها أحد

آثار غزة... «كان صرحاً من خيال فهوى»

غزة ــ **يوسف فارس**

على رغم الحاجة الماسّة إلى بناء وحدات سكنية جديدة بعد أربع حروب مدمّرة شنّها العدو الإسرائيلي على قطاع غزة خلال الأعوام الماضية، إلّا أن وزارة السياحة والآثار في القطاع أوقفت، مطلع الشهر الجاري، العمل في مشروع إنشاء المدينة المصرية الواقعة في مدينة بيت لاهيا شمال غرب غزة، عازيةً ذلك إلى العثور على بقايا قبر من العهد الروماني، اضطرّتها للتحفّظ على المنطقة، تمهيداً للبدء بأعمال الفحص والاستكشاف. وبعيداً من الدلالات السياسية التي قد يحمّلها البعض لحدث كهذا، يعيد الحديث عن القبور الرومانية التي نُهبت مقتنياتها قبل أن تلتفِت وزارة السياحة والآثار إليها، تسليط الضوء على عشرات المواقع الأثرية المكتشَفة في القطاع، والتي لا تمثّل أساساً سوى نقطة في بحر ما يؤكد المختصّون وجوده هناك. وبحسب التقديرات، فإن مدينة تراثية كاملة يبلغ عمرها مئات السنين، ما زالت مدفونة في باطن الأرض، لكن هموم الحياة المتزايدة وتقلّبات الوضع السياسي وضعت حضارة المدينة وتاريخها على رفّ الاهتمامات. وعلى قاعدة «الحيّ أبْقى من الميت»، لا يفكّر أحد بحضارة الأموات حينما يبحث الأحياء عن الحياة.

> **تفيد إحصائيات وزارة السياحة لتردُّد قرابة الـ300 ألف زائر على قصر الباشا، المتحف الوحيد في غزة**

في البلدة القديمة في غزة، تُطلّ القِباب والجدران كشواهد القبور. ربّما هي كذلك، لأن البنايات الحديثة لم تُبقِ من البلدة التي يمتدّ تاريخها لآلافِ السنين، إلّا قليلاً من البيوت والمساجد والكنائس و الجدران الأثرية، التي تُذكّر بعراقة المكان.

بين الأزقّة، يجلس العجائز محتفظين بمهنة آبائهم. هنا، تتوحّد قسمات وجه «أبو أحمد» مع جدار قديم يُسند عليه ظهره. يبتسم لرؤيتنا قبل أن يشير بيديه: «تفضّل يا صحافي». ومن دون أن ينهك نفسه بالتفاصيل، يصبّ الشاي من براد نحاسي سيخبرنا في ما بعد أنه ورثه وعدداً من الأواني من أجداده المماليك، الذين كانوا يسكنون منزله الملاصق لمسجد «كاتب ولاية»، يوماً ما. نشرب الشاي المغليّ بعناية، وأمامنا بلاطة المسجد الرخامية القديمة المثبّتة على قوس مدخله، تخبرنا بأنه بُني في عهد السلطان المملوكي محمد بن قالون سنة 707 ميلادي.

وقبل أن نمعن النظر في الخطّ الكوفي العريق على رخامة «كاتب ولاية»، شيء ما يشدّ رأسنا للأعلى، حيث تحتضن مئذنة المسجد التاريخي الصليب الملاصق لها، من دون أن يفصل بينهما سوى حائط قديم، تماماً كما لم يفصل بين فلسطينيّة سكّان غزة في حرب عام 2014 أيّ معتقد أو دين. ففي باحة كنيسة القديس برفيريوس، احتمت أكثر من 750 عائلة من القصف. يتذكّر جبر الجلدة، وهو مدير العلاقات الدينية في الكنيسة التي يعود عمر بنائها إلى القرن الرابع الميلادي، بأن السكّان لجأوا إلى الكنيسة بعد أن اشتدّ القصف على أحياء القطاع. يومها، لم تسلم من الحرب بيوت الناس ولا مساجد الله، فاحتموا في الكنيسة لأكثر من عشرين يوماً. يتابع الجلدة في حديثه مع «الأخبار»: «لم نشعر بأن هناك فرقاً، كان المسلم يجهّز نفسه للصلاة في باحة الكنيسة، وأخوه المسيحي يؤمّن له الماء كي يتوضّأ».

عبر درج رخامي قديم، نزلنا إلى الكنيسة القديمة المطمورة أسفل سطح الأرض بخمسة أمتار. بين مغطس التعميد والصلبان وصور العذراء، كان القسّ يحدّث طلاب مرحلة ابتدائية جاؤوا في رحلة مدرسية، عن تاريخ التسامح الديني بين مسلمي غزة ومسيحيّيها، وتحديداً يوم أعطى المسيحيّون المسلمين، المسجد العمري الكبير الذي كان يُعرف سابقاً باسم كنيسة حنا المعمداني. يعزّز الباحث التاريخي، محمود الغفري، كلام الراهب بأن الأعمدة الرومانية التي بُني منها المسجد العمري هي ذاتها التي بُنيت منها الكنيسة، وكانت قد جُلبت من روما القديمة لغرض بناء أديرة العبادة المسيحية في فلسطين. يُشير الغفري، في حديثه إلى «الأخبار»، إلى أنّ كنيسة برفيريوس التي نزلنا إليها، قد بُنيت أصلاً بمستوى سطح الأرض، وكان يُصعد إليها عبر درج يرتفع عن السطح عدّة أمتار، ما يعني أن غزة القديمة التي تحيطها الأسوار المنيعة، ما زالت بكلّ آثارها ومعالمها تحت أقدامنا، لكن مَن يبحث عن حضارة أُمم مضت، إذا فقد الأحياء مقوّمات حياتهم؟

حين تتنقّل بين ما تبقّى من معالم غزة القديمة، تشعر وكأنّك تتنقّل ما بين العصور. حسناً، أنت الآن في حمام السمرة السياحي، الذي بُني في العصر العثماني عام 1300 ميلادي. وهناك، على قارعة حيّ الدرج، سوق كيسارية الأثرية الذي يعود إلى العصر المملوكي عام 1260 ميلادي. وفي حيّ الشجاعية، يقابلك مسجد الظفردمري الأثري المملوكي. وإلى الشمال، شرق مخيم جباليا، تقع الكنيسة البيزنطية التي يعود تاريخ بنائها إلى عام 444م، وهو أقدم تاريخ سَجّل النصوص الكتابية السبعة عشر، إذ تمّ الكشف عن قدر كبير من الكتابات الأثرية في أرضيات الكنيسة الفسيفسائية ومداخلها. وعلى امتداد مساحة القطاع، ينتشر أكثر من 200 موقع أثري جرى اكتشافها على مدار عشرين عاماً مضت. يشرح أحمد البرش، وهو نائب مدير عام السياحة والآثار: «تتنوّع المواقع الأثرية بين التلال والقصور والمساجد والكنائس والحمامات والبيوت الأثرية». ويضيف: «تُمثّل هذه المواقع السجلّ الحضاري لمدينة غزة، لأنها تسجّل تاريخ الحضارات التي تعاقبت على الحياة في هذا المكان».

وعلى رغم أهمية التراث بالنسبة لشعب يتعرّض لاحتلال يستهدف طمس تاريخه وهويّته، إلّا أن الاهتمام الحكومي بالمناطق الأثرية يكاد يكون معدوماً. إذ إن جزءاً كبيراً من آثار المدينة ما زال مطموراً تحت طبقات الأرض، كما أن هناك مواقع أثرية أُجريت فيها حفريات أولية كشفت عن كنوز تراثية كبيرة، ولم تكتمل عملية الحفر فيها بسبب ضعف التمويل، وهو ما يعلّله وكيل وزراة السياحة والآثار السابق في غزة بأن عملية التنقيب مكلفة، وتعتمد على الكادر البشري ذي المهارة العالية، فيما لا تسمح الموازنة الحكومية المحدودة بالقيام بمثل هذه المشاريع الضخمة. كذلك، يفرض الانقسام والحصار تبعاتهما على القطاع التراثي؛ فبحسب محمد خلة، لم تعُد الجهات الدولية التي ترعى مشاريع الترميم والاكتشاف تتواصل مع وزارة السياحة في غزة، إذ قطعت «اليونسكو»، مثلاً، تواصلها المباشر مع الوزارة منذ الانقسام، لأسباب سياسية تتعلّق بشرعية عمل الأخيرة.

عشرات المواقع الأثرية اكتُشف وجودها وأعيد طمرها بسبب ضعف التمويل، لكن دير القديس هيلاريون، المكتشَف في بلدة النصيرات وسط القطاع، حظِي بميزة الاكتشاف الكامل. الدير، الذي يعود تاريخ بنائه إلى العهد البيزنطي (329هـ)، بدأت عمليات التنقيب فيه عام 1992، ثمّ تتابعت بعد قدوم السلطة الفلسطينية إلى القطاع عام 1995، لتستمرّ لاحقاً بتمويل فرنسي على مدار عشرين عاماً. في المقابل، بقي قدر كبير من آثار تل رفح الأثري، المتاخم للحدود المصرية مع غزة، والذي يتربّع على مساحته 160 دونماً، دفين التراب؛ إذ يقف ضعف التمويل حائلاً أمام استمرار العمل فيه، بعدما تواصلت أعمال التنقيب داخله على مدار خمس سنوات، وأدّت إلى اكتشاف الآلاف من القطع الأثرية، إضافة إلى عشرات الجدران والمعالم والأعمدة الثابتة التي يعود بعضها إلى العهد الروماني، فيما يقدّر المختصون وجود معالم تراثية هائلة لم يجر اكتشافها بعد. وتحتاج عملية التنقيب إلى طواقم عمل متخصّصة قد يستغرق عملها عشرات السنين، إضافة إلى خبراء الآثار الذين ينعدم وجودهم في غزة، وعادةً ما تستقدمهم المؤسّسات الدولية الراعية لعمليات الاكتشاف والترميم.

وعلى رغم ما يُتوهّم من عدم اهتمام المجتمع الغزّي بالتراث والآثار، إلّا أن إحصائيات وزارة السياحة تكشف عن تردُّد قرابة الـ300 ألف زائر على قصر الباشا، المتحف الوحيد في غزة منذ افتتاحه قبل ثلاث سنوات. وهو ما يمثّل بالنسبة للمختصّين، عدداً جديراً بالفخر، قياساً إلى التعداد الإجمالي لسكّان القطاع، وانعدام حركة السياحة الخارجية إليه بسبب الحصار المفروض عليه منذ ستة عشر عاماً.

أحوال غزة

«الأونروا» تتنصّل من تعويضات 2014: فات أوانها!

غزة ــ **رجب المدهون**

بعد ثماني سنوات على عدوان «الجرف الصامد»، تخلّلتها حرب جديدة عام 2021، بدأت «وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين» (الأونروا) تتملّص من تعهّداتها بإعادة إعمار المنازل المُدمَّرة خلال حرب عام 2014، بذريعة أنّ الدول المانحة لم تَعُد مهتمّة بالتعويضات وإعادة البناء. وكانت «الأونروا» حصرت الأضرار الناجمة عن تلك الحرب، ووضعت قوائم بأسماء المتضرّرين. ومع تأخّر التمويل، طلبت من هؤلاء التوقيع على إقرارات بقيمة الأضرار، ودعتهم إلى إصلاحها على حسابهم، على أن يتمّ التسديد لهم لاحقاً عند الحصول على الأموال اللازمة. لكن اللاجئين تفاجأوا، أخيراً، بإصدار الوكالة تصريحاً مفاده أنّ الدول المانحة ترفض التسديد لمتضرّري 2014، لأن «الأمر مضى عليه ثماني سنوات وأصبح قديماً».

وفي ردّها على ذلك، أعلنت «اللجنة المشتركة للاجئين» «(أنّنا) نرفض هذا البلاغ شكلاً ومضموناً، ونضعه في خانة استمرار إدارة الأونروا والمفوّض العام بالمماطلة والتسويف ومحاولة التنصّل والتهرّب من التزامات إعادة الإعمار، والتي لا تسقط بالتقادم». واتّهمت دائرة شؤون اللاجئين في «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين»، بدورها، «الأونروا» بـ«التنصّل من مسؤولياتها تجاه متضرّري عدوان 2014»، مؤكّدة أن «كلّ المؤشرات تُدلّل على أنّ إدارة الوكالة وضعت هذا الملفّ في الأدراج المُغلقة». وعلى رغم كلّ النداءات والضغوط على الإدارة من أجل اقتطاع جزء من موازنتها لهذه الأسر المكلومة، إلّا أنّ «الأونروا تُصرّ على المماطلة والكذب والتهرّب من هذا الاستحقاق، وإطلاق حجج واهية»، بحسب «الجبهة الشعبية»، التي رأت أيضاً أنّ الوكالة «همّشت هذا الملف المهمّ والعاجل لصالح ملفّات أخرى ثانوية بدعوى الأزمة المالية، على رغم أنها هي نفسها كانت قد صرفت جزءاً من التعويضات بعد العدوان، في خضمّ معاناتها من أزمة مالية خانقة وشحّ التمويل في تلك الفترة». ودعت الدائرة «المفوض العام للأونروا ومدير العمليات وكلّ المعنيّين، إلى وقف سياسة الإهمال بحق هذه العائلات الفقيرة التي تحتاج إلى صرف تعويضات عاجلة وفق آلية صرف دورية، تأخذ بعين الاعتبار احتياجاتها، خصوصاً في ظلّ الأوضاع المعيشية والاقتصادية الصعبة، والأحوال الجوّية الشتوية».

ويتجهّز اللاجئون المتضرّرون لتنفيذ سلسلة فعاليات احتجاجية على إدارة «الأونروا»، وذلك استكمالاً لتحرّكات متواصلة ضدّ الوكالة في قطاع غزة، منذ سنوات.

تحت الاحتلال

لا تزال محاولات السلطة الفلسطينية الانفكاك من سياسة الاحتجاز الإسرائيلي للبريد الوارد إليها، تواجه عقبات عديدة، على رأسها امتناع الشركات الأجنبية التسويقية عن الاعتراف بالترميز البريدي الخاص بها إلى الآن، ما يسبّب مشكلات كثيرة للمتسوّقين الفلسطينيين من المواقع العالمية، وعلى رأسها «علي إكسبرس» التابع لشركة «علي بابا» الصينية

متاهة التسوّق «أونلاين»... حتى «علي إكسبرس» ينغّص على الفلسطينيين!

عبدالله عبيد

على رغم إعلان وزارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات التابعة للسلطة الفلسطينية، مطلع شباط الجاري، إطلاق مشروع الترميز البريدي الخاص بها، في خطوة كانت تأمل أن توقف من خلالها احتجاز إسرائيل البريد الوارد إليها، لا يزال فلسطينيون كثر يشتكون عدم وصول البضائع والطرود التي يشترونها من مواقع تسويقية عالمية كـ«أمازون» و«علي إكسبرس». وكان مسؤول العلاقات الدولية في البريد الفلسطيني، عماد الطميزي، وعد بأن إطلاق البريد الوطني «سيمنع احتجاز إسرائيل الطرود البريدية الآتية إلى فلسطين، وسيساعد في تحقيق جدوى أعلى وأكثر دقّة وبيانات أوضح للمستفيدين». ورأى الطميزي أن هذه الخطوة تشكّل «إنجازاً وطنياً»، مشيراً إلى أن الخسائر التي تكبّدها البريد الفلسطيني نتيجة القرصنة الإسرائيلية «تجاوزت 43 مليون شيكل (نحو 13,3 مليون دولار) منذ عام 1994»، مضيفاً: «(أنّنا) رصدنا في عام 2020 أكثر من 7 آلاف انتهاك للمواد البريدية من الجانب الإسرائيلي، ما بين فتح طرود أو حجزها أو استدعاء أصحابها للتحقيق معهم».

لكنّ ولاء، وهي شابّة من محافظة نابلس، تقول إنها تواصلت مع «علي إكسبرس» في تشرين الثاني الماضي للحصول على بعض المنتَجات، وبعدما أتمّت معاملتها ودفعت ثمن ما طلبته، تفاجأت بأن أغراضها لم تصل حتى الآن. وتضيف، في حديث إلى «الأخبار»، أن هذا التأخير دفعها إلى التواصل مع خدمة الزبائن الخاصة بالموقع، ليتمّ إبلاغها بأنه جرى إيقاف طلبها بسبب الترميز البريدي. وتلفت الشابّة إلى «أن وزارة الاتصالات الفلسطينية أعلنت قرار البدء بالترميز البريدي مطلع العام الجاري (...)، وأنا قمت بشراء منتجات من علي إكسبرس في شهر تشرين الثاني الماضي، أي قبل إصدار القرار»، مطالبةً «بتسليم الطرود للجانب الإسرائيلي»، أو «العمل على حلّ هذه المشكلة من جانب وزارة الاتصالات، أو استعادة أموالي التي دفعتها هباءً». والجدير ذكره، هنا، أن الشحنات البريدية المُوجَّهة إلى الفلسطينيين لا تزال تصل حتى اليوم عبر إسرائيل أو الأردن، حيث يتمّ فرزها ومن ثمّ ترسَل إلى أراضي السلطة، ما يعني تأخُّر وصولها إلى أصحابها.

ويشير خليل مطر من غزة، والذي تسوّق عبر موقع «أمازون» في شباط 2020، بدوره، إلى أنه لا يُسمح للفلسطينيين بالتسوّق إلّا عند إدراج إسرائيل عنواناً لتلقّي الطرود، التي تعرِض الشركة شحنها مجاناً إلى المستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية. ويقول مطر، لـ«الأخبار»، إنه اشترى بعض البضائع من «أمازون»، ووضع الرمز البريدي للسلطة الفلسطينية، ولكنّ الشركة طلبت منه وقتذاك الحصول على مبلغ مقابل الشحن، مضيفاً أنه «إذا وضعنا إسرائيل، يتمّ شحنها مجاناً». وبدأت شركة «أمازون» بالبيع في إسرائيل في تشرين الثاني 2020، وهي تُوفّر خدمة الشحن المجاني لسكّان المستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية للطلبات التي تزيد قيمتها على 49 دولاراً. وبحسب صحيفة «فايننشال تايمز» البريطانية، فإن الشركة الأميركية تشترط على الفلسطينيين وضع إسرائيل عنواناً لهم لتلقي الخدمة المجّانية ذاتها، وفي حال وضع «المناطق الفلسطينية» في خانة العنوان، فإنهم سيدفعون رسوم شحن وتغليف تزيد على 24 دولاراً. واعتبرت الصحيفة أن «أمازون» تمارس تمييزاً عنصرياً صارخاً ضدّ العملاء على أساس جنسيّتهم.

من جهتها، تفيد رئيس «جمعية حماية المستهلك»، فيحاء البحش، بأن الجمعية تلقّت خلال العام الجاري أكثر من 120 شكوى من المواطنين في جميع المحافظات الفلسطينية، بخصوص التعامل مع التجارة الإلكترونية. وتوضح البحش، في حديث إلى «الأخبار»، أن «الشكاوى التي وردتنا من بعض المواطنين كانت بخصوص الترميز البريدي، حيث إنهم لم يعرفوا أن هناك رمزاً فلسطينياً خاصاً»، مبيّنة أن «هذا الرمز لم تعترف به الشركات الأجنبية التسويقية حتى الآن، وبالتالي ترتفع كلفة السلعة»، مضيفة أنه «إذا اشتريْت السلعة نفسها ووضعت الرمز الإسرائيلي فإن سعرها يختلف عمّا إذا وضعت الرمز الفلسطيني، الذي قد يصل معه السعر أحياناً إلى الضعف». وتلفت البحش إلى أنه «على رغم دفع تكلفة عملية الشحن، لم يتمّ إدخال هذه البضائع»، متابعة أن «حماية المستهلك» تواصلت مع وزارة الاتصالات بهذا الخصوص، مطالبةً الوزارة بإبرام اتفاقيات مع شركات «الأونلاين» العالمية، من أجل تسهيل معاملات الطلبات الخاصة بالفلسطينيين.

إزاء ذلك، يكشف وزير الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، إسحاق سدر، أنه «تمّ حلّ المشكلة مع شركة أمازون الأميركية، لكنها لا تزال عالقة مع موقع علي إكسبرس الصيني»، مشيراً إلى أن وزارة الاتصالات تبحث هذا الموضوع عبر مفاوضات مع شركة «علي بابا». ويقول سدر، في حديث إلى «الأخبار»«(إنّنا) لن نتعامل مع أيّ بريد غير معنوَن بفلسطين وليس فقط الرمز»، مضيفاً أن «أيّ شركة تنتهج هذا الطريق العنصري سنقف ضدّها وسنتعامل معها بهذا الأسلوب». وكانت صحيفة «جيروزالم بوست» العبرية قد ذكرت، نهاية العام الفائت، أن شركة التجارة الإلكترونية الصينية العملاقة «علي بابا» لن تسمح بعد الآن للمتسوّقين الفلسطينيين بالشراء عبر موقعها «علي إكسبرس»، لأن «خدمات البريد التابعة للسلطة الفلسطينية ترفض التعامل مع الطرود التي تحتوي على كلمة إسرائيل في العنوان». والجدير ذكره، هنا، أن الرمز البريدي الذي يتمّ الحصول عليه من خلال موقع إلكتروني أطلقته وزارة الاتصالات والمعلومات الفلسطينية، يحمل أرقاماً لأماكن السكن، يبدأ كلّ منها بحرف P، في إشارة إلى كلمة فلسطين باللغة الإنكليزية.

> **تلقّت «جمعية حماية المستهلك» خلال العام الجاري أكثر من 120 شكوى من المواطنين**

لا يُسمح للفلسطينيين بالتسوّق إلّا عند إدراج إسرائيل عنواناً لتلقّي الطرود (أ ف ب)

العالم
فلسطين

أوصت المؤسسة الأمنية الإسرائيلية بزيادة حصّة غزة من تصريحات العمل (أ ف ب)

تل أبيب تتدارك التصعيد بتصريحات عمل إضافية للغزيين

غزة ـ رجب المدهون

تـوازيـاً مـع تـصـاعُـد تـهـديـدات الفصائل الفلسطينية بخصوص الوضع في مدينة القدس المحتلة، سارعت دولـة الاحـتـلال إلى إقـرار تسهيلات جديدة لصالح قطاع غزة، منْعاً لاندلاع مواجهة جديدة مع القطاع. وفي هذا السياق، أوصت المؤسسة الأمنية الإسرائيلية بزيادة حصّة غزة من تصريحات العمل داخل الأراضي المحتلّة بحدود ألفَي

> التزمت سلطات العدو بزيادة التسهيلات الممنوحة للغزّيين من أجل ضمان حالة الهدوء

تصريح، على أن تتمّ مضاعفة العدد لاحقاً، فيما أعلن المندوب القطري، محمد العمادي، صرف دفعة جديدة من المنحة القطرية للعائلات الفقيرة في القطاع.

وبحسب ما نقله الوسطاء إلى حركة «حماس» خلال المباحثات الأخـيـرة، فقد الـتـزمـت سلطات العدو بزيادة التسهيلات الممنوحة لـلـغـزّيـين من أجـل ضـمـان حـالـة الهدوء، وذلك عبر رفع عدد العمّال المسموح لهم بالعمل داخل الضفة الغربية والأراضي المحتلة، إلى 12 ألـفـاً بـعـدمـا كـان أقَـلّ مـن 10 آلاف، وفق مصادر مطّلعة تحدّثت إلى «الأخبار». وتشكّلت، أخيراً، لجنة من وزارتَـي العمل في القطاع والضفة، لفرز أسماء العمّال الذين ستُصدر لهم تصاريح، في وقت أعلنت فيه المتحدّثة باسم وزارة العمل في غزة، منال الحتة، أنه سيتمّ توزيع الدفعة الأولى من التصاريح على مديريات الوزارة في محافظات القطاع، وأنّ عـدداً آخـر كـبـيـراً سـيـصـدر خـلال الأسابيع المقبلة. وعلى خطّ موازٍ، أعلن رئيس «اللجنة القطرية لإعادة إعـمـار غـزة»، محمد الـعـمـادي، أنّ اللجنة، وبالـتـعـاون مـع «صـنـدوق قطر للتنمية»، ستبدأ صرف دفعة شباط من المساعدات النقدية للأسر المتعفّفة في القطاع، بـدءاً مـن يـوم الأحد المقبل، بواقع 100 دولار لكلّ عائلة.

وعلى رغم هذه التسهيلات، وتأكيد المؤسّسة الأمنية التابعة للاحتلال أن الهدوء في الجنوب غير مسبوق بـعـد تـسـعـة أشـهـر عـلـى مـعـركـة «سيف القدس»، إلّا أنّ ثمّة تقديرات إسرائيلية بأن المقاومة الفلسطينية تُـركّـز حـالـيـاً عـلـى اسـتـراتـيـجـيـة «اسـتـغـلال الـهـدوء بـهـدف تـعـظـيـم قوتها العسكرية»، وأنها لن تكون في عجلة من أمرها، بحسب تل ليف رام، المحلّل العسكري في صحيفة «مـعـاريـف» الـعـبـريـة، ووفـقـاً لـتـلـك التقديرات، فإنه في حـالـة حـدوث تصعيد في المسجد الأقصى وشرق الـقـدس والـضـفـة الـغـربـيـة فـي أنّ واحد، فسيكون من الصعب جداً أنّ تبقى غزة صامتة، بل يُعتقد داخل المؤسّسة الأمـنـيـة الإسـرائـيـلـيـة أنّ «حـمـاس» تـحـاول جـرّ تـل أبـيـب إلـى مواجهة مع القطاع، بعد إشعالها الجـبـهـات كـافـة، اعـتـقـاداً مـنـهـا بـأن ذلك «يرهق قوات الأمن»، كما يقول ليف رام.

وفيات

اعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه
طلب رفـيـق رشـيـد الـحـلـبـي بصفته الشخصية سندات تمليك بدل ضائع للعقار 1832/ 4 و5 و6 و7 بشامون.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في عاليه
ليليان داغر

.....

اعلان

من أمانة السجل العقاري في بعبدا
طلب محمد أحمد عساف المشتري من عطاالله جميل شعيتو سند ملكية بدل ضائع للعقار G 29/297 برج البراجنة.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في بعبدا
نايفه شبو

.....

اعلان

صادر عن دائرة تنفيذ النبطية
برئاسة القاضي أحمد مزهر
في المعاملة التنفيذية رقم 2021/153
طالب التنفيذ: دعد جميل نعمة بوكالة المحامي محمد حجازي
المنفذ عليه: نـازك خـلـيـل المعالقجي العكاوي ورفاقها.
السند التنفيذي: الحكم الصادر بتاريخ 2020/1/28 بالرقم 26-ش-2020 عن اعتبار محكمة بداية النبطية والمتضمن اعتبار العقار 66/حبوش غير قابل للقسمة عيناً بين الشركاء وبإزالة الشيوع فيه بينهم وطرحه للبيع بالمزاد العلني وتوزيع الثمن وفق مندرجات الحكم.
المعاملات: تاريخ التنفيذ: 2021/6/8
تاريخ تبليغ الإنذار: 2022/1/12
العقار الموصوف:
2400 سهماً من العقار 66 من منطقة حبوش العقارية عبارة عن قطعة أرض بعل سليخ غير مزروعة قليلة الانحدار.
مساحته: 3056 م2
التخمين: 122240 د.أ.
الطرح: 122240 د. اميركي أو ما يعادله بالعملة اللبنانية
الرسوم المتوجبة: رسم الفراغ والدلالة
مكان المزايدة وتاريخها: نهار الخميس الواقع فيه 2022/4/28 الساعة 11:00 ظهراً أمام رئيس دائرة تنفيذ النبطية.
تطرح هذه الدائرة للبيع بالمزاد العلني العقار الموصوف اعلاه، فعلى الراغب بالشراء إيداع بدل الطرح في قلم الدائرة بموجب شيك مصرفي منظم لأمر رئيس دائرة تنفيذ النبطية واتخاذ محل اقامة له ضمن نطاقها وإلا عد مقاماً مختاراً له ما لم يكن ممثلاً بمحام، وعليه الاطلاع على قيود الصحيفة العينية للعقار المطروح ودفع الثمن والرسوم ضمن المهلة القانونية تحت طائلة متابعة التنفيذ على عهدته.
رئيس القلم
حسن أيوب

.....

اعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه
طلبت جورجينا الياس الهبر وكيلة جوزيف سليم خلف لمورثه سليم جوزف خلف سند تمليك بدل ضائع عن حصته في العقار 1171 عاليه.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في عاليه
ليليان داغر

.....

اعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه
طلبت ايمان جميل شهاب بصفتها الشخصية سند تمليك بدل ضائع للعقار 3185 قسم 15 عرمون.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في عاليه
ليليان داغر

.....

اعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه
طلب رائـد عـبـاس ابـي الـمـنـى بصفته الشخصية سندات تمليك بدل ضائع للعقارات 468 شانيه و2070 و2496 مجدلبعنا.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في عاليه
ليليان داغر

.....

اعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه
طلب اهاب نظير قرضاب وكيل منى فؤاد سلمان لمورثها فؤاد محمد سلمان سند تمليك بدل ضائع للعقار 1904 الرملية.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في عاليه
ليليان داغر

.....

اعلان

صادر عن دائرة تنفيذ النبطية

الأخبار
وظيفة شاغرة
هل انت خرّيج فنون مسرحيّة او تشكيليّة؟
هل تتمتع بملكة التعبير من خلال الكتابة؟ هل انت مهتم بدخول مجال النّقد التشكيلي او المسرحي او الإعلامي؟
تُعلن «الاخبار» عن حاجتها إلى كتّاب ومتعاونين في المجالين المذكورين. للراغبين، إرسال السيرة الذاتية ونماذج من كتاباتهم على البريد التالي: Hr@al-akhbar.com

إعلانات رسمية

برئاسة القاضي أحمد مزهر
في المنفذ عليهم علي موسى فقيه، حسين وامير وحسن ومحمود وجعفر ومحمد ورقية وابراهيم وخديجة ومريم علي شقور وعلي محمود ناصر الدين ومحمد محمود ناصر الدين وكامل محمود ناصر الدين وليلى حسين ناصر الدين وزين العابدين وفوزي ونظمية محمد حسين ناصر الدين وهاني حيدر الشقور وخديجة واسماعيل وامنه وحسين وحسن حيدر الشقور وزهرة ومريم ونور وسمر علي قاطبي وزينب ويوسف وفاطمة وعدنان أحمد قاطبي وزينب محمد حسين ناصر الدين وفاطمة علي شقور ونسرين احمد الحسيني وابتسام حسن ناصر الدين وعلي ونوال وزهرة ومحمد وحسن وابراهيم ومريم سعيد ناجي ونعمان ابراهيم ناصر الدين وسكنة داوود ناصر الدين وفدوى ابراهيم شهاب وخديجة وسعيد وخليل أحمد ناجي وجواد ويوسف واحمد وفاطمة ويحي وعلي محمد مزهر وحيدر وعلي ومحمود وفاطمة وزينب وعلي محمد الشقور ونور الصباح وخديجة وفاطمة محمد الشقور وكامل نعيم ناصر الدين وعلي ومحمود وابراهيم وخديجة وحسن كامل ناصر الدين وجميلة كامل ناصر الدين ونسيب ونسيبة وزينب واحمد وبديعة وعلي وصفاء وابراهيم ونعيم ورقية وايوب محمد ناصر الدين، مجهولي محل الاقامة، وعملاً باحكام المادة 409 أ.م.م. تنبئكم هذه الدائرة بأن لديها بالمعاملة التنفيذية رقم 2021/422 والمتكونة بين علي سعيد ظاهر وبينكم إنذاراً تنفيذياً بموضوع الحكم الصادر عن المحكمة الابتدائية في النبطية رقم 32/ش/2020 تاريخ 2020/4/28 والمتضمن اعتبار العقار 1109 كفررمان غير قابل للقسمة عيناً وبإزالة الشيوع عن طريق طرحه للبيع بالمزاد العلني على اساس سعر الطرح المحدد بمبلغ 292200 دولار أميركي أو ما يعادله بالليرة اللبنانية وتوزيع الثمن وفق مندرجات الحكم.
وعليه تدعوكم هذه الدائرة للحضور لديها شخصياً أو بواسطة وكيل قانوني لإستلام الأوراق ومرفقاتها تحت طائلة إنفاذ ما ذكر أعلاه بإنقضاء 20 يوماً تلي النشر مضافاً اليها مهلة الإنذار.
مأمور التنفيذ
فاطمة سلهب

.....

اعلان

تعلن كهرباء لبنان عن رغبتها في إجراء استدراج عروض لتلزيم أعمال الصيانة الدورية والطارئة على خطوط النقل الهوائية.
يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور اعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان ـ امانة السر ـ في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه، مبنى كهرباء لبنان – طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 300 ل.ل.
تسلم العروض باليد إلى امانة سر كهرباء لبنان ـ في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه، مبنى كهرباء لبنان – طريق النهر.
علماً إن آخر موعد لتقديم العروض هو نهار الجمعة الواقع في 2022/3/4 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11,00 قبل الظهر.
بيروت في 2022/2/15
بتفويض من المدير العام
مدير الشؤون المشتركة بالانابة
المهندس واصف حنيني
التكليف 60

.....

اعلان

تعلن كهرباء لبنان بأن مهلة تقديم العروض لتشغيل وصيانة معملي ديـر عـمـار والـزهـرانـي لـمـدة خـمـس سنوات، موضوع استدراج العروض رقم ث4ب/1617 تاريخ 2021/4/21، قد مددت لغاية يوم الجمعة 2022/4/1 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.
يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور اعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان ـ امانة السر ـ في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه، مبنى كهرباء لبنان – طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 300 ل.ل.
تسلم العروض باليد إلى امانة سر كهرباء لبنان ـ في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه، مبنى كهرباء لبنان – طريق النهر.
علماً إن آخر موعد لتقديم العروض هو نهار الجمعة الواقع في 2022/3/4 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11,00 قبل الظهر.
بيروت في 2022/2/15
بتفويض من المدير العام
مدير الشؤون المشتركة بالانابة
المهندس واصف حنيني
التكليف 60

.....

اعلان

تعلن شركة كهرباء لبنان الشمالي المغفلة – القاديشا عن تمديد مهلة استدراج العروض المتعلق بإعادة بناء الجزء المنهار من قناة جر المياه الى معمل بلوزا 2 المائي التابع للقاديشا ضمن وادي قنوبين (أشغال الهندسة المدنية)، وذلك وفق المواصفات الفنية والشروط الادارية المحددة في دفتر الشروط الذي يمكن الحصول على نسخة عنه لقاء مبلغ مئتا الف ليرة لبنانية (تضاف TVA) من دائرة الشؤون المشتركة في مركز الشركة في البحصاص ما بين الساعة 8 صباحاً و12 ظهراً من كل يوم عمل بإستثناء يوم الجمعة لغاية الساعة 11 ظهراً.
تقدم العروض في أمانة السر في القاديشا – البحصاص.
تنتهي مدة تقديم العروض يوم الخميس الواقع فيه 3 آذار 2022 الساعة 12 ظهراً ضمناً.
مدير القاديشا
المهندس عبد الرحمن مواس
التكليف 58

.....

اعلان

صادر عن دائرة تنفيذ النبطية
برئاسة القاضي أحمد مزهر
في المعاملة التنفيذية رقم 2018/736
طالب التنفيذ: حسن حسين
المنفذ عليهم: أمين إبراهيم فرحات ورفاقه.
السند التنفيذي: الحكم الصادر بتاريخ 2018/1/16 بالرقم 2018/2 عن جانب محكمة بداية النبطية والمتضمن اعتبار العقار 841 من منطقة كفررمان العقارية غير قابل للقسمة عيناً وطرحه للبيع بالمزاد العلني على اساس سعر الطرح وتوزيع الثمن وفق مندرجات الحكم.
المعاملات: تاريخ التنفيذ: 2018/11/19
تاريخ تبليغ الإنذار: 2019/2/16
العقار الموصوف:
2400 سهماً من العقار 841 من منطقة كفررمان العقارية عبارة عن قطعة أرض صخرية لا بناء عليها.
مساحته: 5060 م2
التخمين: 632500 د.أ. أو ما يعادله بالعملة الوطنية
بدل الطرح بعد التخفيض: 237723 د.أ. أو ما يعادله بالعملة الوطنية
الرسوم المتوجبة: رسم الفراغ والدلالة
مكان المزايدة وتاريخها: نهار الخميس الواقع فيه 2022/4/21 الساعة 11:00 ظهراً أمام رئيس دائرة تنفيذ النبطية.
تطرح هذه الدائرة للبيع بالمزاد العلني العقار الموصوف اعلاه، فعلى الراغب بالشراء إيداع بدل الطرح في قلم الدائرة بموجب شيك مصرفي منظم لأمر رئيس دائرة تنفيذ النبطية واتخاذ محل اقامة له ضمن نطاقها وإلا عد مقاماً مختاراً له ما لم يكن ممثلاً بمحام، وعليه الاطلاع على قيود الصحيفة العينية للعقار المطروح ودفع الثمن والرسوم ضمن المهلة القانونية تحت طائلة متابعة التنفيذ على عهدته.
مأمور التنفيذ

.....

REPUBLIC OF LEBANON
INVESTMENT DEVELOPMENT AUTHORITY OF LEBANON (IDAL)
AGRI PLUS» program»
expression of interest for international inspection companies for the provision of Quality control services

Dear Sirs
IDAL intends to procure "quality control services" of two (2) internationally recognized inspection companies within the framework of the "Agri plus" program. These services shall include the control of the origin, quality, packaging and quantity of the produces destined for export, as well as conformity with the lebanese and importing countries regulations. The duration of the services (2 years) shall commence on 01/04/2022 and terminate on 31/03/2024.
interested inspection companies/ offices can get the tender documents from IDAL ،starting 17/2/2022 till 25/2/2022, during working hours from 9:00 am till 1:00 pm, against a cash amount of /5,000,000/LL (only five million lebanese pounds). The completed technical and financial proposals must be delivered at the address shown below on or before 10:00 am beirut time on the 14/3/2022. the bidding offers will be open publicly at 12:00 pm on 14/3/2022 in the presence of the bidding committee members and the attending companies representatives.
التكليف 70

استراحة

كلمات متقاطعة 3962

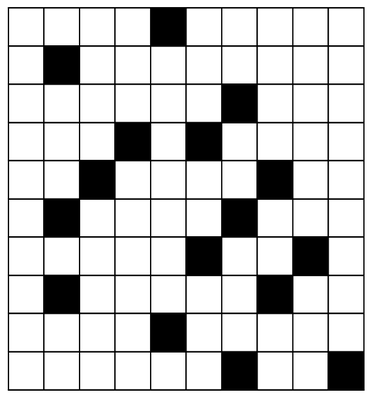

أفقيا

1- موقد – إناء فيه زيت له فتيلة يُستعمل للإنارة – 2- نسبة الى مواطن من بلد عربي – 3- يحفر البئر – إسم حمله عدد من ملوك أوروبا – 4- رفيقة طبوش في الرسوم المتحركة – من أعضاء الجسم – 5- فتى – برج ايطالي – سقي النبات – 6- فارق الحياة – عائلة مخترع المدسس – 7- عبودية – نناقش بقوّة – 8- صوت الطفل إذا بكى – لصيق الدار – 9- تجاهر – مختصر المنظمة الدولية للمعايير التجارية والصناعية – 10- اغلظ أوتار العود – مسرحية كوميدية للكاتب الفرنسي موليير

عمودياً

1- رئيس لبناني راحل – 2- إحدى القارات – أطناب منتشرة في الجسم – 3- نبعث – أصل – والدة – 4- نعم بالأجنبية – تهيّأ للحملة في الحرب – من الكواكب – 5- نزع الريش – تُقال في لعبة الطاولة – رجل أسطوري إشتهر بالنوادر – 6- إحدى الولايات المتحدة الأميركية – 7- شرائح – الردّ – 8- لعبة حربية استراتيجية – سيرة الشعوب – 9- شعر بعض الحيوانات – هيئة الملابس – 10- شهر هجري

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- زمان يا حب – 2- هورس – مراكش – 3- رز – رومانيا – 4- سهم – لي – 5- إيران – يا – 6- لالو – رسو – 7- خليل روكز – 8- قنا – رس – 9- ين – حي – بويك – 10- جورج قرداحي

عمودياً

1- زهرة الخليج – 2- موز – يال – نو – 3- أر – برلين – 4- نسر – أول – حج – 5- وسن – رقيق – 6- أمّه – جون – 7- حرامي – كابد – 8- بان – أرز – وا – 9- كيّل – ريح – 10- تشايكوفسكي

sudoku 3962

8		6				1	9	
		7		1				
	9		2		8		3	
			4			6		8
7	6		3		5	4		
	4				7			3
		2	1		3			5
6					9	3	8	
	8	9					4	

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 3961

7	2	3	6	4	9	5	1	8
9	5	4	1	3	8	2	7	6
8	1	6	2	7	5	4	3	9
3	4	2	7	9	1	6	8	5
1	6	8	5	2	3	9	4	7
5	9	7	4	8	6	1	2	3
6	7	1	8	5	4	3	9	2
4	8	9	3	6	2	7	5	1
2	3	5	9	1	7	8	6	4

مشاهير 3962

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

مذيعة وممثلة أردنية تعيش في الكويت. قدمت برنامج استديو الأطفال بعدها برنامج استديو الأبطال. اتجهت الى التمثيل. من اعمالها «عشرة عمر»

5+2+6+5 = 4+3+2+6 = غفلة النوم ■ 11+7+8+7 = خلاف ليل ■ 4+1+10+9 = طيور جارحة

حل الشبكة الماضية: **ليندسي لوهان**

إعداد
نعوم مسعود

الأخبار
al-akhbar
السبت 19 شباط 2022 العدد 4565

صورة وخبر

«سيزان... أنوار بروفانس» هو عنوان المعرض الذي انطلق، أمس في «أتلييه دي لوميير» في باريس، ليستمرّ حتى الثاني من كانون الثاني (يناير) 2023. الحدث المخصّص للرسّام الانطباعي الفرنسي الراحل بول سيزان (1839 ــ 1906)، يمنح الزوّار تجربة رقمية وغامرة متفرّدة، إذ يأخذهم في رحلة تكشف عن عذاباته الداخلية وقوّة أعماله ونهجه في الضوء واللون، إضافة إلى ارتباطه الوثيق بالطبيعة التي كانت مصدر إلهامه الأكبر، لا بل هوسه. ومن المعلوم أنّ سيزان الذي كان يرسم في الهواء الطلق، تطرّق إلى مواضيع عدّة، من بينها الطبيعة الصامتة، المناظر الطبيعية، البورتريهات... وترك تأثيراً بالغاً في العديد من الحركات والمدارس الفنية في القرن العشرين. (أ ف ب)

نزيه أبو عفش

يوميات ناقصة

أوراق

لا أحــبُّ الســتــائــرَ وأبــاجــوراتِ الشبابيك.
أخافُ، حتى قبلَ أنْ يقعَ اللّيل،
أنْ يأتيَ الصباحُ غداً
فيجدَ النافذةَ التي إلى جوارِ سريري مغلقةْ.

*

الإنسان، الإنسانُ الذي «نحنُ»،
لم يُخلقْ لكي ينام ، بل لكي يحلم...
يحلمَ بعينين مفتوحتين.

*

أَحَبُّ الأصحابِ إلى قلبي
أولئكَ الذين، على عكسِ كثيرِنا،
لا يستحونَ من كونهم ضعفاءَ وخَطّائين.
: مع هؤلاء أشعرُ أنني في مأمَن.

*

أحياناً، أحياناً كثيراً، يكون عدوّي على حقّ.
لكنْ، غالباً وغالباً، لا أجدُ الوقتَ الكافي للإنصاتِ إليه
ولا القلبَ الكافي لتصديقه.

*

رؤيــةُ الأرقــامِ الكبيرةِ تُشعِرُني بالثراء.
لهذا، يروقُ لي دائماً التَسَلّي بقراءةِ فواتيرِ الدائنين
وما سبقَ أنْ دفعتُهُ لِقاءَ إقامتي في منتجعِ الحياة
مِن الدموع، والشهقاتِ، وشظايا الأحلامِ الخائبة.

المفكرة

«عَ المسرح»: ورشة تمثيل وإخراج

■ أعلن «مسرح شغل بيت» عن إطلاق محترف التمثيل والإخراج المسرحي «عَ المسرح» (إشراف وتدريب المخرج شادي الهبر والممثلة مايا سبعلي/ الصورة)، بدءاً من الثامن من آذار (مارس) 2022. بعد 9 أشهر، ينتهي المحترف بعرض مسرحيّ للمشاركين مع شهادة تمثيل وإخراج. تشمل مراحل العمل الأساسية: إعداد الممثل (تمارين استرخاء، وضع الصوت على النفس، استعمال الجسد، ارتجال، تطوير الخيال، الصلة بين الممثّل وذاته، والممثّل الآخر والمكان، دراسة الشخصية والمحافظة عليها، الربط بين الشخصية والصوت والحركة ووضعية الجسم) والإخراج المسرحي (تركيب مشهد، الرؤية، الإيقاع، إدارة الممثّل، كتابة نص). علماً بأنّ آخر مهلة للتسجيل هي الإثنين 7 آذار.

محترف «عَ المسرح»: بدءاً من الثلاثاء 8 آذار المقبل. كلّ ثلاثاء. بين الساعة السابعة والعاشرة مساءً. «مسرح شغل بيت» (التحويطة. فرن الشباك/ قرب بيت الطبيب). للاستعلام: 70/989576

أيّ تأثير للانتداب على الفن اللبناني؟

■ ضمن فعاليات برنامج «بانوراما الفنون» الذي أطلقته «السبيل» قبل أشهر عبر منصّة «زوم» وخاصيّة «فايسبوك لايف»، سيُخصَّص نشاط الجمعية، يوم الثلاثاء المقبل للحديث عن «تأثير الانتداب الفرنسي على تحوّلات الفن في لبنان»، مع الناقدة التشكيلية والأكاديمية مهى عزيزة سلطان (الصورة). تهدف «السبيل» من خلال هذه اللقاءات الافتراضية إلى تناول مواضيع فنية بطريقة شاملة عن طريق استضافة اختصاصيّين، ليتمكّن الجمهور من التعرّف إلى فنون عدّة في لبنان.

«تأثير الانتداب الفرنسي على تحوّلات الفن في لبنان»: الثلاثاء 22 شباط (فبراير) الحالي. الساعة السادسة مساءً. عبر منصة «زوم» وخاصيّة البثّ المباشر على صفحة «السبيل» على فايسبوك (رابط المشاركة متوافر على موقعنا).

الشعب «غير مدعوم»

■ يوم الخميس المقبل، يدعو «نادي لكلّ الناس»، بالشراكة مع «مركز العلوم الاجتماعيّة للأبحاث التطبيقيّة»، لحضور الوثائقي القصير «غير مدعوم» الذي يحمل توقيع بريشي نالو (الصورة) ورنا عيتاني، في «دار النمر للفن والثقافة» (كليمنصو ـ بيروت). يتتبّع الشريط قصص «جميلة» و«سالم» و«أم خالد» و«إيلات» و«فاطمة» ونضالاتهم اليومية، موثّقاً التجارب المعيشية للأشخاص الذين يعيشون في لبنان، وكيف يتأقلمون مع الأزمات المستمرّة. يلفت القائمون على العمل في إطار تعريفهم به إلى أنّ «إصلاح قطاع الضمان الاجتماعي من خلال مخطط موحّد يستند إلى دورة حياة وشموليّة، هو أولوية قصوى، خصوصاً في أوقات الأزمات المعقّدة في لبنان».

عرض وثائقي «غير مدعوم»: الخميس 24 شباط. الساعة السادسة مساءً. «دار النمر للفن والثقافة» (شارع أميركا. كليمنصو/ بيروت). الدعوة عامة. للاستعلام أو تأكيد الحضور: 03/888763

ولعانة مع ألين

■ تعود المغنية والممثلة اللبنانية الشابة ألين لحود (الصورة)، اليوم إلى NOW Beirut (الأشرفية) لتحيي حفلة لن يتمكّن حاضروها من التوقّف عن الرقص. في الموعد المرتقب، تقدّم الفنانة التي شاركت في الموسم الثالث من برنامج The Voice بنسخته الفرنسية ريبيرتواراً منوّعاً، تمزج فيه بين أعمالها الخاصة وأخرى راسخة في الأذهان، تتنوّع بين الشرقي والروك والبوب وغيرها من الأنماط. تشتهر ابنة الفنانة الراحلة سلوى القطريب بصوتها الجميل وإجادتها للغناء العربي والأجنبي، وبإشعال الأجواء خلال العروض الحيّة.

حفلة ألين لحود: اليوم السبت. الساعة التاسعة مساءً. NOW Beirut (شارع سليم بسترس. الأشرفية. بيروت). للاستعلام: 01/211122

الأخبار
al-akhbar

السبت 19 شباط 2022
العدد 4565 السنة السادسة عشرة
Samedi 19 février 2022 nº 4565 16ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

أنسي الحاج

لا يحضر إلا ما يغيب*

[ص: 4 ـ 5]

* من قصيدة «غيوم»

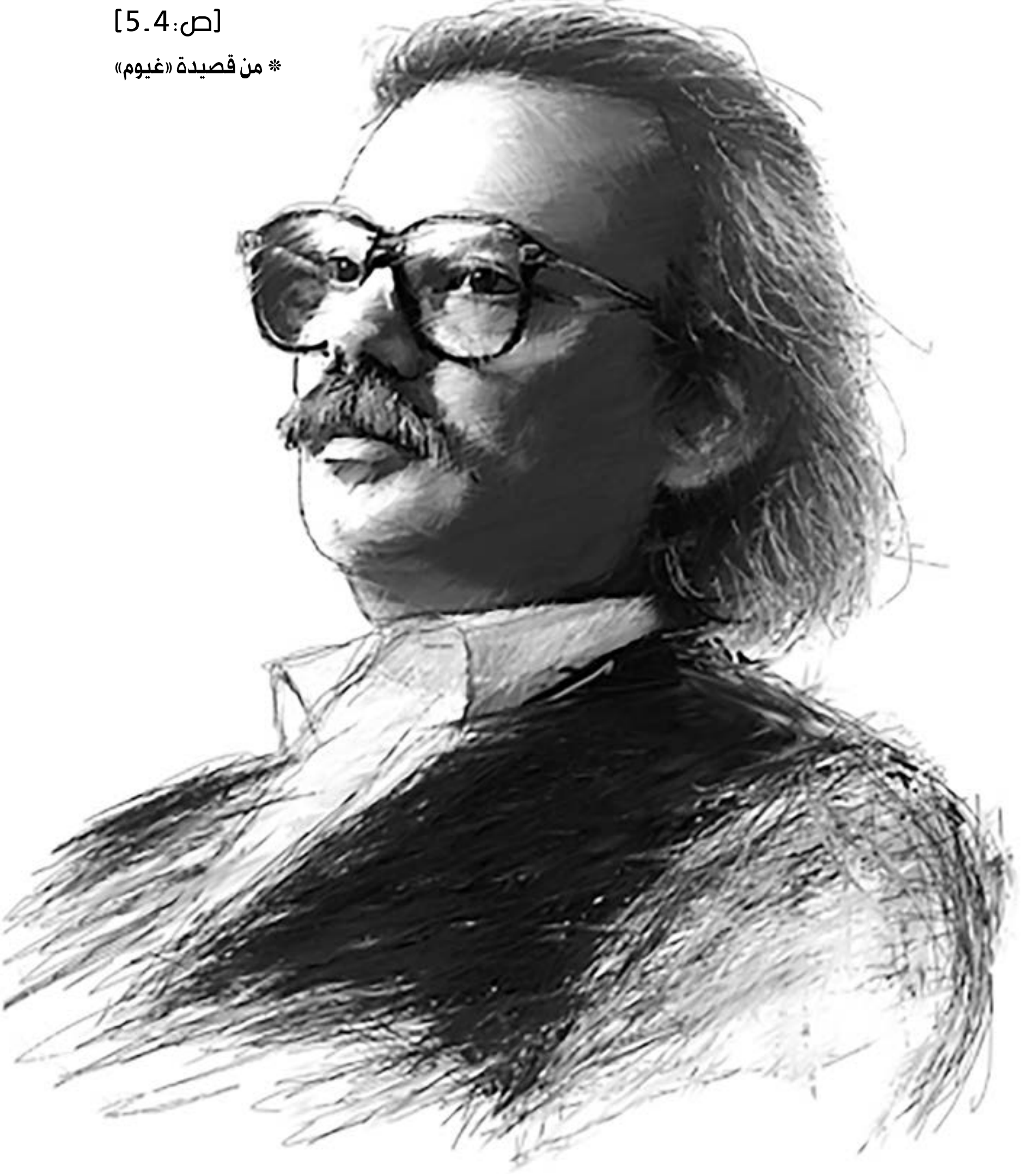

حوار

كتابه الجديد «حوارات في الثقافة والتاريخ»

خالد زيادة: لم يعد لأوروبا ما تقدمه للعرب

بين الكتابة التاريخيّة والتخييل الروائي، تتارجح سيرة المؤرّخ اللبناني خالد زيادة (1952). عمل، على مدار سنوات طويلة من الاشتغال الأكاديميّ، على التنقيب في قضايا وإشكالات تتعلّق بواقعيّة الفكر العربي الحديث والمعاصر. لذلك، برزت مؤلّفاته على شكل كتابة تحفر في سياقات الأفكار وتتابعها ومدى تبلورها داخل بعض المشاريع الفكريّة. كما أيطالعنا في كتابه «المسلمون والحداثة الأوروبية» الذي عمل فيه على تقديم قراءة في العديد من المتون الفكريّة ذات الاتصال بالفكر العربي. والحقّ انّ كتابات زيادة أقرب إلى الفكر منه إلى التاريخ. طريقته في عرض الأحداث وفهمها وطريقة تتبّع مساراتها يجعلها قريبة من التشكّل الفكري. الذي يقود القارئ إلى التفكير وطرح الأسئلة، بدل الانصياع بشكلٍ كلّي إلى قراءة تاريخيّة سرديّة تلهث وراء الأحداث السياسيّة والحالات الاجتماعية. من ثَمّ، فإنّ هذا النمط في بلورة رؤية جديدة للتاريخ تستعين بمناهج معاصرة أثبتت نجاعتها في تشريح الخطاب التاريخيّ الغربي، يستعيدها دوماً خالد زيادة باعتبارها مُختبراً فكريّاً تتبلور منه الأفكار والسياقات والمفاهيم. ورغم اهتمامه بالمجالين السياسي والاجتماعي، فإنّه استطاع في السنوات الأخيرة تأكيد أهميّة كتاباته وقُدرته على الغوص في مدارات أخرى تتعلّق بمسألة التحديث داخل الفكر العربي، من خلال طرق موضوع المدينة العربيّة وعلاقتها بمفهوم الحداثة ومسار التحديث. عمل في الكتاب على رصد جملة من التحوّلات، التي ألقت بصورفولوجية المدينة الإسلامية منذ تشكّل بواكيرها الأولى، عن مشروعه الفكري وعلاقته بالرواية وطبيعة الكتابة التاريخيّة وما يتّصل بها من قضايا الإسلام واوروبا والاستشراف. كان لنا هذا الحوار الخاصّ مع المؤرّخ اللبناني

تقديم وحوار **أشرف الحساني**

■ كنت من المؤرخين الذين اشتغلوا على التاريخ العثماني في حقبة باكرة من اكتشاف الحداثة الأوروبية، ما الذي توصلت إليه بخصوص هذه المرحلة، وكيف تقيّم طبيعة العلاقة بين الإسلام والحداثة الأوروبية في ذلك؟

ـ ينبغي في البداية الإشارة التي تفوت الكثير من الباحثين والمؤرخين وهي أن الحداثة مسار تراكمي، لا أيديولوجية أو فكرة أو منجز مكتمل. في مطلع القرن الثامن عشر تبدّى العثمانيون أن أوروبا قد امتلكت تقنيات عسكرية متقدمة، كما توصلت إلى علوم وابتكارات مفيدة. وقد أرسل الصدر الأعظم سفيراً إلى باريس ليقف على ما حققته فرنسا في هذه المجالات، لكن هذا السفير الذي وصل إلى باريس عام 1721 (قبل الطهطاوي بما يزيد على مئة سنة) لفتت انتباهه القصور والحدائق المنظمة والغبارات التي تصنع الزجاج، والمسارح والأوبرا والمرصد الفلكي. لكن السفير محمد جلبي أفندي، كان ما زال يعتقد بأن إسطنبول أضخم من باريس، وأن العادات الاجتماعية نقيض للعادات العثمانية. وفي ذلك التاريخ، كان النظام السياسي الفرنسي شبيهاً بالنظام السياسي العثماني، وكان لرجال الدين دور في الحكومة ورسم السياسات. والأهم من ذلك أن السفير قد زار باريس قبل أن تبرز أسماء مثل مونتسكيو، وفولتير وروسو، أي قبل عصر التنوير. من هنا كان تفكير الطبقة السياسية في إسطنبول ينصّب على الإفادة من التقنيات التي ظهرت في أوروبا، والهندسة العمرانية للقصور. بعد هذه الزيارة، دخلت الطباعة إلى عاصمة الدولة العثمانية عام 1727. الشخص الذي أوكلت إليه المطبعة هو إبراهيم متفرقة، وهو من أصل هنغاري اهتدى إلى الإسلام. كتب عام 1731 رسالة قصيرة ذكر فيها أن القوانين في أوروبا تتأسس على العقل وليس على الشريعة، وأن التنظيم أو التكتيك هو الذي يجعلهم يكسبون المعارك في الحروب. وفي سبعينات القرن الثامن عشر، كتب أحمد رسمي (رئيس الكتّاب وهو منصب يعادل وزير الخارجية) بعد زيارات قام بها إلى فيينا وبرلين، رسالة تضمنت أفكاراً تتلخّص في نقد المعتقدات التي تأسست عليها الدولة لجهة انتصار العثمانيين على الأوروبيين الكفار.

أسوق على هذه الوقائع لأقول بأن إدراك الحداثة الأوروبية قد تطور مع أوروبا ذاتها، فأوروبا لم تنجز الحداثة دفعة واحدة، وهو أمر ينبغي أن نضعه في اعتبارنا حين نتناول موضوع الحداثة.

وحين نصل إلى نهاية القرن الثامن عشر، سنجد أن أوروبا، قد أنجزت ثلاث ثورات كبرى هي الثورة الفكرية مع مفكري الأنوار والثورة الصناعية مع اكتشاف طاقة البخار والثورة السياسية التي قلبت الملكية وأرست أسس النظام الجمهوري. فأوروبا في مطلع القرن الثامن عشر، هي غير أوروبا مطلع القرن التاسع عشر حين زارها الطهطاوي، وعاصرها السلطان محمود الثاني (1808-1839) ومحمد علي باشا (1805-1848). وقد أقرت في تلك الفترة في أوروبا الدساتير الحديثة، والبرلمانات، ومبادئ الحرية، والمساواة. وسنجد صدى ذلك في عصر التنظيمات العثماني الذي بدأ مع الإصلاحات التي عرفت بخط كلخانة 1839، والذي أقرّ المساواة بين الرعايا العثمانيين. وهذا يعني باختصار أن الحداثة الأوروبية كانت تتغير وتتطور مؤسساتها السياسية كما تتطور خلالها الأفكار والعلوم الإنسانية والاجتماعية.

■ في السياق نفسه، ما طبيعة نظرة المسلمين إلى العالم الغربي وحداثته وكيف تطورت حتى وقتنا الراهن؟

ـ لا شك في أنّ التحديث العسكري والتعليمي أدّى إلى استبعاد المؤسسة الدينية، أكان في إسطنبول أو في القاهرة. بعد تعيينه والياً على مصر، طلب محمد علي باشا من العلماء أن يلتزموا التدريس في الأزهر. أما في إسطنبول، فقد سرت إشاعات في أوساط العلماء، بأن مؤسساتهم ستكون التالية بعد إلغاء قوة الإنكشارية والقضاء عليها عام 1826. ومع تطور وتوسع الإصلاحات والتحديثية، تقلّص دور العلماء في مجال التعليم والقضاء. من هنا فإن الأجهزة الدينية كانت حذرة من التحديثات والإصلاحات. مع ذلك، لم يمنع هذا من ظهور أصوات مسلمين تتبنى وجهة نظر مغايرة، فرفاعة الطهطاوي الذي أمضى خمس سنوات في باريس، كان يرى بأن المدينة الأوروبية بمعنى الحداثة الغربية لا تتعارض مع الإيمان. وكانت وجهة نظر خير الدين التونسي مؤلف كتاب «أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك» أكثر وضوحاً. إذ قال بأن المدنية الأوروبية تيار جارف لا بدّ من السير في مجراها في التنظيمات الحديثة. وقد عبّر في ذلك عن رؤية تاريخية عميقة، فقد كان شاهداً على انتشار هذه المدنية في كل أرجاء العالم وعلى توقفها في المجالات المتعددة. كتب خير الدين التونسي «(أقوم المسالك» عام 1867، إلا أنه عاش ليرى التطورات اللاحقة، وأبرزها احتلال تونس من جانب الفرنسيين. أدى استعمار مصر وتونس عام 1881، إلى إشكاليات لم تكن مطروحة من قبل، وكان العامل وراء بروز تيارات وأفكار لم تكن مطروحة بالنسبة إلى جيل الطهطاوي والتونسي. طرح السلطان عبد الحميد فكرة الجامعة الإسلامية لمجابهة التحديات الأوروبية، وكان ذلك بداية ما يمكن أن نسمّيه تسييس الإسلام، وهي الفكرة نفسها التي طرحها الإمام جمال الدين الأفغاني. ومن جهة أخرى، دعا الإمام محمد عبده إلى فصل الدين عن السياسة. وبمعنى أدق تحرير الإسلام من أي شكل من أشكال السلطة، وكان تأثيره كبيراً في البلاد العربية والإسلامية بصفته رائد الإصلاح.

لم يكن الإسلام إذاً في منأى عن التأثر بالتحديث. أثر الحداثة الأوروبية وتقدم الغرب أدّيا إلى طرح سؤال الإصلاح: لماذا تقدم الغرب وتأخر المسلمون؟ وهو عنوان لأحد كتب شكيب أرسلان. وهنا أيضاً نشأ تياران، الأول هو القائل بإصلاح التفكير الإسلامي. أما الثاني فهو الاتجاه الرافض لكل ما يأتي من أفكار ومبادئ من الغرب، وهذا الاتجاه هو الأصل في نشوء الحركات الإسلامية على تنوعها.

> كانت كتابة التاريخ عند الجبرتي وابن أبي ضياف وغيرهما، تنطلق من مقدمات دينية، إلا انها كانت قليلة الحمولات الأيديولوجية

■ تقول بأنّه لم يعد لأوروبا ما تقدمه للعرب، وهو عنوان أحد كتبك. ما الأساس المعرفي في السياق التاريخي والواقع العيني الذي احتكمت إليه في صياغة هذا الطرح الإستمولوجي؟

ـ كان تأثير أوروبا كبيراً ليس في العالم العربي والعالم الإسلامي، ولكن في كل أنحاء العالم. كانت أوروبا تتغير وتتطور حداثتها، وكان تأثيرها يتغير. في مرحلة النهضة العربية أو عصر التنظيمات العثماني، في أواسط القرن التاسع عشر، ظهرت الإصلاحية الإسلامية فاتنا ولم نجد له أصداء في عالمنا الفكري، هو أن أوروبا التي تخلّت عن الأيديولوجيات الشمولية من دون أن ننتبه إلى ذلك في حينه، كانت تجري مراجعة نقدية لأفكارها ولحداثتها وعقلانيتها. وبعد الحرب العالمية الثانية، كان السؤال العميق هو: كيف يمكن لأفكار التنوير أن تفضي إلى ظهور الفاشية والنازية وما سبّبته من مآس وشوكوك في العقلانية ذاتها. ومن هنا، نشأ نقدٌ للأفكار الشمولية والأفكار الكلية التي تفضي إلى الأحادية وترفض التعددية.

■ أين تضع الإنتاج الاستشراقي في هذا السياق؟ وكيف ننظر إلى الجهود التي بذلها المستشرقون في التعرف إلى التراث العربي؟ وأين تضع نقد الاستشراق في هذا السياق؟

ـ لقد انتشرت فكرة نقد الاستشراق في العقود الثلاثة الأخيرة. وهناك جانب محق في نقد النظرات الاستشراقية في الحقبة الاستعمارية. هذه النظرات التي صنعها سياسيون غربيون وباحثون انثروبولوجيون وصحافيون تنم عن استعلاء الرجل الأبيض في أفريقيا والهند والصين والعالم الإسلامي. إلا أن كل ذلك لا علاقة له بالجهود العلمية التي قام بها علماء أفنوا حياتهم في البحث في مجالات اختصاص تنتمي إلى العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية وعلم الآثار.

لقد برز علم الاستشراق الذي لا يختص فقط بالشعوب الإسلامية، لكنه يشمل الهند والصين وغيرها من شعوب آسيا، مع بروز العلوم الإنسانية في أوروبا بما في ذلك اللغة والتاريخ والآداب. ونعرف أن الجهود الأولى ترجع إلى القرن السابع عشر والثامن عشر مع ترجمة نصوص عربية إلى الفرنسية مثل جغرافيا ابن حوقل وتاريخ ابن خلدون وغيرهما من النصوص التي كان الناطقون بالعربية قد أهملوها، والدراسات الاستشراقية المبكرة نماذجها في العالم أجمع وفي عالمنا العربي، لم يعد لديها ما تقدمه في هذا المجال. يمكن أن نلاحظ اليوم تصاعد العنصرية في عدد من بلدان أوروبا، وازدهار الشعبوية. ومع ذلك، فإن فكرة الاتحاد الأوروبي تعكس تفكيراً براغماتياً يقوم على وعي مصالح دول أوروبا وتكاملها من دون حمولات أيديولوجية.

ويمكنني أن أضيف هنا، بأنّ ما فاتنا ولم نجد له أصداء في عالمنا الفكري، هو أن أوروبا التي تخلّت عن الأيديولوجيات الشمولية من دون أن ننتبه إلى ذلك في حينه، كانت تجري مراجعة نقدية لأفكارها ولحداثتها وعقلانيتها. وبعد الحرب العالمية الثانية، كان السؤال العميق هو: كيف يمكن لأفكار التنوير أن تفضي إلى ظهور الفاشية والنازية وما سبّبته من مآس وشوكوك في العقلانية ذاتها. ومن هنا، نشأ نقدٌ للأفكار الشمولية والأفكار الكلية التي تفضي إلى الأحادية وترفض التعددية.

في العديد من البلدان العربية. لكن هذه التيارات رأينا كيف تلاشت في أوروبا وفي العالم أجمع، وخصوصاً بعد انهيار الاتحاد السوفياتي والمنظومة الاشتراكية. وبهذا المعنى، فإن أوروبا التي قدمت أفكاراً للعالم في القرن التاسع عشر، وتيارات أيديولوجية انتشرت اعتنت باللغة والشريعة والتاريخ وبشكل عام بالحضارة. وقد ترافق ذلك مع صعود الرأسمالية وانتشار الأوروبيين في أصقاع العالم.

إنّ الجهود الاستشراقية تنتمي إلى ثقافة أوروبية نمت منذ عصر النهضة التي تتصف بالعقلانية، والحشرية، وحب الاستطلاع، والنقد. ويمكننا أن نقدم مثلاً ساطعاً على ذلك في علماء الحملة الفرنسية، الذين عكفوا على اكتشاف الآثار الفرعونية وتكللت جهودهم بنشر أعمالهم في مجلدات تحت عنوان «وصف مصر» قدمت مثالاً على جهود أشخاص أمضوا أوقاتاً في حرّ الصحراء لقياس ورسم هذه الآثار. من المحتمل أن بونابرت كانت لديه أطماع استعمارية، إلا أن التنقيب عن الآثار ودراسة عادات المصريين وموسيقاهم ومعتقداتهم هو حقل علمي ومعرفي اختصت به أوروبا وثقافتها التي من صفاتها حب الاستطلاع والاكتشاف.

ولا يمكن أن نعتبر أن دارس أدب يمضي سنوات من عمره في تحقيق «ديوان المتنبي» وكتاب «الحيوان» للجاحظ أو «تاريخ المسعودي»، يقوم بذلك لأغراض استعمارية بحت، فضلاً عن أولئك الذين تركوا مؤلفات عن الحضارة الإسلامية والعلوم الإسلامية. وحتى ستينيات القرن العشرين، كان مستشرقون وبمعنى أدق مستعربون يقدمون دراسات قيّمة عن الحضارة واللغة والتاريخ المتصل بالعرب والإسلام، قبل أن تتفشى موجة من التعصّب التي لم يكن للمستعربين دور فيها. ويمكننا أيضاً أن نقدّر جهود أولئك الذين أبدوا من الدأب والمثابرة من أجل الكشف عن مخطوط وتحقيقه أو التنقيب عن أثر. والأمر الذي لا نشير إليه عادة ويفوتنا ذكره، أنّ الدراسات الاستشراقية في المجالات المتعددة، يعكس أيضاً كسلنا في دراسة تراثنا المخطوط والكشف عنه وتحقيقه، وافتقارنا لروح المبادرة وقلّة صبرنا على التبحّر وتأخر معاهدنا وجامعاتنا.

■ هل الكتابة التاريخية استطاعت أن تقدم صورة من السياقات الاجتماعية والسياسية، أم أن الانثروبولوجيا أكثر قدرة على الإحاطة بذلك؟

ـ بالرغم من التطورات التي طرأت على كتابة التاريخ منذ مطلع القرن العشرين، تحديداً مع مدرسة الحوليات الفرنسية التي شرّعت الكتابة التاريخية أمام المقاربات الاقتصادية والاجتماعية والأنثروبولوجيا، إلا أن كتابة التاريخ مخاطرة كبرى، خصوصاً حين يبدأ المؤرخ عادة بطرح فرضيات وروى يريد أن يثبتها. لهذا يشبّه بعض النقاد الكتابة التاريخية بالإنشاء الروائي، أكثر مما هي عمل خاضع لشروط علمية. وينبغي أن نلاحظ أن ازدهار الكتابة ترافق مع نشوء الدولة القومية في أوروبا. ورأينا كيف استُخدم التاريخ لتبرير وجهات نظر لدعم اتجاهات أيديولوجية، إذا لم نقل عنصرية، ومن حسن الحظ أن أغلب هذه الأعمال قد أهملت ودخلت طي النسيان. وينطبق ذلك على الكتابة التاريخية العربية، التي تأثرت بمناهج الكتابة التاريخية لدعم اتجاهات أيديولوجية وسياسية من نوع كتابة السرديات الوطنية والقومية. وزادت في الأمر الاكتشافات الأثرية التي استُخدمت لتقديم سرديات تأخذنا إلى ما قبل ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف سنة لتبرير وقائع حديثة.

ومن هنا يمكن القول إن هذا النوع من التاريخ العربي، ينتمي إلى ما يسمى بالحقبات الطويلة أو أشبه بالروايات التي تبنى فيها آراء ومواقف بناءً على وقائع محدودة ومنفصلة ومتباعدة في الزمن.

مع ذلك، لا بدّ من التأكيد بأن أعمالاً جادة هنا وهناك تحاول أن تتفادى هذه الأعطاب المحيطة بالتاريخ وكتابته. في هذا المجال، يمكن الإشارة إلى الأنثروبولوجيا التي انتقلت طرائقها ومنهجياتها إلى الكتابة التاريخية حتى تثبت أنها قادرة على استيعاب نتائج أبحاث تدور في مجالات بحثية مستقلة كالاقتصاد والاجتماع. وأعتقد أن ما درج قبل بضعة عقود من التركيز على كتابة ما يسمّى بالحياة اليومية في روما في عصر أغسطس على سبيل المثال، هو مثال لهذا النوع من انتقال الحساسية الأنثروبولوجية إلى مجال التاريخ. وما يمكن قوله إنّ الأمور التي كان

> روايات نجيب محفوظ سجل على المجتمع المصري خلال فترة تمتّد من الخمسينيات وحتى مطلع القرن الحادي والعشرين

المؤرخ الكلاسيكي يهملها، دخلت اليوم في صلب الكتابة التاريخية. وأحد أولئك الذين استخدموا الأنثروبولوجيا هو الفرنسي جاك لوغوف، وله كتاب بعنوان: «الأنثروبولوجيا التاريخية»، وقد عمل خلال حياته على تقديم فهم جديد للعصور الوسطى الأوروبية. ما أريد أن أذكره هنا، على سبيل إعادة الاعتبار لأعمال المؤرخين العرب السابقين لعصر الحداثة، أمثال الجبرتي في مصر وابن أبي ضياف في تونس وغيرهم ممن سبقهم أن الكتابة لديهم، وإن كانت تنطلق من مقدمات دينية، إلا أنها كانت قليلة الحمولات الأيديولوجية، ويمكن كشف تحيزاتها بسهولة، إلا أن كتاب مثل «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» للجبرتي، هو منجم من المعطيات خصوصاً في الفترة التي كان شاهداً عليها، فهو يقدم لنا صورة عن مجتمع متحرك من أوجهه المختلفة. حياة التجار والعلماء والنساء والخصومات والتحالفات، بمعنى أن علينا أن نعيد النظر بهذه الأعمال ليس باعتبارها مصدراً للمعلومات الأولية التي يُعاد تدويرها، ولكن باعتبارها تواريخ قائمة بذاتها.

■ أخيراً، وطالما تحدثنا عن كتابة التاريخ، وبما أنك نشرت رواية تُصنّف في باب التاريخ، وهي «حكاية فيصل»، هل يمكن أن تنقل إلى القارئ تجربتك في هذا المجال؟

ـ من حيث تأسيس الرواية، فإنني اعتمدت على أعمال وكتب تدخل في باب التاريخ بما في ذلك المذكرات الشخصية. حرصت على التقيّد بالوقائع من دون أن أجمح في خيالي. لكن الأمر المختلف هو اللغة التي تستخدمها وكيفية توظيف الوقائع مع التركيز إذا جاز التعبير على الجوانب الإنسانية. واعتقد أن بعض الأعمال الأدبية والروائية مثل: «مذكرات أديان» لمرغريت يورسنار أو «الجنرال في متاهته» و«مائة عام من العزلة» لماركيز هي أعمال روائية وتاريخية في آن. صحيح أن الخيال الأدبي قد استُخدم في هذه الأعمال على نطاق واسع، إلا أن ما لفتني، في «الجنرال في متاهته» أنّ المؤلف وضع في نهايته بعض الملاحظات حول بعض الأخطاء التاريخية التي ارتكبها، كأنه بذلك يريد أن يعتذر عن هذه الأخطاء التي تزوّر التاريخ. ويمكن أن أقول إنّ كل رواية أقرب ما تكون إلى كتابة التاريخ، وخصوصاً مع مرور الزمن. يمكن اليوم أن ننظر إلى روايات نجيب محفوظ باعتبارها سجلاً على المجتمع المصري خلال فترة تمتّد من الخمسينيات وحتى مطلع القرن الحادي والعشرين. وبطبيعة الحال، فإن خصوصية الرواية تنهض على لغتها وأسلوبها. نعلم أن الرواية الحديثة قد وُلدت في القرن التاسع عشر. مع ذلك، فإن الرواية قد توسعت لتشمل الرواية البوليسية والنفسية البوليسية... وقد تطور أسلوبها. كانت في القرن التاسع عشر أقرب إلى المسرح حيث أبطال الرواية يتحدثون ويطيلون الحوار. أما الرواية اليوم، فقد تأثرت بالصورة السينمائية مع اختصار الحوارات، وتماسك الحبكة. وهذه القرابة بين الرواية والسينما سمحت بنقل أعمال روائية لا تحصى إلى عالم السينما.

رحلة (فكريّة) في عوالمه

يشغل خالد زيادة (1952) مكانة بارزة داخل التأليف العربي المعاصر. قاده حسّه النقدي إلى الانخراط في قضايا تاريخيّة تطاول المنظومة الفكرية العربية. قد يبدو للقارئ أنّ كتاباته تتّسم بالتنوّع على مُستوى المواضيع الفكريّة والسياقات التاريخيّة. لكنّ إذا صوّب الرؤية قليلاً، سيكتشف أنّها تحفر في مجالاتٍ غير مُفكّر فيها داخل التأليف العربيّ المعاصر وتتعلّق أساساً بحرفة الكتابة في علاقتها بالسلطة خلال العصر الوسيط، وعلاقة المسلمين بالحداثة الأوروبية، وكيفيّة تلقّي صدمة الحداثة وتمثلات الآخر في الوجدان الإسلامي. بهذه الموضوعات، يحاول إبراز العلاقات الدبلوماسية والسياسيّة والثقافيّة التي طبعت العالم الإسلامي بنظيره الغربيّ. ذلك أنّ مؤلّفات من قبيل: «الكاتب والسلطان» و«المسلمون والحداثة الأوروبية» و«الخسيس والنفيس» و«المدينة العربيّة والحداثة» تتّخذ من المنهج التاريخي أساساً لها ومن الهاجس الفكري نسقاً في التفكير، ومن التاريخ العربي الإسلاميّ أرضيّة خصبة للاشتغال، وتوطيد نوع من الفكر التاريخيّ الذي يربط تبلور الفكرة/ القضيّة/ الواقع/ الظاهرة بأحداثٍ تاريخيّة من خلال العودة إلى سياقاتٍ محددة. وإذا كان ابن مدينة طرابلس، قد حصل على الدكتوراه من جامعة السوربون عام 1980، فإنّ ذلك لم يكُن عاملاً له حتّى ينسى تاريخه وثقافته وذاكرته العربية الإسلامية. ظلّ زيادة حريصاً على تتبّع المسارات الجريحة والمُؤثّرات الخفيّة التي وسمت تاريخ العلاقة بين المسلمين والغرب.

يُعتبر كتابه الجديد «حوارات في الثقافة والتاريخ» (الريس ـ 2022) مناسبة للتّعرف إلى عوالم خالد زيادة. العمل عبارة عن حوارات معرفية مُطوّلة أسهم فيها العديد من الكتّاب والنقّاد العرب، ممن يُتابعون إنتاج زيادة الفكري وخلق نقاش فكري معه حول موضوعات مختلفة مثل: مصادر النظرة الإسلامية إلى أوروبا، والسجلّات الشرعية، وحرفة الفقهاء، والمثقفين وعلاقتهم بالسلطة السياسيّة، إضافة إلى ثيماتٍ أخرى ترتبط بالهاجس الفكري المتمثّل في الشعبوية والليبرالية والنظم الأحادية وحكم الشرع وثورة الإصلاح الديني ومفهوم الدولة، وصولاً إلى جماليّات المدينة العربيّة وطرق وكيفيات تمثلها لمفهوم الحداثة المعمارية داخل العالم الإسلامي.

ذكرى

شعراء وشاعرات يستحضرونه في ذكرى رحيله الثامنة

رسالة إلى أنسي الحاج: غـيومك التي علّمتنا فرح الزوال

توقّف قليلاً أيها الهارب بغيومك التي علّمتنا فرح الزوال، فعلبة رسائلك ممتلئة، أنت الذي كنتَ بيننا بكل جلال العابر، أنت الذي أردت لكائنات الفردوس أن تكون دائمة التجدّد رغم أبديّتها لئلا يكون المطلق مملاً: «كل ما أدريه هو أني، وأنا الهارب من موت الأشياء هنا، لا أريد أن ألقى موتها هناك. ولكن أيضاً لا أريد أن ألقى عكسه، عكسه وحده، محنّطاً في جموده، فاقداً جاذبية العابر. أقل ما أمله من الفردوس أن يجمع في كائناته، في هوائه وألوانه وأعماقه، مسافتَي الزمن والأبد». هي رسائل من أجيال وجدت في «لن» مانيفستو للرفض والحرية والعشبة الهوجاء التي تنتهك نظام الكتابة والعالم ولا جمال للحديقة إلا بها، وفي «الرسولة بشعرها الطويل حتى الينابيع» ينابيع الحب والشعر وربّات الإلهام التي طاردوها طويلاً، وفي «خواتمك» عنب العالم القديم وفضة تسيل من القمر، أنت الذي قال محمد الماغوط عنك يوماً: «الحرب قد لا تبكيني، أغنية صغيرة قد تبكيني، أو كلمة لأنسي الحاج (27 يوليو 1937ــ 18 فبراير 2014)». أجيال من الشعراء كنتَ قد خاطبتهم في رسائلك الأخيرة بما يشبه الوداع، وها هم ولا سيما جيل الشباب منهم، يبادلونك التحية والحب في ذكرى رحيلك الثامنة، فاهرب من موتك قليلاً لتنسل بين مسافتي الزمن والأبد وافتح رسائلهم لعلك تجيب عن السؤال الذي رميته علينا ككرة من اللهب: «ماذا صنعت بالذهب، ماذا فعلتَ بالوردة؟».

تقديم **محمد ناصر الدين**

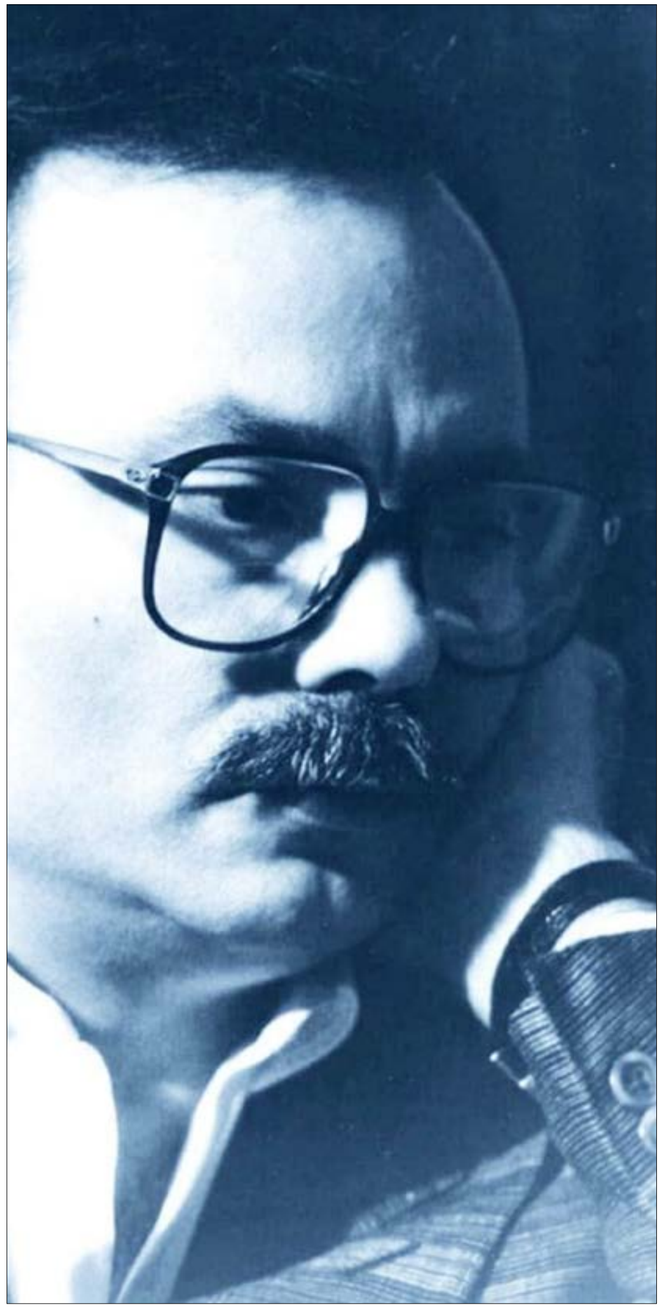

شعر الطواويس البيضاء

سمر دياب *

عزيزي أنسي

لو أردتُ أن أحيل شعرك إلى مصدر صفات خام لقلت إنّه شعر الطواويس البيضاء، التي لا تحتاج أن تطير كثيراً لتبهر، بل يكفي أن تقف وتستعرض حقيقتها. أشعر أنّ كل شيء في قصائدك أبيض. التمرّد والايروتيك والحب والألم، الغنائية هناك أيضاً بيضاء، ربما لأنه لون التاسيس، أبيض قصيدة النثر التي قدّمتها إليّ على طبق من فضة، حين تعلقت عيناي في سن مبكر بغلاف كتاب عليه كلمة بخط أحمر عريض. عدت بالكتاب بكل حماسة فتنة المراهقة المحبة للغة العربية وتبحث عن شعر جديد، تعرفه لكنها لا تعرفه. وجدت «لن» وكان الأمر كمن عثرت على كنز.

يدخل القارئ إلى قصائدك ليحتفي معك بثورته، وغالباً ما يخرج متصوّفاً. إنها تلك الثورة التي تجعلك تزهد بكل شيء سوى بالحلم والفكرة، حيث الرقة تدافع بضراوة عن ذلك المختبر الشعري العنيف، والغرابة هناك ليست هدفاً وتمايزاً، بل وسيلة لتحريك ماء اسن أغرق الشعر.

يُحسب لك أنك استطعت أن توازن بين ذلك التخلي المدوّي عن «نظام الشعر» وبين التمسّك ببنيان شعوري متين أبقى على طراوة القصائد وحماها من التخشب والسقوط، رغم أنها وحيدة. في اختلاف مراحل كتابتك، كانت ثمة عاطفة مفتوحة على مصراعيها، تستقبل الجموع لكن من بعيد، فهي من نفسها ولنفسها، وبقي طيف ماورائي يحوم في قصائدك ويمسك روحانية الشاعر بحرص، ولعل ذلك ما يجعل شعرك يحمل غواية التأمل.

أعود إلى قصائدك كل حين، كلما ملت إلى تبني مشاعر الخلاص الفردي وكلما أطفأني الحاضر واحتجت شعلة البدايات، ورغم أني لا أعرف أين تخبئ النار في شعرك وأين تخبئ الوردة، لكنهما هناك، في مكان ما، حاضرتان على الدوام، وكلتاهما بيضاوان.

إنّ الشعر هناك يشبه حلماً حارب وانتصر.

* شاعرة لبنانية (إسبانيا)

ما زلت انتظر أن تردّ على رسالتي

مروان علي *

عزيزي أنسي

كان ذلك في بداية الثمانينيات وأنا أبحث بين الكتب في المستودع الكبير لمكتبة «دار اللواء» لصاحبها أنيس حنا مديواية في القامشلي حيث عملت لسنوات قليلة خلال فترة دراستي الثانوية، وجدت أعداداً قديمة من مجلة «مواقف» و«الكرمل» وكتاب «لن».

لفت انتباهي العنوان بقوة. لم أنتظر وصولي إلى البيت، في الطريق كنت أقف وأقرأ من المجموعة. وحين وصلت إلى البيت الطيني في أطراف قدوربك قرب الحدود التركية، كنت قد التهمت المقدمة التي صدمتني وفتحت لي أبواباً في علاقتي بالقصيدة الجديدة وصار هذا الاسم (أنسي الحاج) حاضراً بقوة ودليلاً لي في قراءاتي. قرأت كل ما كتبتَه، أقصد ما استطعت أن أحصل عليه من كتبك ونصوصك وخواتمك ومقالاتك وأنا في قرية كردية نائية. أمِنَ الممكن أن يقع قارئ غرام مجموعة شعرية؟ هذا ما حصل لي مع «الرسولة بشعرها الطويل حتى الينابيع» (ليس هذا فحسب، بل صرت أقارن أي نص يقع تحت يدي وعيني دون دراية برسولتي وشعرها الطويل وينابيعها وجبالها).

عزيزي أنسي،

كم تمنيت لو أنك كنت كردياً، تمشي في شوارع القامشلي وتحت أشجار الحديقة العامة، تجلس وتقرأ لنا بالكردية قصائدك ثم تمشي لتشرب قهوتك في مقهى «كربيس» وقبل أن تصل إلى طاولتك التي لا يسمح النادل السرياني لأحد بالاقتراب منها خصوصاً الشعراء الشباب، تمر قرب مدرسة القادسية، حيث أجمل بنات القامشلي، ثم تأخذ طريقاً مختصراً عبر حارة الأرمن وتتأمل النوافذ والجميلات والشرفات في سوق اليهود.

حين وصلت إلى بيروت في بداية تسعينيات القرن الماضي بالصدفة وجدتك تمشي في شارع الحمراء. شال أحمر ومعطف كحلي طويل كنت في طريقك إلى امرأة... ربما غادَرتِ الكتابَ الذي أحبَّه (الرسولة بشعرها..) فوجدها تستحق أناقة الشاعر وعطره.

كتبت لك رسالة طويلة قبل سنتين وأرسلتها بالبريد المضمون إلى عنوانك في بيروت. حدثتك عن سوريا التي تحبها وعن حالها الآن وعن الحرية التي كنّا نريد لها أن تنقذنا فدفعتنا بكلتا يديها نحو الهاوية. صديقي وشاعري، لا زلت انتظر أن ترد على رسالتي التي لا بد أنها وصلت إليك. لا تضيع الرسالة حين تمضي إلى شاعر كان باباً من أبواب بيروت الجميلة رغم كل شيء.

* شاعر سوري (ألمانيا)

طب مقاماً في الوطن العميق

محمد الشركي *

العزيز السامق أنسي الحاج

في ذكرى إبحارك الكبير إلى عمق «الأيام الآتية» أبعث إليك باقة زهور برية من هذه السواحل. فاليوم توقد شمعتك الثامنة في عمرك الماورائي الطويل إلى ما لا نهاية. هناك حيث شاء لك «الذهب» و«الوردة» أن تكون، لأنك عرفت ما تفعله بهما حين سافر بهما قلبك إلى أقاليم ليلهما النوراني. وهناك حيث نبت البريق البدائيّ لـ «خواتمك» الفاخرة. لقد كنت وستبقى الأنيق الروح الذي تورط في مكنون العالم بما هو ألم عميق وفرح سحيق. أما الموت، فما هو سوى أرض بدايات أخرى للشاعر الذي يرتقي سلّم دمه العالي ليقفز ويرخص فرحاتاً ما وراء أسوار النهايات. طب مقاماً في الوطن العميق الذي تسهر عليه «الرسولة بشعرها الطويل حتى الينابيع».

* الرباط

حدود من العصافير

سالبي بغده صاريان *

عزيزي أنسي

ورقة خضراء صغيرة ترتعشُ جوارَ لوحة زيتيّة مُعلّقة على الجدار أمامي.

تقولُ الخضراءُ جدّاً:

« أرفضُ هذه الرّاحة» . تهمس لها اللوحة الندّيّة جوارها: «في بلادي... حيثُ الحدودُ عصافير... لا تنتهي الحدودُ بينَ ..بينَ ..» وتصمت ..

تتأمّلني خلسةً من خلف الكتُب وأنا أفتح علبة خشبيّة مُطعّمة بالصّدَف جلبتُها معي من حلب إلى فرنسا، كي تبقى الينابيع منسدلة مناسبة من بيتي هناك إلى بيتي هنا، تماماً كشعرِ جدّتي الأحمر الطويل.

في العلبة المُصدَفة خواتم مُرصعة برائحة أصابع أمّي، وخواتم مُنكّهة بزيت الكتّان والتربنتين وحفنة ورود مُجفّفة و...

.«ماذا صنعتَ بالذهب، ماذا فعلتَ بالوردة؟» تقولها بحسرة وتمضي للغرفة الأخرى الصامتة جدّاً، تملؤها بضوء فيروز، لأنكَ «خُلِقتَ خائفاً... لأنكَ تخافُ العتمة، فتُشعلُ ضوءاً فيه»!

أُغلقُ علبة «جماهير الخواتم» بسرعة.

أعرفُ أنّكَ تخشى الجماهير لأنها قطعان تدهسُ الأخضر واليابس من الروح، وتعشقُ الشعب، فقط الشعب!

أغلقُ العلبةَ وأفتحُ زجاجةَ خبّاتُ فيها نحلة أحضرتُها من غابةِ قريةٍ فرنسية صغيرة، أطلقُها على صفحاتِ «لـنْ»، لأنّها تستحقّ «الرّاحة المُستحقّة»!

أسألك للمرّة الأخيرة:

« ما هو الحُبُّ؟» لكنْ أرجوك، لا تقُل كما دائماً، أنّ الموتَ خيالُ الحياة، والحُبُّ خيالُ الموت، إلى أن يسقطَ العصفور!

لا تقُلها لأنّ الحُبَّ خيالُ صوتك يا أنسي.

الحُبُّ هي تلك العصافير التي غرَسْتَها كزّهراتٍ في أصيص، جوار بعضها البعض كحدودٍ بينَ وجهكَ ووجهها! وعلّمْتَني أنْ أضعَ فتاتَ خبزٍ في كلّ مكانٍ حولي كلّما اختنقتُ، كي تتبعثر الحدود وأعبرَ إلى الضّوء معكَ في كلماتك.

الورقة الخضراء الصغيرة على الجدارِ تحملُ اسمكَ أسفلَ «أرفضُ هذهِ الرّاحة».

«أنسي الحاج».

* شاعرة سوريّة (فرنسا)

لقد نجوتَ من الزمن باعجوبة

لوركا سبيتي *

عزيزي أنسي

نحن خسرناك زمناً ومسكناً ولكنك لم تخسر شيئاً حتى الآن، فالمزيد من العمر في هذا الوقت سيتساوى مع الصفر... أنسي الرقيق، لقد نجوت من هذا العالم باعجوبة، كما تحاول الطبيعة أن تفعل الآن وفي كلّ لحظة، النجاة، منا نحن الأشرار، قاطعي رؤوس الأشجار والمتحوّلين لفأس يلمع من فرط العتمة. أتذكّر حين قلت لي مرة: الحياة لعبة قمار والرابح من لا يدمنها؛ كنت دقيقاً في هذا الوصف وعارفاً ما لا نعرف، واتذكرك جيداً كيف ترتبك قبل البوح وكيف تتحول إلى كائن جدّي حين تحاول الإجابة. أخبرتني عن الخوف وتحدثت عنه بوضوح كأنك تستدعيه لتصارعه. أيقظته فيّ حينها وحمّلتني سلاح الراكض إلى حتفه لأعيه جيداً وأواجهه بدوري. لا أعرف لماذا كنت أراك طفلاً بوجهك الأبيض ونابيك المشاكسين وشعرك الأملس ونظارتك العالمة. كنت أحدّثك برقة وأشد على الحروف وأعيدها كأني فعلاً أتحدث إلى طفل وأحاول إفهامه ما أقوله. ذاك الطفل الذي حمل إلى أمه ورقة نعوتها وحمل باقي عمره كل ذنوب هذا العالم المرتكب.

* شاعرة لبنانية

كنتَ تنتمي لعنب العالم القديم

ميس الريم قرفول *

عزيزي أنسي

كان بإمكاني أن أقول لك بأن يوم وفاتك هو بعد أربعة أيام من يوم الحب، لكن أنت الذي تحب الكلام أكثر ما قد يعنيه هذا.

في يوم من الأيام، وقعت على خاتمتك فوق الصفحة الأخيرة لجريدة «الأخبار»، كنت مراهقة وصرت امرأة، تلف خواتمَ من سرٍ على خصرها، خواتم واسعة.

حين كنت تشرف على ملحق «النهار»، كنت صغيرة جداً، حتى أني لم أكن نطفة، وحين صرت في بيتنا صفحتك الأخيرة، صارت النطفة حبة عنب محلاّة تخرج مرة في الصيف من كل سنة، تخلع حجابها على الجبال، هذا الباس الأصفر، أزيز النحل والدبابير بصوتها الحادّ وإبر تدق رأسها داخل القشرة الشفافة للثمرة، رائحة للسكّر، لا هي جنس ولا هي موت ولا هي صلاة، كنت أتجمع فوق الكرسي، حين يأتي الظل منكمشاً في إحدى الزوايا، مختبئة، كيف دخلت تلك الجريدة إلى منزلنا؟ بين بيروت وطرطوس والقرية، حطت القصيدة على السطوح، سرقتني ووزعتني بين حلم الليلة الكحلية وحلم اليقظة المشرق الأصفر والعسلي، مثلما كنا نسمي ذلك النوع من العنب.

كيف يصير العنب ذا بعد فلسفي؟

تجلس فتاة خجولة، كان شعرها طويلاً في يوم من الأيام، تناى عن الجميع في القرية، يكبرون ويلملمون معهم أيام عمرهم مثل خيط داخل إبرة. كانت حبات القمح تنام على الإسمنت، وشمس حزيران تنقر رأس كل حبة حتى تُخرج منه الماء، كانت الدنيا صفراء، يكفي أن تغمض عينيك وتنسى ذلك الاسوداد الذي ورثناه عن التربة داخل البؤبؤ، أو ذلك الاخضرار الذي رماه الزيتون في نزوة منه علينا.

كيف دخلت الكلمة ذلك الخرم من أذني، كان القرط ملتها يشدني نحو لمعة الذهب، وكانت الخواتم حلقات حول بطن الشجرة، كيف كنت نائمة فصحوتُ، أو صاحية فنمتُ، كيف حملتني تلك الكلمات نحو ظلمة داخلي مثل امرأة تشدني من شعري لأسقط عن السطح، وكلما وقعت، عشت في تلك الصرخة التي بلا صوت، فم مفتوح للأبدية، سماء منقوشة بالبيوت، قُلبت النجوم على الأرض، تعثرت بإحداها ومن يومها ينزف الجمال من مكان ما داخل دمي، يسحبني إلى ذلك المكان. كلمات كانها نزلت من حنفية منخورة، علمتني المشي على ذلك الإيقاع، كمن تمشي في نومها، وحين تفيق متعرّقة، ترى وجه الإله، ترى امرأة بشعر طويل، ترى عناقيد عنب يموت على صدرها فتهبّ لملاقاة الحياة بثوب مفتوح، بجراة، من دون خوف، ثمة اتصال مع مكان ما خفي، وثمة خاتم يدور ويدور ويدور، من دون أن يقع.

عنب العالم القديم، والعنب الأميركي، هذا ما عثرت عليه حين بحثت عن أنواع العنب في ويكيبيديا. كنتَ تنتمي لعنب العالم القديم، بينما كنت كالأطفال أسميه أسماء تشبهه: أخضر، بيض حمام، زيتوني. أبحث أكثر يظهر لي في إحدى الصفحات أن له أسماء من نوع قطرات القمر، وكرات القمر، انتابتني رغبة كبيرة بأن أكل من قطرات القمر رغم أننا في السابع عشر من شباط، يوم عن ذكرى ابتعادك، ورغم أنني أحاول أن أكل الفواكه في مواسمها. تقول زوفا في إحدى قصائدك، يبرز لي نهد جبلي من هناك، وأستشعر لعنة الألفة، تلفني مثل سترة صوفية، وأقول لنفسي كأني أنظر في عينيك، وقع كثير من الماء الساخن داخل عاصفة مطرية من الليالي الفائتة، دخلت نباتات الزوفا داخل ذلك البخار، وشممت رائحة تخرج من مساماتي فعرفت بأنك بعيد وبأني هنا، ما زلت أمرر الإبرة.

* شاعرة سورية- (فرنسا)

في يديك ميزان قصيدة النثر

انطوان ابو زيد *

عزيزي أنسي

في الرسالة الأخيرة التي تركتها، قبيل رحيلك، وخصصت بها الشعراء من جيلك، والذين تتلمذوا على يديك، أو تقرّبوا منك، أو عملوا معك واستناروا بمواقفك وشملهم تأثيرك، ذكرتني مشكوراً، ونبّهتني فيها إلى عدم إغفال موقع لي في سجلّ شعر الثمانينيات، ليس إبراراً أو تقديماً على آخرين، وأنت لم تتوانَ عن ذكر كلّ من كان فاعلاً في ساحة الشعر، في أنبل رسالة وداع، وفي خير انتصار لأخوة الشعر.

وإنما لاعتبارك أنّ في منبع الشعر ميزاناً لا كالموازين، وأنّك مؤتمنٌ على غير قصيدة النثر، وأنت من آبائها اللبنانيين الخلّص، ولا ينبغي لك أن تغفل غصناً من أغصانها، أو ورقةً من شجرتها الباسقة.

ولئن كنتُ، قبل الثمانينيات، وفي بداية عهدي بالكتابة الشعرية، مفتوناً بالعوالم السريالية، والصوفية، وبالتجارب الشعرية الغربية (الدادائية وغيرها)، فإنّ ما حملني على درس تجربتك، وسبر أبعادها، إنما كان أسئلتي الكبرى حول تحدّيات قصيدة النثر، الصغرى والكبرى، وحول أبعاد الثورة الأسلوبية التي شرعت قصيدة النثر في خوض غمارها، على يديك، لتخليصها من بحران النظم وتاليه صيغ الفصاحة الدهرية، إلى شطّ الشعر الخالص.

أنسي الحاج، لم تتوانَ، من حيث أنت، عن إرسال أشعّتك، من عالم الشعر الذي اصطنعته لأجيال قصيدة النثر، تاركاً لهم ولنا النشيد الباقي.

* شاعر وروائي لبناني

من انسي واليه

محمود وهبة *

عَزيزي أَنسي

ما زالت صورَتُك تسكُنُ البيتَ

تُحرّكُ الظّلالَ

وتعبثُ بِخُيوطِ الذّاكِرة.

■■■

أريدُ أنْ أقولَ

إنّ شاعراً مَجنوناً كانَ خَليقَ هَذهِ المَدينَةِ

كانَ ضَوْءاً خافِتاً في دَيجُورْ

حَجَراً في دَربِ الجُلجُلَة.

■■■

مِنْ عليائِكَ

حَدِّقْ الآنَ في الصّورةِ وابتَسِمْ

حَدِّقْ بعيداً ولا تَخَفْ

الهَوّةُ ليستْ بعيدةً

والبيوتُ مفتوحَةٌ على الماءِ

الرّيحِ

الشّجرِ

على السّحابِ المَنْدَثِرْ.

■■■

رَبّما بِمُرُّ الوَقتُ

وتَنْزاحُ الغَبْرةُ عن وَجْهي

سأُوَجِّلُ دَمْعَتي

واقرأ قصيدَةً لَكَ

«أخَافُ»

«غُيومٌ يا غُيومُ

عَلّميني فَرَحَ الزّوالْ».

■■■

عَزيزي أنْسي

يقولونَ إنّكَ الأنْقى

وأنا

بكامِلِ وَجْدِي

أصدّقُ ذلكَ.

* شاعر لبناني

صنعتَ قصيدتك بحساسية الطفل العابث

عامر الطيب *

عزيزي أنسي

هذه اللحظة لن أتحدث عنك كرائد للقصيدة الحديثة، فالريادة مفهوم مختلف عليه أولاً ثم إنه مفهوم يتعلق بقصب السبق في مرحلة زمنية ما، ما يأخذ الشعر إلى جهة مارائون غير محبب فيما الشعر كنشاط داخل اللغة وخارجها يود التفوّق على زمنه. ومن هذا المنطلق فإنني معنيّ بعلاقتك بالزمن في نصك وفي موقفك الثوري ضد التراث الشعري وغيره. إذ يمكنني اعتبارك ظاهرة شعرية لها سمة الرسوخ والخصوصية، وفي حقل اللغة الشاسع والمبهم، الكثيف والممتد، فإنك شاعر ينتمي لقصيدته التي تشبه الصرخة المفاجئة أكثر ما ينتمي لخطابات قصيدة الحداثة وبياناتها وصراعاتها مع الأشكال الشعرية السائدة.

لقد صنعتَ قصيدتك بحساسية الطفل العابث والمسؤول من دون انتباه للتلقي العربي الراكد، معيداً للشعر صوته المجنون والملعون في آن، راسماً لوجودك صورة المتصوف العارف والمدني الخارج بقدر ملموس ضد أي أمومة وربوبية من نوع ما. ولعل هذا ما دفع أدونيس في ما بعد لاعتبارك الشاعر الأنظف بين مجايليه، فالنظافة وهي تلزم كل شاعر يأخذ كتابته على محمل الجد والحرص، تعني ألا يبدو الشاعر صدى للتراث الغابر أو للحداثة المستنسخة.

إن أردتُ وضع ملمح لك الآن، فيمكنني تعريفك بالشاعر الذي أراد أن يصنع من النثر شعراً، أن يدير ظهره للشعرية العربية بتعريفاتها المألوفة. ولكي تحقق هذا الهاجس الشعري، كتبت قصيدتك من دون انتماء مفضلاً الخواتم الملغزة والمنفلتة على المشاريع الشعرية الكبرى.

الآن وفي ما مضى، لو استطعتُ أن التقيك وجهاً لوجه، سأقول لك لست صاحب مشروع. إنك فتى كتابة وسيم، عقلاني صارم وعاطفي لاذع في آن. شاعر بالمعنى الأعرق للكتابة، الكتابة عما تحلم به لا عمّا نعنيه فحسب.

* شاعر عراقي

ماذا يفعل الصارخ في عزلته؟

دارين حومصاني *

عزيزي أنسي

ازددنا وحشة في غيابك، لا بل ازددنا يتماً، وأما أنت، كيف يمكن تأويل وحشتك الآن، تحدثت في كتابك المنشور بعد غيابك عن الإقامة في الخوف، فيها من الاستسلام ما فيها من التحدي ومن الانتحار ما فيها من النحر، هذا هو التوصيف الدقيق لعالمنا، وهو محزن لأنه حقيقي، الإقامة في الخوف، وأنا أدرك جيداً أن إقامتك في الموت أقل خوفاً وقلقاً.

قد يتوجب علينا استعادة قراءتك يا أنسي مراراً لنكمل ترتيب رأسك في الصورة، «هذا الرأس الحيّ فقط في سجنه، الميّت بين الأحياء!». لا يزال ثمة أمكنة مختبئة فيه متكورة في العتمة قد يمكن التقاطها من بين كلماتك. نحن الآن هنا نملك كل أسباب الموت، وأنتَ ماذا تفعل هناك في عزلتك؟ هل تعيش الهدوء الذي بحثت عنه طويلاً؟ ألا يكفي ما كتبته بنفسك عن نفسك المقيمة وسط عالم متوحش مخيف، فتساءلت بحدس شاعر أشبه بعرّاف «ماذا يفعل الصارخ في عزلته؟ يبحث عن عزلة أعمق! لماذا؟ لأنّه لا يريد أن يخرج، بل أن يُمعنَ في الدخول! يحتاج إلى ما يُلهيه، ولكن في أحشاء الزاوية، تحت معطف أبيه، بعيداً عن المشاركة. لا يحمل مشروعاً إصلاحياً، ليس ثائراً ولا قائداً، إنّه لاجئ. أعصابه عارية تحت أنياب العالم. هو: الفيلسوف، الشاعر، الفنّان، المرهف، المتوتّر، الأرقّ، الهارب من نفسه، الواقف على مشْحرة روحه، المذعور الجبين، الملهوف على مقبض يحميه من الوقوع. لا يبحث عن خير العالم، بل عن وقاية من شرّه، ولا عن خلاص البشرية بل عن يوم بلا رعب».

* شاعرة لبنانية (كندا)

تاريخ

محمود خيرالله: رحلة الخمر من التقديس إلى التحريم

عبدالله رامي

مثل الكيميائي في معمله؛ يتفحص الشاعر والصحافي المصري محمود خيرالله قطرة خمر تحت المجهر، لكنه لا يبحث عن تركيبها الكيميائي، بل عما تحويه من حبوب وحكايات ربما تجعلنا ننظر بشكل مختلف إلى تاريخنا العربي. رحلة خاضها في كتب التاريخ والأدب والأمثال الشعبية والنوادر؛ ثم وثّقها في كتابه «مزاج الباشا... تطور ثقافة الخمور في مصر» (دار صفصافة للنشر، القاهرة) كـ «محاولة لاكتشاف الوجه الروحي الرحيم غير الدموي من تاريخ البشر». كتاب يعتبر امتداداً لدراسته السابقة حول تطور ثقافة الخمور في القرن العشرين بعنوان «بارات مصر... قيام وانهيار دولة الأنس» (2016).

في مقدمة الكتاب الجديد (رحلة الخمر المقدسة إلى التحريم)؛ يوضح خيرالله أن سبب اختيار «مزاج الباشا» عنواناً لرحلته في تاريخ الخمور كونها عبارة «تعكس التصنيف الشعبي الدارج لشاربي الخمر في قمة هرم مجتمع الشاربين، حيث يقبع في قاع هذا المجتمع من يتعاطون أنواعاً معينة من المخدرات ويطلق على ما يتعاطونه «مزاج البوابين». الأمر الذي يشير ربما إلى قناعة قديمة وراسخة باحترام الخمور في الثقافة الشعبية». أما عن هدف قراءته في تاريخ الخمر، فيقول: «لأثبت أن الماضي كان يحتوي على كل أنواع الفجور مثلما كان يحتوي على الإيمان والورع والزهد... واستدعاء لروح التسامح التي عاشها الإنسان عبر العصور، بدءاً من مرحلة «ما قبل الهوية الدينية» واستمرت إلى مرحلة الأديان وما بعدها».

عبر تسعة فصول، رسم خيرالله ما يشبه خريطة سارت فيها أنهار الخمور، بدءاً من تقديسها في مصر القديمة كشراب للآلهة. ثم يأخذنا في رحلة عارضة إلى شبه الجزيرة العربية حيث يستكشف كيف تعامل العرب مع الخمور قبل الإسلام. لكنه يرجع مرة أخرى إلى القاهرة في الفصل الرابع المعنون «العرب والنبيذ معاً في مصر»، في العصر العثماني والمملوكي؛ تباين التعامل مع الخمور بين الإباحة والتحريم، فيما صار للبارات في ظلّ الحملة الفرنسية، دور سياسي كان وراء انفجار «ثورة عرابي» (1879-1882).

ينطلق الكاتب في الفصل الأول (إله النبيذ.. ربة الجعة: تقديس الخمور في مصر القديمة) من اكتشاف معمل صناعة البيرة داخل معبد نفرتيتي في الأقصر عام 1991، ونقل إحدى رسائل النساء في مصر القديمة عام 253 ق.م دليلاً على انتشار البيرة في مصر قبل الميلاد كمشروب شعبي متداول. إذ تشكو صاحبة الرسالة التي تدعى هاينخيس من أنها «كانت تدير حانوتاً لبيع الخمور التي تجلبها من المخزن الكبير وتبيع بقيمة 4 درخمات بيرة يومياً قبل أن يخدع أحدهم ابنتها الشابة ويأخذها معه بينما كانت الابنة تساعد أمها في إدارة الحانوت». فضلاً عن ارتباط ذلك المشروب ببناء أول كيان حكومي منظم على الأرض وكونه شريكاً أساسياً لبناة الأهرامات في مهمتهم الثقيلة.

الخمور في مصر القديمة لم تقتصر على الجعة/ البيرة؛ إذ كانت صناعة النبيذ سائدة في مصر منذ سنة 3000 ق.م تقريباً. وبينما كان الإله أوزوريس يشرب أول كأس من النبيذ بينما يسن القوانين للبشر؛ عرف عن الإلهة حتحور لجوؤها لشرب الخمر للسيطرة على غضبها. هكذا عبر الكثير من التراتيل والنقوش، نرى كيف أنّ الخمر كان مصاحباً للملوك في أروقة الحكم والشعب في حياته اليومية.

ومن مصر القديمة إلى شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام. يرى خيرالله أن «الطريقة المثلى لمواجهة التفكير السلفي السائد في الذهنية العربية، هي الهجوم على هذا التفكير في عقر داره». لذلك، يتوقف عند بعض الوقائع في كتب الرواة العرب منها: «بيع مفاتيح الكعبة برَق خمر» وهي الواقعة التي قال فيها الشاعر العربي: «باعت خُزاعةُ بيت الله إذ سكرت... برَقّ خمر فبئست صفقة البادي». فضلاً عن الحكاية الشهيرة عن «سرقة غزال الكعبة الذهبي» وشراء خمر بثمنه. وينقل عن سليمان حريتاني صاحب كتاب «الخمرة وظاهرة انتشار الحانات ومجالس الشراب في المجتمع العربي الإسلامي»، أن «الخمور والحانات ومجالس الشراب في شبه الجزيرة العربية انتقلت من مرحلة «قبل ظهور الإسلام» إلى مرحلة صدر الإسلام بمنتهى البساطة والتلقائية».

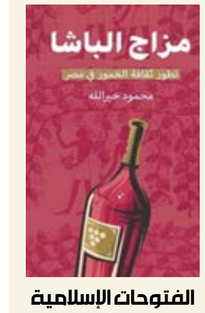

الفتوحات الإسلامية لمصر والشام كانت أحد الأسباب الرئيسية لانتشار صناعة الخمور

بالعودة إلى مصر؛ يلاحظ الكاتب مفارقة هامة هي أن الفتوحات الإسلامية لمصر والشام كانت أحد الأسباب الرئيسية لتطور وانتشار صناعة الخمور، مدللاً على ذلك بالقصائد العربية الشهيرة المسماة «الخمريات»، وما كتبه الجاحظ في العصر العباسي (رسالة الجاحظ إلى الحسن بن وهب في مدح النبيذ وصفة أصحابه)، وأيضاً كتاب «الأغاني» لأبي فرج الأصفهاني، وكتاب فيروز آبادي (الجليس الأنيس في أسماء الخندريس) الذي تضمن ألف اسم عربي للخمر وألف بيت شعر في مدح الخمر، فضلاً عن كتاب «قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور» لابن الرقيق القيرواني، وغيرها من الكتب والمرويات التي تفاعلت مع الطفرة التي شهدتها صناعة الخمور في ظل الحكم الإسلامي.

في عهد الدولة المملوكية، نتوقف عند فترة حكم السلطان الملك الكامل سيف الدين شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون، الذي يطلق عليه الكاتب تسمية «ملك الحريات». إذ إنّ سيف الدين حوّل «خزانة البنود» إلى حانة كبيرة، بل إلى مركز لعصر وبيع الخمر. لكنها كانت فترة موقتة، إذ تعرضت تلك الخزانة للهدم بسبب تأثيرها الكبير في المنافسين. يشير المقريزي إلى أن يوم هدمها «من الأيام المشهورة المذكورة عدل هدمها فتح طرابلس وعكا».

استمر اضطراب العلاقة مع الخمر في العصر العثماني. بالتزامن مع استهداف الولاة العثمانيين لحريات الناس وقطع أرزاقهم، استطاعت مصر أن تنتج مشروب «البوظة» المصنوع محلياً في اللحظة نفسها التي كانت تقاوم فيها السلطة العثمانية.

في المقابل، وُصف الخمر في القوانين العثمانية بـ«المحرمات»، لكن خزائن قصور الطبقة الحاكمة لم تكن تعرف سوى الأنواع الفاخرة والمعتقة منه، ما يراه الكاتب دليلاً على تحريم الخمور على العامة فقط، مشيراً إلى الحكاية المتداولة عن موت السلطان سليمان القانوني من فرط شرب الخمور، فضلاً عن استحداث السلطة العثمانية ضريبة باسم «أمانة مقاطعة الخمر» بعد انتشار الخمر في أوساط الأغنياء والأجانب. أما غير المسلمين، فقد سمح لهم القانون بفتح بارات في بعض أحياء القاهرة.

لم يتنازل المصريون عن حريتهم بالحصول على «مزاجهم». إذ صاحب الحكم العثماني انتشار الكثير من المقاهي التي أصبحت وسيلة جديدة لاجتماع المصريين وتواصلهم الاجتماعي. وفي الوقت نفسه، تحول الكثير منها إلى «محاشش» (أماكن لتدخين الحشيش) بدلاً من الخمر الذي حرمه العثمانيون على الفقراء. لكن ذلك الانحراف عن الخمور في مزاج المصريين، لم يستمر طويلاً، إذ جاء محمد علي باشا ليحرّم الحشيش وينظم عمل «الخمامير» وفق نظام ضرائب دقيق. وفي عهده عملت أكثر من 10 مصانع لتقطير وإنتاج الخمور.

اهتم المصريون في هذه الفترة بالحشيش على حساب الخمور. لكن بعض البسطاء وجدوا طريقهم مرة أخرى للرخيص من «الخمامير» في عهد محمد علي. كما كان جنود جيشه يشربون الخمور ويمارسون الدعارة وفقاً للقانون داخل وحداتهم وخلال حملاتهم العسكرية. هكذا بنى الباشا دولته الحديثة بتوفير مساحة كبيرة من الحرية في شرب الخمر والحصول على المتعة. وقد مثّل الخمر أحد أهم موارد الضرائب لتحقيق أهدافه الاستعمارية.

مع دخول الحملة الفرنسية (1798-1801) مصر، وفي ظل «الحلم» الفرنسي بتحويل مصر إلى باريس الشرق والبقاء مدة أطول، توقف الكتاب عند تحول «الخمامير» إلى «بارات»، وهو ما سبقه منع تناول المخدرات والحشيش في المقاهي والأماكن العامة، استعداداً لافتتاح أول بار أوروبي في مصر هو «بار المشهد الحسيني»، وتوسيع السلطات الفرنسية إنتاجها من الخمور محلياً. وما يؤكده الجبرتي في كتابه «مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس» أنه حين دخلت الحملة الفرنسية إلى مصر، وجدت تجارة الخمور شبه منظمة.

وباعتبار أن الخمور كانت طريقة المصريين طوال تاريخهم لـ«اقتناص لحظات المتعة»، فقد كانت في العصرين المملوكي والعثماني موجودة على هامش أنشطة الدعارة والبغاء التي تجبي منها الدولة ضرائبها. أما التحول الفرنسي، فقد جعل البارات مستقلة عن البغاء، تلك كانت النواة الأولى ليصبح لها دور سياسي في أحداث ثورة عرابي.

خلال ثورة عرابي، اتخذ التاريخ «الروحي» للخمر منعطفاً دموياً، خصوصاً خلال المعارك التي شهدتها البارات كونها أصبحت «مسرحاً للعمليات السياسية». يذكر الكتاب إحدى أهم معارك الثورة، التي شهدتها الإسكندرية، قبل نحو شهر من هجوم الأسطول البريطاني عليها وقصفها في تموز (يوليو) 1882. أطلقت الصحف وقتها على هذه المعركة تسمية «مقتلة الأحد الدامي». وكان مسرحها مجموعة من البارات والمقاهي حيث سالت الكثير من دماء المصريين والأجانب، وتطوّرت الأمور إلى مقتلة عامة في الشوارع.

تقودنا فصول الكتاب إلى أن حق الناس بتناول الخمور قد يكون مؤشراً حقيقياً على مدى نهوض الدولة، مثلما حدث في مصر القديمة وبناء الأهرامات. وفي بداية القرن الـ19 جاء تاسيس جيش محمد علي باشا دليلاً آخر على ذلك.

رواية

عبد الكريم ينينة: جزائر العشرية السوداء

عبد اللطيف ولد عبد الله

تستحضر روايةُ «هاوية المرأة المتوحشة» (دار ميم ـ 2021) للروائي الجزائري عبد الكريم ينينة، محنةَ الجزائر خلال حقبة التسعينيات من القرن المنصرم، حين تعرّضت القيم والمبادئ للانهيار بعد شيوع التطرف والإرهاب. حاول عبد الكريم ينينة أن يعالج تلك الأزمة بطريقة فنية توخّى الدقة والموضوعية، إلا أنّ القارئ لن يشعر بثقل هذه الأفكار لأن الفن والمتعة الأدبية كانا طاغيَين في الرواية. بعيداً من الصور النمطية التي قدّمها الأدب عن العشرية السوداء، نرى أنّ شخصيات هذه الرواية ليست نخبوية، بل هامشية، بسيطة، تعيش الحياة اليومية كما في الواقع. تجد نفسها تائهة وسط تغيرات حاسمة، فتداعيات الأزمة الاقتصادية وما تلاها من انشقاقات سياسية ثم ظهور التطرف الديني، كل ذلك أسهم في تفكك هوية الفرد الجزائري وإدراج مجتمعه ضمن خانة الخطر.

لا شك في أنّ مَن تناولوا العشرية السوداء من الكتّاب، يعدّون بالعشرات ولكن الروائي عبد الكريم ينينة عرف كيف يقول كلمته بطريقة مختلفة عبر ابتكار أسلوب روائي ذي لغة محكمة، إذ جاءت الرواية متعددة الأصوات تتقاطع شخصياتها في أماكن وأزمنة مختلفة لتخلق جواً مشحوناً بالألم والحب والأمل، لكن بلهجة شديدة الواقعية. يمارس الواقع في هذه الرواية سحره على القارئ منذ الصفحات الأولى، ويقوده عبر الدهاليز المظلمة لحياة شخصيات عاشت على الهامش، قبل أن ينالها وبال التطرف والإرهاب. بين متعة السرد وجزالة اللغة، تلامس نوعاً من الحالة الوجودية للشخصيات، فحقيقتها مستعصية على بلوغها، ولكن جمال اللغة هنا استطاع أن يقرّبنا من تخومها ويوصلنا إلى أقصى درجة ممكنة من العمق لفهم أفكارها ورؤاها. تخلّى الكاتب عن فكرة البطل وجعل شخصيّاته جزءاً من الكل. هي عبارة عن فسيفساء لشهد طويل. لقد سلّط الكاتب مجهره على المجتمع ومكّننا من رؤية تفاصيل الحياة اليومية للشخصية على اختلاف أشكالها وألوانها. فقصة دحمان مثلاً تحمل من دوافع الخير ما جعله يدافع عن أسرته بأي طريقة ولو على حساب قتل الآخر وتدمير ممتلكات البلد. ونجد الشيء نفسه مع شخصية حسين حلواجي حين كتب رسالتَين إحداهما للرئيس الفرنسي خلال زيارته للعاصمة، حيث أساء فيها للجزائر ولحكامها ورموزها ممجداً دولة فرنسا العادلة والديموقراطية. أما الرسالة الأخرى، فكانت مفعمة بالمقت الشديد لفرنسا وتمجيد الثورة والمجاهدين. إلا أنّ القدر كان له منحى آخر، فسلّم كل واحد منهما الرسالة التي كتبها للآخر. وهكذا اكتشف العالم ازدواجيته المقيتة التي هي في الحقيقة ازدواجية الكثير من الجزائريين اليوم ممن يلعنون فرنسا ظاهراً ويلهجون في ثنائها باطناً. تجدهم مكدّسين أمام السفارات والمراكز الثقافية الفرنسية في البلد. حتى إنّ الفرد الجزائري يعلّم ابنه النطق بالفرنسية قبل أن يفطم ويتقن لغته الأم. وكلما تقدم الزمن، زاد تمسك الجزائريين بلغة المستعمر. حتى أصبحت الكلمات الفرنسية تطغى على العربية في اللغة الدارجة.

يمثّل عنوان الرواية مفتاحاً رئيسياً لفهم العالم الذي ابتدعه عبد الكريم ينينة، فـ«هاوية المرأة المتوحشة» هي البطل الوحيد والثابت في العمل الروائي، وكل شيء يدور في فلكها. حتى بعدما هاجر دحمان ومرزاق وعليلو وحسن إلى لندن، بقيت «هاوية المرأة المتوحشة» تصنع يومهم وتغذّي آمالهم. فقد جمعهم هذا المكان وبقي بشكل الوطن المفقود، أو الحنين إلى غادر الجميع، وبقيت وحدها في الغابة، معتقدةً بأنها ستعثر عليهم يوماً ما. وهكذا تحولت تلك المرأة، بفعل مخالطتها للحيوانات وقسوة الطبيعة، إلى امرأة متوحشة. ومع مرور الزمن، أطلق الأهالي على ذلك المكان اسم «هاوية المرأة المتوحشة». أراد الكاتب أن يرمز للوطن من خلال الأم. جملة «اشتقت لرائحة أمي» دائماً ما تتكرّر على لسان شخوص الرواية. لقد أصبحت الأم أو الوطن بعدما فقد أبناءه مكاناً موحشاً وخطراً. ولكن يبقى اختفاء أبناء المرأة المتوحشة سراً يحتمل تأويلات عدة، قد يكون تفريطها في الاعتناء بهم وتربيتهم، أو يكون تدخّلاً أجنبياً حال بينها وبين أبنائها، فما جعل المرأة متوحشة هو اختفاء أبنائها. أما في حالة شخصيات الرواية، فإنها غادرت البلد بعدما أصبح متوحشاً. نحن هنا إزاء حالة عكسية لما حدث للمرأة المتوحشة. لا يمكن أن نعتبر انسحاب شخصية مرزاق المثقف وحسن الحلواجي الفنان، ودحمان سوى استسلام للواقع ونكوص عن تأدية دور المثقف في التصدي للجهل والظلام. فهجرة دحمان إلى بريطانيا بعدما ترك أمه المصابة بالسكري تعيل أخويه الصغيرين، خوفاً على نفسه ليس خياراً إنسانياً. كان مستعداً للتضحية بقتل أشخاص آخرين لإنقاذ عائلته ولكنه لم يستطع التضحية بنفسه. لقد أثر قتل الآخر على أن يتعرض للقتل، ثم انتهى بترك عائلته للمجهول. شخصيات الرواية لعبت دوراً ما في انهيار البلد، بلا وعي منها، كالهروب من الواقع (اللجوء السياسي) والنكوص عن تأدية الواجب كمواطن وكإنسان. هل اختار الكاتب لجوء شخصياته إلى بريطانيا، البلد الذي يموّل الإرهاب ويمنح «حقوق الإنسان» في الوقت نفسه كحل للمأزق. موقف الشخصيات كان سلبياً رغم نظرتها المتفائلة للمستقبل.

شخصيات هامشية، بسيطة، تجد نفسها تائهة وسط تغيرات حاسمة

كانت مكاناً لتنزه العائلات الجزائرية في زمن الاتراك. وفي أحد أيام عيد الأضحى، نزلت العائلات كعادتها للاحتفال بشواء اللحوم. وكان الأطفال يلعبون ويمرحون ومن ضمنهم طفلا امرأة كانت تعد الشواء. ظلّا يلعبان حتى اختفيا فجأة، فبدأت الأمّ تبحث عن أطفالها بلا جدوى حتى بعدما أعلنوا عن فقدهما. ولكن لم تتجاوز الثالثة عشر من عمرها، فقد جعلها ذلك تجسيداً لما يمكن أن تصنعه الحروب بأقدار البشر، فتبدو طفلة دفعها العنف إلى النزوح من مدينة إلى أخرى، ثم تلجأ مع عائلتها تحت ضغط العصابات المسلحة إلى أحياء الصفيح. هناك تفاقمت الحاجة، وفُقِدَ الإخوة، وتسلّل المرض إلى جسد الأم المعيلة، لتصبح بين ليلة وضحاها المسؤولة عن العائلة بكل أفرادها. تخرج مذعنة للعمل، ويصبح القصّ عن أحوالها بمثابة منح الحياة لمن لا أصوات لهم، ولا مصير سوى بالإذعان لقسوة العالم، وللمحيط الذي يغرقها يوماً بعد آخر في الإدمان والتعرض للاغتصاب. وعلى الرغم مما تحمله من براءة المقاصد، فهي تمثل منطلقاً اخاقياً يدفع للتساؤل حيال نوعية الأحكام التي تطلق على من يسقطون في مستنقع الجريمة، ومدى أحقية أن يكون للبراءة صوتٌ في قلب كل ذلك السواد المعتم.

تشغل فكرة الموت بال شولا، تحدس بها في كل الأمكنة. تتابع نشرات الأخبار بصمت، وتشهد كيف يتسلل الجفاف إلى البلاد، ويحدث التعطيل الكبير، فتُفقد المياه، ويعكّر غياب الأب صفاءَ العائلة مع انتشار الفوضى. فتتضاعف مسألة التفكير في الموت: «أردتُ حقاً أن أعرف عن الموت، لكنّ أحداً لم يخبرني». تتابع برعب مكتوم مصير إسكوبار، وتراقبُ ابنته على الشاشات متسائلة عما يمكن أن يحدث لو كانت عوضاً عنها. لكن مجيء أو إحساسها إزاء الخادمة الجديدة «بترونا» التي تشكل خيطاً ينسج مصائر الجميع بحكاية مؤلمة. وعلى الرغم من فرادتها كسارة، إلّا أنها تتشاطر معها الكشف عن الطبقات المعتمة في عالميهما، فالخادمة تظهر ومعها يرتسم المصير المشؤوم. وكونها لم تتجاوز الثالثة عشر من عمرها، فقد جعلها ذلك تجسيداً لما يمكن أن تصنعه الحروب بأقدار البشر، فتبدو طفلة دفعها العنف إلى النزوح من مدينة إلى أخرى، ثم تلجأ مع عائلتها تحت ضغط العصابات المسلحة إلى أحياء الصفيح. هناك تفاقمت الحاجة، وفُقِدَ الإخوة، وتسلّل المرض إلى جسد الأم المعيلة، لتصبح بين ليلة وضحاها المسؤولة عن العائلة بكل أفرادها. تخرج مذعنة للعمل، ويصبح القصّ عن أحوالها بمثابة منح الحياة لمن لا أصوات لهم، ولا مصير سوى بالإذعان لقسوة العالم، وللمحيط الذي يغرقها يوماً بعد آخر في الإدمان والتعرض للاغتصاب. وعلى الرغم مما تحمله من براءة المقاصد، فهي تمثل منطلقاً اخاقياً يدفع للتساؤل حيال نوعية الأحكام التي تطلق على من يسقطون في مستنقع الجريمة، ومدى أحقية أن يكون للبراءة صوتٌ في قلب كل ذلك السواد المعتم.

تشغل فكرة الموت بال شولا، تحدس بها في كل الأمكنة. تتابع نشرات الأخبار بصمت، وتشهد كيف يتسلل الجفاف إلى البلاد، ويحدث التعطيل الكبير، فتُفقد المياه، ويعكّر غياب الأب صفاءَ العائلة مع انتشار الفوضى. فتتضاعف مسألة التفكير في الموت: «أردتُ حقاً أن أعرف عن الموت، لكنّ أحداً لم يخبرني». تتابع برعب مكتوم مصير إسكوبار، وتراقبُ ابنته على الشاشات متسائلة عما يمكن أن يحدث لو كانت عوضاً عنها. لكن مجيء بترونا ونشوء صداقة خفية ومتينة معها، يفتحان الباب لتسلل العنف إلى الأجواء. تجلب بترونا إلى الأسرة المحمية بأسوار أحياء الأغنياء، ما خفي من منازل الصفيح، من عيون متربصة بجسد الطفلتين كساندرا وشولا، ومراهقين مدمنين، وأرواح متعطشة للانتقام من واقع مرير. تنتقل علاقة بترونا بأحد شبان العصابات إلى داخل منزل الأسرة. وعلى الرغم من توطد صلاتها بالفتاتين، إلا أنها تبدأ بالسقوط في عالم الجريمة، وهو ما لم تستطع فهمه أو تفسيره طفلة بمثل عمرها، ولا تصحو على مدى بشاعته سوى في نهاية القصة، إذ تجد نفسها بين أكوام القمامة، بعد تعرضها للاغتصاب، وخطف والد شولا، وهرب الأسرة خارج البلاد.

تعاني شولا وعائلتها آلام الفقد واللجوء، من فنزويلا حتى أميركا، تتحول إلى بترونا أخرى، تساعد أمها في محال الحلاقة. تستمر في بعث الرسائل عبر الراديو لأبيها المختطف، وتكبر على الشوق والذكريات، ليتحول صوتها المشتبك بالأحكام والتفسيرات إلى صمت داخلي. تتزاحم الأسئلة لكنها تكتفت السكوت وتأبى النسيان وسط واقع بدا في مكان بعيد على أنقاض آخر. يلتحق الأب بالأسرة بعد سنوات طويلة، وتفقد بترونا ذاكرتها في مشهد لتعويض ونسيان ما حدث، إلا أنّ الأحلام تقلّص المسافة بين الذكريات والواقع، فتصحو مجدداً على حياة ملؤها الألم والرغبة بالرحيل.

تبقى الشجرة المسكرة عالقة في ذاكرة شولا، وهي شجرةٌ ذات ثمار سامة ورائحة مخدرة زرعتها أمها في حديقة منزلهم القديم لطرد الفضوليين، لكن صورتها تلاحقها. إذ تجدها مزروعة في شوارع المدينة التي لجأت إليها، تبحث عن أصلها في المكتبات الأميركية في محاولة لتلمّس أشيائها وذكرياتها، وكرمز لهيمنة اقتصاد المخدرات والكارتلات على الحياة في كولومبيا. تمنحها الشجرة المهاجرة قدرها، لتصير من الأشياء الوحيدة التي تذكّرها بما فات، مع انعدام قدرتها على إيجاد الأجوبة لأسئلتها عن الاغتيال والموت والرحيل، تتساءل: هل حقاً ذاك العائدُ أبي؟ لتنتهي على صورة الإنسان المحطم، الذي تشظّيه الحروب وتخلصه السياسة والعنف من ذكرياته وأحلامه. «كنتُ الوحيدة التي لديها تفاصيل الحكاية. كنتُ الوحيدة التي تعرف أن بترونا تعيش في منزل الرجل الذي خانها، وأنها اختارت الاحتفاظ بالولد، وأن هذه الحياة الجديدة كانت شيئاً على أن أعوضه لها، والأمر الوحيد الذي يمكنني فعله هو مواصلة الصمت حيال ما أعرفه، ففي النهاية من أنا لأحكم؟ فكرتُ: النسيان نعمة».

إنغريد روخاس كونتريراس: صراع الذاكرة مع النسيان

غنوة فضة

في روايتها «ثمارُ الشجرة المُسكرة» (2018) التي صدرت بترجمتها العربية عن «دار فواصل» (ترجمة مريم عيسى)، تعرض الكاتبة الكولومبية إنغريد روخاس كونتريراس، جانباً من آثار الحروب المدمرة على الإنسان، ولا سيّما تلك التي تترافق مع اضطراباتٍ سياسية أفرزت عنفاً أهلياً واغتيالَ زعامات عرفها الكولومبيون في مطلع تسعينيات القرن الماضي. تُروى الحكاية بصوت طفلة. وعلى مدى 400 صفحة، تتولى أصواتٌ طفولية هشة سردَ ما يحدث، لتحافظ القصة على شفافيةٍ منحتها لوناً بريئاً مشوباً ببعضِ الهزل حيناً، والألم أحياناً.

تتخذ مدينة بوغوتا مكاناً ملائماً لبدء الحكاية، إذ تبدو الأحداث السياسية فضاءً تستعرض الكاتبة عبره ما آلت إليه كولومبيا على إثر اغتيال مرشح رئاستها الليبرالي كارلوس غالان. ومع انتشار عصابات رجل الجريمة بابلو إسكوبار، يتشكّل لدى الطفلة شولا هاجس يشعرها بإمكانية رؤية هذا الكائن الذي أشيعَ عن قصصه المرعبة في كل مكان، مما ينبئ بحساسية فريدة لطفلةٍ لم تتعدّ سنواتها السبع، ومنح صوتها عمقاً مغايراً لباقي أطراف الحكاية.

تعيش شولا ضمن أسرة ميسورة مع أمها وأختها كساندرا، لكنها تختلف عن أختها. إذ إنّها اعتادت فعل ما ليس معتاداً، وتمتلك منظوراً خاصاً لكل التفاصيل حولها، وإمكانية التنبؤ بما سيحدث. تتقد في ذهنها أسئلة كبرى، إذ تحيا مع باقي سكان المدينة أخبار التفجير والاغتيال، ما منحها مع مرور الوقت فهماً مكّنها من تفسير زيارة الرجال لأمها بعد سفر أبيها،

تعرض الكاتبة الكولومبية جانباً من آثار الحروب على الإنسان

لمحات

كارلوس رويث ثافوف

بعد عامين على رحيل الروائي الإسباني كارلوس رويث ثافون (1964- 2020) إثر مرض عضال، أصدرت «منشورات الجمل» أخيراً نسخة عربية من روايته الموجهة لليافعين «أمير الضباب» (ترجمة معاوية عبد المجيد). الرواية التي صدرت عام 1993، تمزج بين الرعب والإثارة، نالت العديد من الجوائز، وصُنّفت بأفضل رواية للناشئة لعام 2011 من قبل «جمعية المكتبات الأميركية». علماً أنّ الكاتب الإسباني اشتهر عالمياً من خلال رباعيته «مقبرة الكتب المنسية» التي بدأها برواية «ظلّ الريح» (2011) التي تُرجمت إلى أكثر من 50 لغة وبيعت منها ملايين النسخ.

عمل جماعي

«أفريقيا والعرب والاستعمار: دراسات في فكر علي مزروعي لمجموعة من الباحثين» (تحرير محمد عاشور مهدي) هو عنوان الكتاب الجديد الصادر عن «مركز دراسات الوحدة العربية». يناقش الكتاب مجموعة من الأطروحات الفكرية والسياسية التي قدّمها المفكر الأفريقي علي مزروعي حول عدد من القضايا الأفريقية والعربية، على رأسها: العلاقات العربية الأفريقية، والهوية الأفريقية، والإسلام والغرب، والصهيونية. قضايا تعكس موسوعية المفكر علي مزروعي الذي تضمنت كتاباته الكثير من الأفكار والمقاربات المبتكرة والجريئة. الكتاب «محاولة جادة لإلقاء الضوء، على بعض كتابات ذلك العالم الموسوعي احتفاءً به وبكتاباته وسعياً لفهم تجليات وتطورات القضايا التي تناولها في الوقت الراهن وآفاقها المستقبلية»، بحسب الدار.

رنا الصوانية

في كتابها «الحركة القومية العربية في الخليج العربي . 1948 . 1968» (رياض الريس للكتب والنشر)، تبحث رنا بنت حمدان بن سيف الصوانية في مسارات التغيرات السياسية والفكرية التي مرّت بها منطقة الخليج العربي خلال المرحلة ما بين 1948 و1968.

حقبة وسمتها ظهور تنظيمات سياسية تمثل التوجه القومي العربي في منطقة الخليج منذ خمسينيات القرن العشرين، وتبنّت التوجهات والمنطلقات الفكرية والسياسية للتنظيمات القومية في العالم العربي. علماً أنّ الكتاب هو عبارة عن دراسة دكتوراه في التاريخ.

ماجد عزت إسرائيل

تاريخ الأرمن ووجودهم في مصر هو موضوع كتاب «الأرمن على ضفاف النيل» (دار العربي) للمؤلف والباحث الأكاديمي المصري ماجد عزت إسرائيل. الكتاب يتناول في خمسة فصول جذور الهجرة الأرمنية إلى مصر قبل المذابح في تركيا وبعدها. كما يقرأ التاريخ الاجتماعي والثقافي والاقتصادي لوجودهم في البلاد. كذلك، يتناول الكاتب بالتفصيل علاقة الأرمن بالسلطة عبر الأنظمة السياسية المختلفة، وصعودهم إلى بعض الأحيان منذ زمن الملوك الأرمنلي بدر الدين الجمالي، مروراً بفترة الحكم العثماني لمصر، وأيام محمد علي باشا، وأيضاً في فترة ما بين الحربين العالميتين وسقوط الملكية وحتى يومنا هذا.

انستاني الكرملي

في «النقود العربية وعلم النُّمَيّات» (دار الرافدين)، يجمع الأب أنستاني الكرملي الأخبار والروايات الواردة في النقود العربية القديمة، وأصلها وتصانيفها وظروف تكوينها والعوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي أسهمت في تطورها على مر العصور المتعاقبة. الكتاب يتجاوز وظيفته التاريخية والتوثيقية إلى الجمالية بوصف النقود جزءاً من بلورة ما عُرف لاحقاً بالفن الإسلامي. وتكمن أهمية الكتاب في دقة وتحري مؤلّفه عن الرسائل والمؤلفات القديمة التي عالجت الموضوع محيطاً فيها إحاطة العالم ومبيناً صفات النقود وأشكالها وفئاتها وطرائق صناعتها ومضامين ما ينقش عليها ودلالاته.

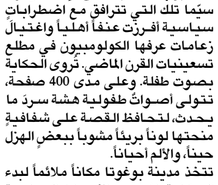

دجايلي امادو امال

في عام 2020، فازت رواية «الصابرات» للكاتبة الكاميرونيّة دجايلي أمادو آمال بجائزة «غونكور خيار الشرق». أخيراً، أصدرت «دار الفارابي» في بيروت النسخة العربية من الرواية (ترجمة لينا بدر).

العمل يضيء على معاناة المرأة الأفريقية، والعنف المادي والمعنوي الذي يمارسه عليها البنى الذكورية في المجتمعات. وكانت المؤلفة لاحقاً بالفن الإسلامي. وتكمن أهمية الكتاب في دقة وتحري مؤلّفه عن الرسائل والمؤلفات القديمة التي عالجت الموضوع محيطاً فيها إحاطة العالم ومبيناً صفات النقود وأشكالها وفئاتها وطرائق صناعتها ومضامين ما ينقش عليها ودلالاته.

أوراق

إبزيم مالتا

زكريا محمد *

قبل 20-23 ألف سنة ق. ن (قبل الآن)، وفي موقع يدعى «مالتا» في سيبيريا، كان في ما يبدو مخيماً صيفياً للصيادين الجوالين، ثكلت أم بابنها الطفل، فدفنته في المخيم الذي يقع على الضفة اليسرى لنهر بيلايا Belaya، على بعد مئة كيلومتر من بحيرة بيكال Baikal، قرب مدينة إركوتسك Irkutsk الروسية.
وفي عام 1929، حفرت بعثة أثرية بقيادة عالم الآثار الروسي م. م غيراسيموف الموقع، فعثرت على مدفن الطفل، وعثرت قرب رفاته على لوح محفور من ناب الماموث، طوله 13,8 سنتيمتر وعرضه 8,1 سنتيمتر. وقد سمي اللوح باسم: «لوح مالتا» أو «إبزيم مالتا» Mal'ta Buckle، Mal'ta Tablet، لأنه يشبه من حيث الشكل إبزيم الحزام. ويبدو أن اللوح كان معلقاً في عنق الطفل كتعويذة. ومن هذه التعويذة، بدأت قصة كتابي «سنة الحية: روزنامات العصور الحجرية»، وهي قصة سيطرة الإنسان على الزمن التي كانت في الواقع بدء ما نسميه اليوم بالحضارة.
تتكون التعويذة، التي تملك ثقباً للتعليق من منتصفها، من وجهين اثنين حُفرت عليهما أشكال محددة. على الوجه الأول رسم بالحُفر، بالثقوب، عدد من اللوالب الحلزونية. وفي المركز يقع لولب كبير يأكل نصف هذا الوجه تقريباً. هذا اللولب، أو الحلزون الكبير، تشكّل عبر 243 حفرة أو ثقباً غير نافذ. وعلى أحد جانبي هذا اللولب، هناك ثلاثة لوالب حلزونية أخرى، الذي في المنتصف منها أصغر حجماً. وبالقرب من هذه اللوالب الثلاثة، هناك خط متعرج قليلاً مكون من عشرة ثقوب. أما على الجانب الثاني، فهناك ثلاثة لوالب أخرى كذلك، لكن الثالث منها متصل بلولب رابع صغير. وقرب اللولب الصغير هناك شكل هلالي، نصف دائري، مكون من 14 ثقباً.
بذا، فلدينا على الجانبين سبعة لوالب مصنوعة هي الأخرى مشكلة بالثقوب، إضافة إلى اللولب المركزي والشكل الهلالي والخط المتعرج. اللوالب السبعة على الجانبين، مع الأشكال المضافة، تتكون من 244 ثقباً، أي بما يزيد بثقب واحد على ثقوب الحلزون الكبير. والرقم 244 هذا موزع بالتساوي شمالاً ويميناً: 122 ثقباً على اليسار و122 ثقباً على اليمين.

أما على الوجه الثاني، فهناك ثلاث حيّات متموجات منسابات لا غير. وهي حيّات محفورة حفراً، وليست مثقبة تثقيباً كما هي الحال في الوجه الأول. وهي مختلفة الحجم. ويظهر هذا الاختلاف في حجم الرأس على وجه الخصوص. فالرأس الأضخم هو رأس الحيّة التي تقع في الوسط. أما الحيّة اليمنى، فرأسها متوسط الحجم، في حين أن رأس الحيّة اليسرى أضأل وأنحل. ومن الواضح أن من حفر الحيّات كان يريد أن يجعلنا نرى الفرق في أحجام الحيّات من خلال أحجام رؤوسها أساساً.

هذا هو كل ما تقدمه لنا التعويذة على وجهيها.
فهل نحن مع خربشات ضئيلة المعنى على قطعة من ناب ماموث، أم أننا مع «نص سمين» كتب قبل أكثر من 20 ألف سنة، ونظّمت أشكاله و«أرقامه» بشكل منطقي، وأن بالإمكان الكشف عن هذا المنطق، والحصول على المعلومات التي يحويها؟
نحن نحكم أنه نص منطقي، وأنه يحوي ثروة من المعلومات عن العصر الحجري القديم الأعلى (حقاً) ومواقيته. كما نحكم بأننا نستطيع أن نفهم هذا النص وأن نفكّ ألغازه.

الرقم 243

إذن فقد مات طفل سيبيريا قبل أكثر من 20 ألف سنة، لكن اللغز الذي كان معلقاً في عنقه أشغل الباحثين والهواة في الكرة الأرضية بمجملها منذ ما يقرب من مئة عام. وقد ظل الرقم 243، رقم اللولب الكبير، دوماً مركز هذا اللغز وبابه معاً. فكل محاولة لحل اللغز، يجب أن تبدأ منه. ذلك أن الثقوب الـ 243 أرقام كما نفترض، وأن لغة الأرقام ظلت كما هي منذ أن اخترعت. بالتالي، فنحن نستطيع فهمها بقدر من التأكيد والوثوق. ويمكن لي بناء على ذلك القول إن القطعة تطرح الأسئلة التالية:
1- ماذا تمثل اللوالب الحلزونية على الوجه الأول؟ أي ما الذي رسمه الحفار حين رسم اللوالب؟
2- لم يأخذ الرقم 243 شكل لولب كبير، أو حلزون، وليس شكلاً آخر؟ وبتعبير آخر: هل هناك علاقة بين الرقم 243 وبين الشكل اللولبي الذي يتخذه؟ أو بعبارة أكثر عمومية، هل هناك من رابط بين الأشكال على القطعة والأرقام التي تكونها، أم أنّ لا رابط بينهما؟
3- ما علاقة الحيّات المنسابات على الوجه الثاني بالحلزونات على الوجه الأول؟ هل هناك علاقة، أم أن كل واحد يسبح في عالمه الخاص؟ ويمكن صوغ السؤال على النحو التالي: ما علاقة الحيّات بالأرقام التي على الوجه الأول؟ أي ما علاقتها بالرقم 243 على وجه الخصوص؟ هل يعبر هذا الرقم عنها أيضاً، أم أنه مرتبط باللوالب الحلزونية فقط؟
وأنا أعتقد أن الإجابة على السؤال الأول «ماذا تمثل اللوالب الحلزونية؟» هي المفتاح. وإن أجبنا إجابة سليمة عليه، فسينفتح لنا باب القطعة في ما أظن.
أما إجابتي على هذا السؤال، فهي التالية: اللوالب الحلزونية على الوجه الأول تمثّل حيّات متطوّيات، متلوّيات، مترحّيات coiled snakes. نعم هكذا: اللوالب حيّات متطويات. وإن صح هذا، فإن لدينا في القطعة حيّات متطوّيات على الوجه الأول، وحيّات منسابات متموجات على الوجه الثاني. وبما أن التطوّي هو حركة البيات الشتوي للحيات، فإنه يكون لدينا حيّات في بياتهن على الوجه الأول، وحيّات خارج هذا البيات على الوجه الثاني. بذا، فالتعويذة تصور لنا وجهين متعاكسين متضادين:
1- وجه يمثل فترة بيات الحيّات وتطويهن ونومهن.
2- وجه يمثل فترة خروج الحيّات من هذا البيات.
هذا هو الاستخلاص المنطقي البدئي. وإذا صح هذا الاستخلاص، فهو يعني أن الثقوب الـ 243 التي تشكّل اللولب المركزي تمثل فترة تطوي الحيّات، أي فترة بياتها الشتوي. بالتالي، ففترة البيات تساوي 243 يوماً من سنة لا نعرف مقدارها بعد.
نعم، هكذا. هناك سنة لا نعرف مقدارها، بها فترة تبيت فيها الحيّات 243 يوماً. وإن صح هذا، نكون قد وضعنا المفتاح في قفل القطعة ودوّرناه.
وفي الحق، فإن كثيرين قبلنا فهموا أن الثقوب في الإبزيم تساوي أياماً في روزنامة ما، في توقيت ما. لكن الجديد الذي أضفناه هو أن الرقم 243 مرتبط بتطوّي الحيّة وبياتها. إنه رقم الحيّات في بياتها. أو هو روزنامة بيات الحيّات.
أعرف بالطبع أن الرقم 243 يبدو فترة طويلة لبيات الحيّات. فالحيّات الواقعيات لا تبيت بهذا المقدار. لكنني سأعرض لهذه المسألة لاحقاً. ويمكنني أن أشير الآن فقط إلى أن الحيّات هنا استعارة لشيء سنتعرف إليه لاحقاً. إنها حيّات استعارية وليست حقيقية. بناء عليه، فلنتقبل، مؤقتاً على الأقل، أن هناك فترة بيات للحيات مكونة من 243 يوماً.
انطلاقاً من هذه الفرضية، فالحية المتطوية والرقم 243 متضامنان، يشكلان شيئاً واحداً: الحيّة المتطوية تساوي 243 يوماً، والرقم 243 يوماً يساوي حيّة متطوية.

الرقم 244

إذن، يبدو أنه كانت هناك روزنامة في مالتا في سيبيريا فيها فترة بيات تساوي 243 يوماً. لكننا لا نعرف مقدار هذه السنة، كما أننا لا نعرف عدد أيام الفترة المضادة لفترة البيات التي نفترضها، أي فترة الخروج من البيات التي يبدو أن الحيّات المنسابات على الوجه الثاني تمثلها. لكنّ التساؤل عن الرقم 244 على جانبي اللولب الكبير ربما فتح لنا باباً لزيادة معرفتنا عن سنة مالتا هذه. والسؤال هو: لماذا يزيد هذا العدد برقم واحد فقط عن الرقم 243؟ وما معنى هذه الزيادة؟ ثم لماذا ينقسم الرقم 244 إلى رقمين متساويين على الجانبين: 122 و 122؟
قد يفترض المرء أن الرقم الزائد وجد نتيجة خطأ في العد، عقب انكسار القطعة وإعادة ترقيم القسم المتكسّر منها. إذ إن جزءاً من القطعة تحطّم، وأعيد بناؤه بالشمع وترقيمه، كما ذكرنا من قبل. وهذه الفرضية تعني أن الرقم الأصلي على الجانبين يجب أن يكون هو الرقم 243 بالضبط. لكن هذا الفرض يحطم فكرة المساواة والانتظام التي يبدو أن الوجه الأمامي للتعويذة بني عليها. فحذف الرقم (الزائد) يوجب أن نكون مع رقمين مختلفين على الجانبين: أي مع 122 و 121. وهذا كسر للتناظر والمساواة في قطعة يبدو أن التناظر مهم فيها. لذا، دعنا نجرب أن نتقبل وجود الرقم 244، وأن نقبل أصالته. فلعل هذا يدفعنا خطوة أخرى إلى الأمام لفك صندوق الألغاز الذي أمامنا.

مشكلة الكسر

وانطلاقاً من القبول بالرقم، فأنا أقترح أن حافر الروزنامة، أو مصممها، كان عبر الرقم 122 المكرر على الجانبين يقسم لنا الرقم 243، أي رقم الحلزون الكبير، إلى قسمين متساويين. أي كان يخبرنا في الواقع أن رقم اللولب الكبير، رقم الحيّة الكبيرة المتطوية، يساوي قسمين متساويين من سنة مالتا، لا قسماً واحداً فقط. وهو ما يعني أن فترة البيات المكونة من 243 يوماً تساوي قسمين من أقسام سنة مالتا التي لا نعرف مقدارها بعد. بذا، فالرقم 243 ليس كتلة واحدة، بل كتلتان اثنتان متساويتان ضُمتا إلى بعضهما. وهذه، إن صح ما أفترضه، معلومة مهمة أخرى مهمة تبوح لنا بها تعويذة مالتا عبر الاستنتاج المنطقي.
لكن هناك مشكلة في هذا. فقسمة الرقم 243 على اثنين تعطينا الرقم 121,5 لا الرقم 122. فكيف نحلّ هذه المشكلة؟
للإجابة على هذا السؤال، ليس لنا سوى افتراض أن نصف الرقم الزائد نابع من عدم القدرة على كتابة الكسر. فأهل ذلك العصر كان يعرفون الكسر، لكنهم لا يملكون طريقة لكتابته. فلم يكن بإمكانهم مثلاً حفر نصف ثقب والقول: هذا نصف رقم. بالتالي، كان عليهم حين تواجههم مشكلة كسر أن يدوّروه، كي يصير رقماً تاماً، أو أن يحذفوه. وقد اختار مصمم تعويذة مالتا تدوير الكسر إلى رقم، أي أنه كتب 122 بدل 121,5. وهكذا حصلنا على الرقم الزائد على الجانبين، وصرنا بذلك مع الرقم 244 بدل 243. ولو أنه حذف الكسر وكتب 121، لكنا قد وصلنا إلى الرقم 242، إي إلى رقم ناقص. بذا فالرقم الزائد موجود لسبب تقني صرف، أو قل لسبب كتابي. فلم يكن لدى أهل مالتا في ذلك الوقت القدرة على التعبير عن الكسر كتابةً.
بناء على هذا، نستنتج أن أهل مالتا، وأهل ذلك العصر كله ربما، كانوا يرون أن فترة البيات المكونة من 243 يوماً، تساوي فصلين من فصول سنتهم. أي أن الحيّة تبيت فصلين كاملين يساوي كل منهما 121,5 يوم.
انطلاقاً من كل هذا، يبدو أن نص تعويذة مالتا أخذ يفتح لنا أبوابه لنا بشكل ما، فقد حصلنا منه على المعلومات التالية:
1- أن الحيّات المتطويات على الوجه الأول، تمثل فترة البيات،
2- أن الحيات المنسابات على الوجه الثاني تمثل فترة الانسياب والخرج من البيات.
2- أن فترة البيات تساوي 243 يوماً.
3- وهذه الفترة تساوي فصلين من فصول سنة مالتا، في كل فصل 121,5 يوم. بالتالي، ففصل سنة تعويذة مالتا مكون من 121,5.
4- ومن المحتمل أن تكون سنة مالتا مكونة من ثلاثة فصول في كل فصل 121,5 يوم. أي أنها مكونة من 364,5 يوم، وليس 365 يوماً.
5- وإذا صح هذا، فإن من المحتمل أن الفصل الثالث يمثل فترة الحيّات المنسابات. بذا فالحيات المتطويات تساوي 243 يوماً، والحيات المنسابات تساوي 121,5 يوماً.
إذا كان الأمر كذلك حقاً، فيبدو أن الكسر في روزنامة مالتا مركزي تماماً. فالسنة تنتهي بكسر (364,5)، والفصل ينتهي بكسر كذلك (121,5). لم تكن عندهم طريقة لكتابة الكسر، لكن الكسر كان في مركز تقويمهم. وهنا تكمن المفارقة: الذي لا طريقة لكتابته كان هو المركز. كان هو حجر الزاوية الذي بنى به البنّاؤون.
هذه سنة العصر الحجري القديم الأعلى Upper Paleolithic. لكن السؤال هو: هل كان أهل هذا العصر يطاردون الحيات كي يوقتوا؟
لا، لم يكن توقيتهم مطاردة للحيات في بياتها وخروجها منه. فقد استخدموا الحية كاستعارة لحركة الماء العذي السفلي الكوني. فقد كان لهذا الماء في اعتقادهم حركتان: حركة ثوران وخروج من الأعماق، ثم حركة عودة إلى الأعماق وسكون فيها. وقد شبهت هذه الحركة بحركة الحية. صار الماء السفلي حية والحية ماء. بذا فقد كانت الحية أول وأعظم استعارة في التاريخ. إنها أم الاستعارات كلها.
وإن أردت تفصيلاً، فعليك أن تذهب إلى كتابي «سنة الحية: روزنامات العصور الحجرية» الصادر عن «دار الناشر» في رام الله (فلسطين) والذي يوزع عبر «دار الأهلية» في عمان (الأردن).

* شاعر فلسطيني

Samedi 19 Février 2022 no7 1ère année
السبت 19 شباط 2022 العدد السابع السنة الأولى

القوس

www.alqaous.com

12 صفحة

نشرة أسبوعية مخصّصة للعدل والإنصاف

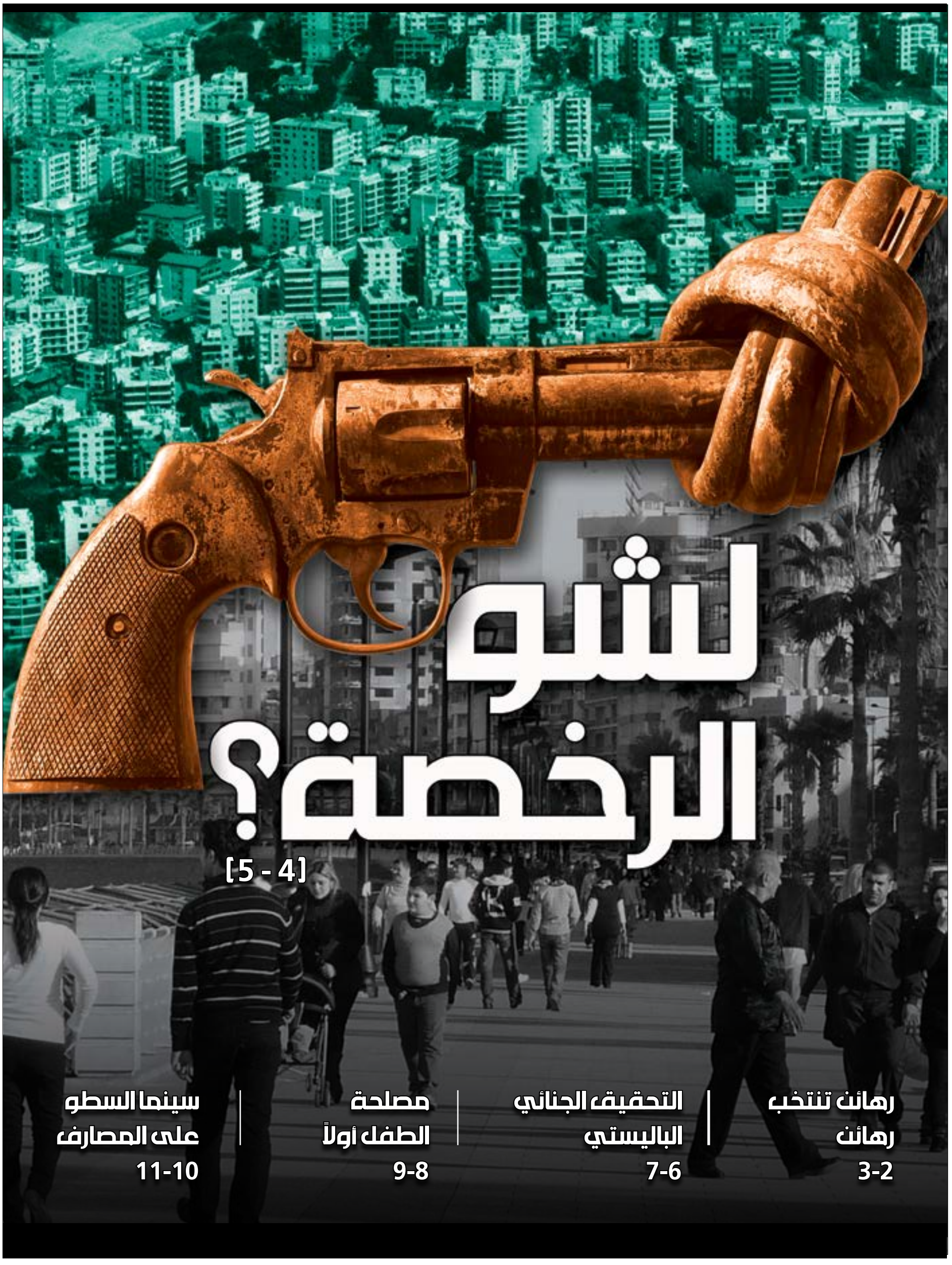

لشو الرخصة؟

[4 - 5]

رهائن تنتخب رهائن
3-2

التحقيق الجنائي الباليستي
7-6

مصلحة الطفل أولاً
9-8

سينما السطو على المصارف
11-10

في الواجهة

كان اسكندر رياشي من اوائل الذين اشاروا إلى دور المال، ليس في الانتخابات النيابية فقط، بل في تقرير مصير الدول. تكمن اهمية ما رواه رياشي في «اعترافاته»، حين عمل لصالح فرنسا لتركيز الانتداب الفرنسي في المناطق المعارضة له، وهي البقاع وطرابلس وبيروت والجنوب. ففي مقاله «قبضنا وقبّضنا وقبضايات» قال: «كان سكرتير المفوضية الفرنسية السياسي وخزندار الخمسة ملايين ونصف المليون جنيهاً يقول إنه اغلى سجل في العالم... إذ إن تواقيع الذين سجلوا تأييدهم لفرنسا عليه كلفت اكبر قيمة من الجنيهات»

المال عصب الانتخابات والحروب

رهائن تنتخب رهائن

■ جواد نديم عدره *

عام 1957 كان لبنان يمر في أزمة قد تكون، إلى حد ما، مشابهة لأزمات اليوم. كان تأثير جمال عبد الناصر ينمو في العالم العربي وكانت الحرب الباردة وحلف بغداد والمنافسة بين المعسكرين السوفياتي والاميركي على أشدها. يروي ويلبر كرين

2 مليار دولار حجم الإنفاق الانتخابي في الانتخابات النيابية عام 2009

إيفلاند في كتابه «حبال من رمال: فشل أميركا في الشرق الأوسط»، تفاصيل مثيرة، يعنينا منها موضوع الساعة: «الانتخابات النيابية». كانت انتخابات 1957، بحسب إيفلاند، مهمة للأميركيين لأنهم يريدون إفشال معارضي «مبدأ أيزنهاور»، وإيصال المؤيدين لسياستهم الخارجية، رغم أن كميل شمعون أبدى تخوفه من إسقاط رموز مهمة في المعارضة. ولكن يقول إيفلاند إنهم (أي، الأميركيين) خصصوا مبلغاً كبيراً من المال لتحقيق غرضهم وعقدوا اجتماعاً للتداول قرروا فيه اختيار أسماء مرشحيهم إلى المجلس النيابي، ومنهم شارل مالك مرشحاً عن المقعد الأرثوذكسي (كانت الكورة ممثلة بمقعد واحد والآن أصبحت ثلاثة)، وتأمنت الأموال التي حققت فوز هؤلاء المرشحين. نجح شارل مالك في الكورة بهامش كبير. ويؤكد إيفلاند أنهم دفعوا مصاريفاً انتخابية لشارل مالك وصلت إلى 75,000 ليرة لبنانية وكذلك 75,000 ليرة للمرشح المنافس (فؤاد غصن) كي ينسحب، وفقاً لما ورد في الكتاب. «صرفنا 150,000 ليرة لبنانية لشراء المقعد الأرثوذكسي في الكورة»، يقول إيفلاند، وهذا المبلغ يساوي نحو 1,2 مليون دولار اليوم. استناداً إلى الأبحاث والدراسات والمراقبة التي أجرتها «الدولية للمعلومات» في الانتخابات النيابية في عدد من الدوائر التي شهدت منافسة حادة في انتخابات العام 2009 في دائرتي الكورة وزحلة تبين لنا التالي:

■ **الكورة**:

- قُدرت ميزانية قوى الموالاة و14 آذار بين 12و15 مليون دولار أميركي.
- قُدرت ميزانية قوى المعارضة و8 آذار بنحو 1,7 مليون دولار.

■ **زحلة**

- قُدرت ميزانية قوى الموالاة و14 آذار بنحو 40 إلى 50 مليون دولار أميركي.
- قُدرت ميزانية قوى المعارضة و8 آذار بنحو 10 إلى 15 مليون دولار أميركي.

وهكذا يتبين أنه في منطقتين ساخنتين خُصصت قرابة 65 إلى 80 مليون دولار، أو ما يساوي أكثر من 30% من السقف المحدد للمصاريف الانتخابية في كل لبنان. ولم نتمكن من تحديد المبالغ التي صرفت لشراء الأصوات فقط. ورغم ذلك لم يلحظ المراقبون الدوليون أو المحليون ذلك أو مدى تأثيره على العملية الانتخابية. الجدير بالذكر، أن المعارضة والموالاة والمراقبين المحليين والدوليين تقبلوا النتائج وأشادوا بـ «نزاهة الانتخابات». وفي استطلاع لرأي الناخبين في انتخابات العام 2000 عبّر نحو 10% (وهي طبعاً أدنى من النسبة الواقعية) أن العامل الأهم للاقتراع هو المال والأمل بوظيفة أو مصلحة أو نكاية. وفي انتخابات العام 2005 أفاد 12% أن العامل الأهم الذي يدفعهم للاقتراع هي المصلحة المادية والوظيفة والنكاية.

تبقى الإشارة الأهم إلى حجم الإنفاق الانتخابي الأكبر في لبنان في تاريخ الانتخابات النيابية في العام 2009، إذ قدرت «الدولية للمعلومات» حجم الأموال التي حُوّلت إلى القوى السياسية، ولعلها لم تصرفها بالكامل، بنحو 2 مليار دولار وذلك بالاستناد إلى الارتفاع الكبير في ميزان المدفوعات مقارنة بالسنوات التي سبقت. قد يدّعي المراقبون الدوليون عدم وجود وثائق لديهم تبرهن على وجود هذه المخالفات والممارسات. ولكن ماذا عن الأموال التي دفعت من أموال الصناديق المختلفة مثل صندوق المهجرين ومجلس الجنوب والهيئة العليا للإغاثة، قبل الانتخابات تحديداً؟

كلنا نتذكر صور ضحايا أو «شهداء» الحرب الأهلية المعلقة على الجدران، وكيف كانت الاحزاب والميليشيات تتقاضى الأموال من ليبيا والعراق لاستمرار لهيب الحرب. فالمال هو الطاقة المدمرة في الانتخابات وفي الحروب، وهو العصب القاتل.

لا نعرف حتى الآن من سيمول، وكيف ستوزع الأموال في انتخابات 2022، وهل ستتوفر من الداخل أو من الخارج أو من الاثنين معاً؟

يبقى الاستنتاج الأساسي أن الانتخابات النيابية في لبنان ومنذ العام 1943 وحتى يومنا هذا، كناية عن رهائن تنتخب رهائن. رهائن المال والمصلحة والخوف والسلطة والخارج.

* الشريك التنفيذي في الدولية للمعلومات

سقف الإنفاق الانتخابي لكل مرشح وإجمالي الإنفاق لجميع المرشحين في إنتخابات العام 2018

الدائرة الانتخابية	عدد الناخبين المسجلين	سقف الانفاق الانتخابي المتاح قانوناً لكل مرشح ل.ل.	سقف الانفاق الانتخابي المتاح قانوناً لكل مرشح (بالدولار الأميركي)	عدد المرشحين في الدائرة	مجموع الانفاق الانتخابي المتاح قانوناً في الدائرة (بالدولار الأميركي)
النبطية، بنت جبيل، مرجعيون، حاصبيا	460,569	2,602,000,000	1,734,667	46	79,794,667
بيروت الثانية	353,414	2,066,000,000	1,377,333	83	114,318,667
طرابلس، المنية، الضنية	350,144	2,051,000,000	1,367,333	75	102,550,000
الشوف، عاليه	329,870	1,948,000,000	1,298,667	64	83,114,667
بعلبك والهرمل	315,644	1,877,000,000	1,251,333	47	58,812,667
الزهراني، صور	304,195	1,821,000,000	1,214,000	13	15,782,000
عكار	283,790	1,718,000,000	1,145,333	37	42,377,333
زغرتا، بشري، البترون، الكورة	249,416	1,547,000,000	1,031,333	38	39,190,667
المتن	179,919	1,199,000,000	799,333	35	27,976,667
كسروان، جبيل	176,710	1,184,000,000	789,333	38	29,994,667
زحلة	175,868	1,174,000,000	782,667	32	25,045,333
بعبدا	166,135	1,131,000,000	754,000	23	17,342,000
البقاع الغربي وراشيا	143,812	1,018,000,000	678,667	16	10,858,667
بيروت الأولى	134,736	972,000,000	648,000	33	21,384,000
صيدا، جزين	122,524	912,000,000	608,000	17	10,336,000
المجموع	**3,746,746**	**23,220,000,000**	**15,480,000**	**597**	**678,878,000**

المصدر: الشركة الدولية للمعلومات

سقف الإنفاق الانتخابي المتاح لكل مرشح في إنتخابات العام 2022 استنادا إلى عدد الناخبين المسجلة في كل دائرة إنتخابية كبرى

الدائرة الانتخابية	سقف الانفاق المتاح لكل مرشح (مليار ليرة)
بيروت الأولى	8,244
بيروت الثانية	20,051
جبل لبنان الاولى (جبيل وكسروان)	10,626
جبل لبنان الثانية (المتن)	10,678
جبل لبنان الثالثة (بعبدا)	10,1
جبل لبنان الرابعة (الشوف وعاليه)	18,828
الشمال الاولى (عكار)	16,954
الشمال الثانية (طرابلس والمنية والضنية)	20,376
الشمال الثالثة (زغرتا وبشري والبترون والكورة)	14,4
البقاع الاولى (زحلة)	10,686
البقاع الثانية (البقاع الغربي وراشيا)	9,196
البقاع الثالثة (بعلبك الهرمل)	18,564
الجنوب الاولى (صيدا وجزين)	7,966
الجنوب الثانية (الزهراني وصور)	17,931
الجنوب الثالثة (النبطية وبنت جبيل ومرجعيون وحاصبيا)	26,381

المصدر: الشركة الدولية للمعلومات استنادا إلى رفع سقف الإنفاق الانتخابي بموجب القانون النافذ حكما رقم 2021/8 والى اعداد الناخبين المسجلين في الدوائر الإنتخابية الكبرى الـ 15

سقف الإنفاق الانتخابي الكبير يشجّع على الرشوة وشراء الأصوات

شراء الأصوات في الانتخابات النيابية اللبنانية عادة قديمة يمنعها القانون اللبناني ويجرم الإقدام عليها. وفي سبيل الحد من الرشوة الانتخابية نصت قوانين الانتخابات النيابية في الأعوام 2009 و2018، والآن في 2022 على إنشاء هيئة للإشراف على الانتخابات النيابية، ولاسيما الرقابة على الإنفاق المالي. إذ فرضت فتح حساب مصرفي للحملة الانتخابية يتم إيداع الأموال والإنفاق من خلاله. لكن الكل يعرف أن الرقابة على هذا الإنفاق صعبة أو مستحيلة في لبنان نظراً لحركة السيولة النقدية الكبيرة، كما أن القانون بحد ذاته رفع سقف الإنفاق الانتخابي ما يشجع على شراء الأصوات. إذ كان السقف محدداً في قانون انتخابات العام 2009 الرقم 2008/25 بـ «قسم ثابت قدره 150 مليون ليرة للمرشح وقسم محرك مرتبط بعدد الناخبين في الدائرة الانتخابية محدد بـ 4 آلاف ليرة عن كل ناخب» (كان عدد الدوائر 26 دائرة وعدد الناخبين قليلاً). وفي قانون انتخاب العام 2018 الرقم 44/ 2017، حُدّد السقف بـ 150 مليوناً لكل مرشح و150 مليون ليرة لكل مرشح في لائحة، و5 آلاف ليرة عن كل ناخب مسجل في الدائرة الانتخابية الكبرى. (وقد ارتفع سقف الإنفاق لأن عدد الناخبين في كل دائرة في الدوائر الـ 15 أصبح كبيراً). وصل إجمالي الإنفاق المتاح في الدوائر الانتخابية قياساً إلى عدد المرشحين والناخبين إلى نحو 879 مليون دولار وفقاً لما هو مبين في الجدول رقم 1. وفي انتخابات العام 2022، عُدّل القانون السابق بموجب القانون النافذ حكماً الرقم 8 تاريخ 3-11-2021، وارتفع سقف الإنفاق إلى 750 مليون ليرة لكل مرشح و750 مليون ليرة لكل مرشح في لائحة و50 ألف ليرة عن كل ناخب مسجل في الدائرة الانتخابية الكبرى. يشجّع الإنفاق الانتخابي الكبير «القونن» على شراء الأصوات، ويبين الجدول التالي سقف الإنفاق المتاح لكل مرشح في الدوائر الانتخابية الـ 15. ارتفع سقف الإنفاق الثابت بنسبة 400 %، وارتفع سقف الإنفاق المتحرك بنسبة 900%.

(الدولية للمعلومات)

مع أن قانون انتخاب أعضاء مجلس النواب ذو الرقم 2017/44 قد نظّم سقف الإنفاق الانتخابي وحدده بدقة مع تحديد رسم الترشيح ومنع استلام مساهمات او مساعدات صادرة عن دولة اجنبية او عن شخص غير لبناني. إلا أن الناخب الفقير الذي يتحكّم مجهولون بمصيره لن يكون ناخباً مختاراً فالفقر يسيّره ولن يرى سبيلاً إلا انتخاب من يؤمّن له قوت يومه. وسيعرض صوته لمن يدفع أكثر

انتخابات الدولار

■ صادف علوية

بموجب القانون 2021/8 النافذ حكماً، عُدّلت المادة 45 من قانون الانتخاب بحيث أصبح رسم الترشيح محدداً بـ 30 مليون ليرة لبنانية (حوالى ألف دولار أميركي) بدلاً من 8 ملايين ليرة.

نظّم قانون الانتخاب المساهمة الانتخابية وعرّفها بانها «كل هبة او تبرع أو هدية نقدية أو عينية أو قرض او سلفة او دفعة مالية أو أي شيء له قيمة مادية تقدم للائحة أو للمرشح». ونص على عدم جواز تقديم أية مساهمة في الحملة الانتخابية لمرشح أو للائحة إلا من قبل الأشخاص الطبيعيين أو المعنويين اللبنانيين ومنع منعاً باتاً على المرشح أو اللائحة قبول أو استلام مساهمات أو مساعدات صادرة عن دولة أجنبية أو عن شخص غير لبناني، طبيعي أو معنوي، وذلك بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

كما نظم عملية النفقات الانتخابية المدفوعة من قبل اللائحة أو المرشح، ومنها على سبيل البيان لا الحصر:

- تأمين المكاتب الانتخابية وسائر نفقات هذه المكاتب.
- إقامة التجمعات والمهرجانات والاجتماعات العامة والمآدب ذات الغاية الانتخابية.
- النفقات المتعلقة بالتجهيزات المستعملة خلال الحملة.
- إعداد ونشر وتوزيع المواد الإعلامية والدعائية من كتب وكراريس ونشرات ومناشير ورسائل على شكل مطبوعات أو عبر وسائل البريد العادي أو الرقمي.
- إعداد وتوزيع الصور والملصقات واليافطات واللوحات الاعلانية وتعليقها.
- التعويضات والمخصصات المدفوعة نقداً أو عيناً للأشخاص العاملين في الحملة الانتخابية وللمندوبين.
- مصاريف نقل وانتقال عناصر الحملة الانتخابية والناخبين.
- مصاريف انتقال الناخبين من الخارج.
- نفقات الدعاية الانتخابية ونفقات استطلاعات الرأي.
- أية نفقات تدفع في سبيل الحملة الانتخابية إلى اي محطة بث إذاعية او تلفزيونية أو أية صحيفة أو مجلة أو وسيلة نشر أخرى بما فيها الإلكترونية.

تكون هذه المصاريف كلها ضمن سقف إنفاق انتخابي قدره 750 مليون ليرة أي ما يوازي 24 ألف دولار أميركي على سعر صرف 32250 ليرة للدولار الواحد، ومثلها للائحة، يضاف إليه قسم متحرك مرتبط بعدد الناخبين في الدائرة الانتخابية الكبرى التي ينتخب فيها وقدره وخمسون ألف ليرة لبنانية (ما يوازي 4 دولارات) (كان 5000 في العام 2018) عن كل ناخب من الناخبين المسجلين في قوائم الناخبين في الدائرة الانتخابية الكبرى.

إذا كانت الدائرة الانتخابية الكبرى تضم 150 الف ناخب، سيجاز للمرشح إنفاق 750 مليون ليرة إضافة إلى 22 مليار و500 مليون ليرة، أي أقل بقليل من مليون دولار أميركي وكذلك الأمر بالنسبة إلى الائحة.

تجدر الإشارة إلى أن التقديمات والمساعدات العينية والنقدية المقدمة أثناء الحملة الانتخابية لا تخضع للسقف الانتخابي، إذا كانت مقدمة من مرشحين أو مؤسسات يملكها أو يديرها مرشحون أو احزاب درجوا على تقديمها بذات الحجم والكمية بصورة اعتيادية ومنتظمة منذ ما لا يقل عن ثلاث سنوات قبل بدء فترة الحملة الانتخابية. أي أنه إذا كانت هذه الجهات تقدم هذه التقديمات منذ العام 2019،

يُمنع منعاً باتاً على المرشح أو اللائحة قبول أو استلام مساهمات أو مساعدات صادرة عن دولة اجنبية او عن شخص غير لبناني

يُجاز لها الاستمرار بتقديمها من دون أن تعتبر هذه النفقات ضمن سقف الإنفاق الانتخابي.

في السابق كان يُقال إنّ من يملك المال من المرشحين سيفوز، ولكن اليوم من يملك قرار إفقار الناس سيفوز حتماً. كلّما تم إفقار الناخبين سهُلت السيطرة على أصواتهم. وبمعنى أوضح، كلما زاد التلاعب بسعر صرف الليرة تجاه الدولار، سهلت مهمة السيطرة على أصوات الناخبين.

أربعة وأربعون

- **الرقم 44، قانون الانتخاب في سنة 2017**
- **الرقم 44، قانون انضمام لبنان إلى الاتفاقية الدولية للقضاء على التمييز العنصري بكافة أشكاله سنة 1971**
- **الرقم 44، قانون مكافحة تبييض الاموال وتمويل الارهاب سنة 2015**
- **الرقم 44، قانون الإجراءات الضريبية سنة 2008**

إنه مشهد سوريالي يلخّص ما سيحصل في تمويل الانتخابات النيابية المقبلة بسيطرة من العملة الخضراء لتكون الانتخابات المقبلة انتخابات سعر صرف الليرة بالدولار بامتياز.

◆ الضابطة العدلية

إعادة تنظيم ترخيص السلاح لمنع الإفلات من العقاب

32 قطعة سلاح فردي لكل 100 شخص، أي حوالى مليوني قطعة سلاح في لبنان، مقابل 7 قتلى و15 جريح في السنة الواحدة منذ عام 2010 نتيجة الرصاص «الطائش» وفوضى السلاح الفردي المتفلّت من أي ضوابط. بقي العدد الأكبر من مطلقي النار القاتل، عن قصد أو غير قصد، من دون ملاحقة قضائية جدّية حتى اليوم. النقص في التدقيق والتنظيم لدى منح رخص السلاح يصعّبان التحقيق الجنائي. فهل يمكن إعادة تنظيم إصدار رخص السلاح في ظل الظروف الصعبة التي تمر بها مؤسسات الدولة؟ علماً أن نسبة الجرائم المسلّحة ترتفع في ظل انتشار واسع للفقر والحرمان

(أرشيف ـ مروان طحطح)

■ احمد مدلج

خلال جنازة شاب توفي نتيجة رصاصة طائشة، أطلق أهالي المغدور النار في الهواء، فأصابت إحدى الرصاصات الطائشة رأس ولد كان على شرفة منزله، وأردته قتيلاً، والحلقة تتكرر. ظاهرة إطلاق النار في الهواء منتشرة خلال الجنائز والأعراس والنجاح في الامتحانات الرسمية. وتماشياً مع هذا كله، نجد مشهداً اعتاد عليه الشعب اللبناني، وهو إطلاق النار ابتهاجاً بعد كل خطاب سياسي بالرغم من مناشدة رؤساء الأحزاب لإدانة هذا الفعل ولعدم تكراره، كأمين عام حزب الله السيد حسن نصر الله خلال خطاباته عام 2007 و2008 و2013 و2015 و2016 ولكن لا حياة لمن تنادي.

تبوّنا الصراف البالغة من العمر سبعة أعوام ضحية رصاصة طائشة بعد احتفال تخرج ضابط من الكلية الحربية في عكار. حدث هذا في آب 2021، فتحت الضابطة العدلية تحقيقاً في الحادث، ولكن لم تتوصل إلى مطلق النار حتى اللحظة.

أحمد الكردي البالغ من العمر سبعة أعوام ضحية رصاصة طائشة في حارة الناعمة، تموز 2017 وما تزال القوى الأمنية تبحث في ملابسات الجريمة.

ياسين سيروان البالغ من العمر ستة أعوام ضحية إطلاق نار من سلاح صيد في الهرمل عن طريق الخطأ عام 2016. ألقت القوى الأمنية القبض على القاتل.

محمد عزالدين البالغ من العمر ثمانية أعوام ضحية رصاصة طائشة في الرأس، وذلك في منطقة النويري في بيروت، عقب إطلاق النار الذي جاء احتفالاً بصدور نتائج الشهادة الثانوية. لم تفتح القوى الأمنية تحقيقاً في الجريمة لأسباب مجهولة.

طلال إبراهيم ابن الثمانية أعوام ضحية رصاصة طائشة جراء إطلاق النار خلال إشكال وقع في الميناء، تموز 2020.

يبلغ المتوسط السنوي لعدد جرائم القتل في لبنان 232 جريمة، من ضمنها القتل نتيجة إطلاق النار في الهواء. عندئذ يتم المباشرة بالتحقيق من أجل إلقاء القبض على الفاعل، ولكن بالنسبة إلى استقصاء الضابطة العدلية في القتل نتيجة الرصاص الطائش فهي غالباً ما تكون بلا جدوى. تُقام عشرات التحقيقات في حق مجهولين، فالفاعل إما متنصّت ومسؤول حزبي لا يمكن التبليغ عنه خوفاً على سلامة المشتكي، أو هو أحد أقربائهم. كما أن الضابطة العدلية لا تمتلك قاعدة معلومات لازمة لمعرفة المجرم، كما في حالات إطلاق الرصاص في الهواء خلال حفلة رأس السنة من قبل عدة أشخاص في المكان ذاته.

«بكل بيت في سلاح»

يردد كل من يمتلك قطعة سلاح في لبنان لتبرير حيازته على مسدس أو بندقية بمقولة «بكل بيت في سلاح». «عادي ليش أنا ما بدي حط مسدس عندي بالبيت، صار ما صار ما بتعرف». فريد، ابن المصيطبة، الذي يحتفظ بمسدس وبكلاشنيكوف في شقته، اشترى تلك الأسلحة لأن جميع من يسكن في منطقته يقتني قطعة سلاح. اشترى ابن الخامسة والثلاثين أسلحته من دون حصوله على رخصة، عبر تاجر لا يمتلك رخصة بيع أسلحة، «لشو الرخصة مين بيسأل عنها او بيسترجي يسأل عنها؟».

أما عامر الذي يهوى السلاح من أيام طفولته، يشتري ويبيع الأسلحة منذ سنوات. «كل فترة بجب اشتري سلاح جديد. المفضل عندي هو غلوك HS2000 وأكيد الكلاشينكوف من بعد ما «نغله» ويصير لونه أسود مع كعبه الخشبي، بصير بياخد العقل، لوحة فنية». وعند سؤاله عن رخصة السلاح، رد عامر بسخرية: «لك روح يا عمي، الأسلحة منحذف منها الرقم والكل بيشتري وبيبع عادي. لبنان من أيام الحرب الأهلية لليوم الكل معه سلاح، وين المشكلة شو وقفت عليي؟»

إجراءات استخراج رخصة السلاح

تُعطى الرخصة من الغرفة العسكرية لوزارة الدفاع اللبناني لسنة واحدة ويجوز تجديدها. وتُعطى رخص بنادق الصيد مرة واحدة من وزارة الداخلية (مادة 24 من قانون الأسلحة والذخائر). أما الصيد البري فيقتضي الحصول على رخصة صيد من وزارة البيئة مستندة إلى رخصة قانونية يحمل السلاح من وزارة الدفاع الوطني لأسلحة الفئة الرابعة لصيد الطرائد المهبرة، ومن وزارة الداخلية والبلديات لأسلحة الفئة الخامسة لصيد الطيور البرية (قانون الصيد البري، رقم 580/2004)، مع الإشارة إلى أن قرار وزير البيئة رقم 2012/1/198 حول آلية استصدار آلية رخصة الصيد البري تنص على وجوب إبراز طالب الرخصة نسخة عن شهادة بنجاحه في امتحان الصيد البري صادرة عن أحد النوادي الخاصة المحددة من قبل وزير البيئة. يحق لكل مواطن لبناني بلغ الثامنة عشرة التقديم للحصول على رخصة حمل سلاح، (مادة 29 من قانون الأسلحة والذخائر). يشترط أن لا يكون طالب الرخصة: قد أصيب بأحد الأمراض العقلية، أن لا يكون محكوماً بحرمانه من الحقوق المدنية أو بجناية أو بجرم من الجرائم الشائنة، أن لا يكون محكوماً بمنعه من حمل السلاح أو بجرائم تمس بأمن الدولة. وإذا كان أجنبياً، يجب أن لا يكون تعرّض لمنع الإقامة أو الإخراج من البلاد وألا يكون محكوماً تكراراً من أجل مخالفة أحكام هذا المرسوم الاشتراعي. أما طلب رخصة سلاح فردي أو سلاح صيد فيجب أن يتضمن المستندات التالية: صورة عن الهوية أو إخراج قيد إفرادي، وصورة شمسية مصدقة، وإفادة سكن من مختار المحلة تبين رقم هاتف مقدم الطلب، وسجل عدلي. أما بالنسبة إلى سحب إجازة رخصة السلاح، فيحدث عند انتفاء أحد الشروط المطلوبة (مادة 31 من قانون الأسلحة والذخائر)، أوعند إطلاق عيارات نارية في الهواء، فيصادر السلاح في جميع الأحوال ويمنع الجاني من الاستحصال على رخصة أسلحة مدى الحياة (مادة 1 فقرة أ من قانون «تجريم إطلاق عيارات نارية في الهواء» رقم 2016/71).

> يبلغ المتوسط السنوي لعدد جرائم القتل في لبنان 232 جريمة، من ضمنها القتل نتيجة إطلاق النار في الهواء

(أرشيف ـ مروان طحطح)

بطبيعة الحال أدت أزمة لبنان الاقتصادية إلى تراجع مستوى التدريبات على استعمال السلاح من قبل الجيش والقوى الأمنية نظراً لشراء الأعتدة والرصاص بالدولار، من ثلاث دورات تدريبية في الشهر على الرماية بالرصاص الحي واستعمال السلاح، إلى دورة كل شهر أو شهرين عبر الرماية باستخدام أسلحة تعمل على الليزر وعبر بندقيات مختلفة علماً أن لكل بندقية مواصفاتها الخاصة.

فإذا كان التدريب على استعمال السلاح ملزماً للجيش والقوى الأمنية، فهو اختياري وليس ضرورياً بالنسبة إلى حامل رخصة السلاح. فالتدريب ليس من ضمن الشروط للحيازة على رخصة سلاح فردي. كيف لابن الثامنة عشرة أن يتقدم لاختبار قيادة السيارة بعد التدريب من أجل الحصول على الرخصة، وهو ليس ملزماً بالتدريب وبتقديم أي اختبار لرخصة حمل أداة قاتلة كالسلاح؟

قانون لمواكبة العصر

يفترض إثبات وجود وعي كاف للحصول على رخصة سلاح. فالرخصة ليست مجرد إثبات لقدرة الشخص على كيفية استعمال السلاح، بل على كيفية حمل السلاح وتنظيفه. مرت 22 سنة على آخر تعديل لقانون الأسلحة والذخائر. هل ما يزال هذا القانون رادعاً ومواكباً للتطورات الذي يشهدها البلد؟ ألا يجب مواكبة تطور الأسلحة ومفاهيمها التي تشهدها دول العالم؟

لا تشمل خصائص الرخصة التي يأخذها المواطن إلا نوع السلاح إذا كان مسدساً أم بندقية، وعدد المسدسات والبندقيات. ولكنها لا تتضمن رقم السلاح، وعدد ونوع الرصاص، ما يصعّب ملاحقة أي مرتكب جريمة عبر سلاحه الفردي لنقص في قاعدة المعلومات. يُفترض أن يُسجَّل نوع المسدس والبندقية، وكمية الذخيرة، ورقم السلاح ووضع رقم جديد في حال حذف الرقم الأساسي منه. وكذلك، يُفترض تحديد الحد الأعلى لكمية الذخيرة لكل رخصة. ألا تعزز تلك المعلومات والإجراءات تسهيل مراقبة حامل الرخصة في حال ارتكابه أي فعل جرمي؟ ألا تسهل عمل الضابطة العدلية لإلقاء القبض على الفاعل؟ ولماذا لا تؤخذ المعايير اللازمة لفحص أهلية مستخدم السلاح عبر مراقبته بعد أخذ الرخصة وإجراء فحوص طبية ونفسية دورية للتأكد من أهلية صاحب السلاح؟

دفاع عن النفس؟

يدّعي من يحمل السلاح أنهم اشتروه لـ «الدفاع عن النفس». ولكن القانون أوضح معنى «الدفاع المشروع» عن النفس، إذ يعتبره حقاً من حقوق الجميع ولكن بوجود شروط واضحة:

◀ أولاً، أن يوجد خطر على النفس أو الملكية وأن يكون الخطر واقعاً حالاً (لا يباح الدفاع إن كان الخطر احتمالياً في المستقبل) وأن يكون التعرض غير محق وغير مثار.

◀ ثانياً، يجب أن يكون الدفاع مواجهة لخطر التعرض وصد الاعتداء (إذا كان هناك إمكانية للجوء إلى أي سلطة عامة في الوقت المناسب، أو انتزاع السلاح الذي يُهدَّد به بدلاً من قتل المعتدي، تنتفي شروط الدفاع المشروع). ويجب أن يكون هناك توازن بين خطورة التعرض وجسامة فعل الدفاع (لا يجوز تجاوز فعل الدفاع كقتل أحد الأشخاص لأنه يسرق من ثمار الحديقة أو استعمال السلاح في وجه من يهدد دون سلاح).

إذا تحققت شروط الدفاع المشروع يعفى الفرد من العقاب بموجب المادتين 183 و184 من قانون العقوبات.

◆ المختبر الجنائي

التحقيق الجنائي الباليستي
من أطلق النار؟

نعم، اهرب واختبئ، إذا كان احدهم يطلق النار في الهواء ابتهاجاً او حزناً، وستقوم بـ «الواجبات» لاحقاً. حوادث الرصاص الطائش في لبنان حدّث ولا حرج، آخرها في احتفالات راس السنة. فبحسب قوى الامن الداخلي هناك 242 مشتبهاً بهم في إطلاق النار ليلة راس السنة، معظمهم لم يُتخذ إجراءات بحقهم او تُركوا بسند إقامة. ستستمر هذه الظاهرة في الازدياد في ظل عدم وجود رادع حقيقي وقوي يمنع اولئك المتهورين. بالاعتماد على العلم الجنائي الباليستي أثناء التحقيقات، يمكن للمحققين إعادة بناء الاحداث التي ادت إلى الإصابة بطلق ناري، وبالتالي تحديد مسار الطلقة وموقع مطلق النار وتقديمه للعدالة

(هيثم الموسوي)

رهن «مسار الطلقة»

لم تكن الرصاصة التي قتلت تلك الطفلة قد انطلقت انتقاماً، بل في ابتهاج مجموعة احتفلت بنجاح أحدهم. ولم يُقتل الاجئ السوري منتصف الليل في مخيم في بعلبك بسبب خلاف عائلي، ولكن برصاصة طائشة أُطلقت في الهواء احتفالاً برأس السنة.

مئات الضحايا لقوا حتفهم برصاص اطلق من اسلحة غير مشروعة في أعراس او جنازات أو نزاعات فردية بسيطة. ذنبهم الوحيد انهم كانوا في المكان الخطأ. بالرغم من موافقة مجلس النواب على القانون رقم 2016/71 الذي يجرّم إطلاق عيارات نارية بالهواء ويعاقب الرماة بالسجن، استمرت الظاهرة في الازدياد، ما أدى إلى سقوط المزيد من الضحايا. ببساطة، لن يكون هذا القانون رادعاً لأولئك المتهورين، إذا لم يكن هناك تحقيق جنائي بالستي دقيق يحدد الجناة ويقدّمهم للعدالة. يشير التحقيق الجنائي البالستي Forensic Ballistics إلى علم الأسلحة النارية والمقذوفات في ما يتعلق بإعادة بناء الأحداث التي أدت إلى الإصابة بطلق ناري، حيث يستخدم الخبراء جوانب تقنية مثل مسار الطلقة ومكان وجود الرصاصة والمظاريف الفارغة بشكل أساسي. من خلال تتبع مسار الرصاصة، يمكن للخبير تحديد موضع جسد الضحية وقت إطلاق النار وتقديم معلومات قيّمة للتحقيق كزاوية التأثير، وموقع مطلق النار وارتفاعه. كما يمكن للخبير تحديد مسافة إطلاق النار من خلال الفحص الدقيق لخصائص الطلقات النارية ومخلّفاتها، اعتماداً على نوع السلاح الناري والذخيرة.

مخلّفات إطلاق النار

يمكن أن يحدّد اختبار مخلفات إطلاق النار ما إذا كان الشخص قد أطلق عياراً نارياً أو كان على مقربة منه وقت إطلاق النار، فالمواد الكيميائية المكونة للطلقة (الرصاص، الباريوم، الأنتيمون)، المعادن، والبارود غير المحترق تستقر على الأسطح القريبة مثل جلد الإنسان وملابسه. ومع ذلك، قد تقلّل بعض القيود من القيمة الاثباتية لمخلفات إطلاق النار كدليل في قاعة المحكمة. أحد القيود هو قابلية تلك المواد بسهولة عن الجلد (أو أي سطح) من خلال غسل اليدين، أو ببساطة عن طريق وضع اليد في الجيب. لذلك، لا يمكن القول على وجه اليقين إن غياب مخلفات إطلاق النار عن يدي المشتبه به يدل على أن هذا الشخص لم يطلق النار.

قيد آخر هو عدم وجود دليل قاطع ما إذا كان وجود مخلفات إطلاق النار على يدي المشتبه به/الضحية يعني بالضرورة أنه هو من أقدم على إطلاق النار. الخبراء قادرون على إثبات وجود تلك الجزئيات على يدي أحدهم، إلّا انهم لا يستطيعون تحديد كيفية وصولها. يمكن تفسير وجود مخلفات إطلاق النار على يدي الشخص بثلاثة احتمالات: الأول، الشخص قام فعلاً بإطلاق النار من السلاح. الثاني، الشخص كان على مقربة من سلاح ناري تم إطلاق النار منه. الثالث، الشخص قام بلمس شيء يحتوي على مخلفات إطلاق النار، كطاولة مثلاً.

أمّا في لبنان، يجري الاعتماد على هذا الدليل الظرفي بشكل أساسي خلال التحقيقات الجنائية. فيُعتبَر وجود مخلفات إطلاق النار على يدي الضحية مثلاً دليلاً وثيقاً على أنها أقدمت على الانتحار، علماً أن سبب وجود تلك الجزئيات قد يكون قرب الضحية من السلاح الناري أثناء جريمة القتل المقبركة كانتحار. كما يتم تبرئة مشتبه بهم من جرائم قتل بسبب عدم تواجد تلك الجزئيات على أيديهم، ما قد يضلل التحقيق. من المفترض الحصول على عينات فحص مخلفات إطلاق النار عن اليدين فوراً في مكان وقوع الجريمة، لأن التأخير في الحصول على هذه العينات، أو حركات الجاني، أو غسل اليدين قبل جمعها سيدمّر بقايا جزيئات مخلفات الطلق.

■ إعداد جنان الخطيب

«توتير» مسرح الجريمة

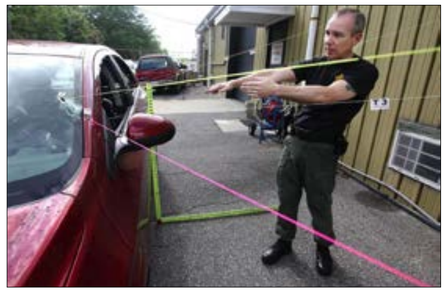

يستخدم الخبراء «الأوتار» في مسرح الجريمة بهدف تحديد مصدر تناثر الدم ومسار الرصاص. ويُعدّ «توتير» (stringing) مسرح الجريمة أثناء إعادة بناء الأحداث طريقة بسيطة وغير مكلفة ودقيقة نسبياً لإثبات مسار الرصاصة.

ومن أجل تحديد الموقع الدقيق لإطلاق النار، يطبّق الخبراء المعادلات الهندسية - باستخدام حساب المثلثات- لتحديد زوايا التأثير والتصادم ومسافة مطلق النار وارتفاعه. من ناحية أخرى، يظل استخدام الخيط أسلوباً واحداً فقط من بين عدة طرق لتحديد نقطة منشأ الطلقة النارية، حيث يُعدّ الليزر مفيداً جداً أيضاً في بعض مواقع الجريمة وأداة توضيحية ممتازة في المحكمة.

الرادع الأقوى

أثناء التحقيقات في حوادث الرصاص الطائش في لبنان، من المفترض الاعتماد على الطرق العلمية لتحديد مسار الطلقة وموقع وارتفاع مطلق النار. حسب المعايير المهنية، يُستخدم العلم الجنائي البالستي لرسم وتحليل المسار التقريبي للرصاصة، وتحديد ما إذا كانت رصاصة طائشة فعلاً، أم أن المجرم يتستّر وراء سيناريو مفبرك.

بالإضافة إلى نوع الطلقة والسلاح الناري، من المفترض أخذ عوامل عدة بعين الاعتبار يمكن أن تؤثر على حركة الرصاصة، كشدة الرياح ونسبة الرطوبة يوم الحادثة على سبيل المثال. أضف الى ذلك الزاوية التي أُطلقت النار منها، إذ إن سرعة الطلقة المرتدة تعتمد جزئياً على هذه الزاوية. فالرصاص الذي يُطلق بشكل مستقيم للأعلى يعود بسرعات منخفضة، أمّا تلك التي تُطلق بزاوية منخفضة وتتبع مساراً مكافئاً(Parabolic)، فتميل إلى أن تكون أكثر استقراراً من الناحية الديناميكية الهوائية. ويمكن أن تهبط على بعد عدة كيلومترات ، بما يكفي بحيث لا يُسمع صوت السلاح الذي أطلقها، وبالتالي لا يكون سبب الوفاة واضحاً على الفور.

من خلال تطبيق العلم الجنائي البالستي، يمكن للخبير تحديد المسار التقريبي للطلقة، زاوية الإطلاق، ارتفاع مطلق النار، سرعة الطلقة، والوقت والمسافة التي قطعتها. كل تلك المعلومات كفيلة بتحديد مطلق النار، وتشكل بالتالي الرادع الوحيد لتلك التصرفات المتهورة.

شيفرة جنائية

إذا تمكن المحققون من العثور على سلاح مشتبه به، يُجري الخبراء اختبار إطلاق النار (Test Fire) عبر جهاز معيّن للحصول على عينات مقارنة (Bullet recovery system). يسمح هذا للخبراء بإجراء المقارنة بين الرصاصة التي عُثر عليها في مسرح الجريمة وبين رصاصات المقارنة، لتحديد ما إذا كانت الرصاصة قد أطلقت من السلاح الناري المشتبه به. ينتقل الخبير في مقارنته من الخصائص العامة كالعيار ونمط الانطباعات إلى التفاصيل الفردية الناتجة عن العيوب في السلاح الناري والعلامات الناتجة عن التآكل أو التلف. يستخدم الخبراء «مجهر مقارنة» لمقارنة عينتين جنباً إلى جنب من خلال مجهرين ضوئيين مركبين، بنظام يسمى «الجسر البصري» الذي يتكون من المرايا والعدسات التي تسمح بمراقبة كلتا العينتين في وقت واحد.

بصمات باليستية

في كل مرة يتم فيها إطلاق النار، يترك السلاح الناري علامات مجهرية على الرصاصة والمظروف الفارغ، يطلق عليها عبارة «بصمات باليستية» (Ballistic Fingerprints). يعود هذا إلى أن أسطوانة السلاح الناري يحتوي على تجويفات وعُقد صغيرة تترك علامات على غلاف الطلقة، عند إطلاق رصاصة من خلالها، يمكن استخدامها وسيلة لتحديد طراز ونوع السلاح الناري.

أضف الى ذلك، يوجد داخل فوهة السلاح الناري عيوب يمكن أن تسبب صدوعاً/تشققات على الرصاصة. تلك الخصائص المنقولة من السلاح إلى الرصاصة وغلافها فريدة من نوعها، وتبدو في الواقع مثل الشيفرة، نظراً لنمط التصدعات والنقش والخدوش، حيث يمكن للخبراء تحليل هذه الأنماط من خلال إجراءات جنائية مختلفة.

180
متراً
في الثانية

إذا اخذنا في الاعتبار ان الرصاص المرتد لديه القدرة على الوصول إلى سرعة 180 متر في الثانية، وان السرعة النهائية للرصاصة التي تخترق الجلد تتراوح بين 45,1 و 60,0 متر في الثانية، وان الرصاص الذي ينتقل بسرعة اكثر من 60,0 متر في الثانية يمكنه اختراق الجمجمة، يمكن للرصاص المرتد، بالتالي، ان يسبب اختراقاً مزدوجاً للجمجمة، وليس ثقباً واحداً فقط.

أخطاء شائعة

المسار التقريبي

المسار المحدد لرصاصة هو في الواقع «تقريب» لمسار طيران الرصاصة. هذا المسار التقريبي ناتج عن دوران الرصاصة حول محورها بالإضافة إلى انعراج وانحراف مسارها مع زيادة المسافة. أضف إلى ذلك أن مسار الرصاصة يتأثر بعدد من المتغيرات التي تشمل نوع الرصاصة، وسرعتها (الأولية والنهائية)، وزاوية الانطلاق، وزاوية التأثير والمسافة، ونوعية الهدف، ودرجة الحرارة والرطوبة النسبية. وبالتالي، نادراً ما تؤثر الرصاصة على هدف ما في نفس الاتجاه بالضبط في كل مرة.

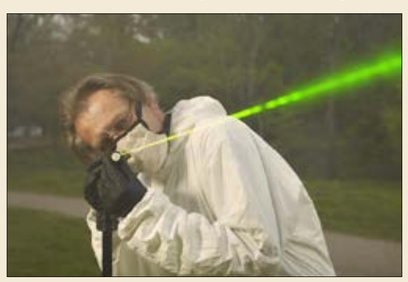

◆ في العمق

امٌ «انتُزع» منها طفلها بقرار من المحكمة الجعفريّة. نقرا العنوان بصيغ عديدة في وسائل الإعلام. تصويب الاتهامات سهل جدا. نجد مظاهرات وحملات، ثم مبادرات من جمعيات، ومقالات بالعشرات تتحدث عن «فساد» المحكمة الجعفرية. هل الموضوع بهذه البساطة حقاً، وهل سُلّط ضوء شامل عليه من جميع زواياه؟ ام إن المطلوب مهاجمة هذا الطرف او ذاك، من دون صورة واضحة للحل، ومن دون رغبة فيه ربما؟ كيف تجد هذه المشكلة حلاً ما لم تتفق الاطراف المعنية على تشخيص واضح وعادل لها؟ وكيف يمكن تشخيصها ما لم ننطلق من معطيات غير مسيسة؟ في بحث بياني اجرته «القوس» لاحظنا انّ الاهتمام بقضايا الاحوال الشخصية في المحاكم الجعفرية محكوم بتواريخ محددة وبهوامش زمنية واسعة جدا. يبدو اهتماماً مرتبطاً بأحداث متفرقة، لكنه لا يشغل بال الناس. لكن هل الصورة صادقة حقا؟ ماذا عن المتضررات من النساء؟ ماذا عن المتضررين من الرجال وانْ كانت النسبة اقل؟ والاهم، ماذا عن المتضررين الاهم: الاطفال الذين يُنتزعون من احد الوالدين، ليعيشوا في اسر مفكّكة؟

الأحوال الشخصية في المحكمة الجعفرية

مصلحة الطفل أولاً

(ارشيف ـ مروان طحطح)

■ إقبال زين

بموجب القرار رقم 3503 الصادر في 1926/1/30 عن حاكم لبنان الكبير: «يؤلف المسلمون الشيعيون في لبنان الكبير طائفة دينية مستقلة، ويحاكمون في مواد الأحوال الشخصية بموجب أحكام المذهب المعروف بالمذهب الجعفري أصبح للمذهب الشيعي قوانينه الخاصة». قضية الأحوال الشخصية إحدى أهم القضايا التي ترتبط بالحياة اليومية لجميع اللبنانيين على اختلاف طوائفهم، ولكن الهجوم يتركّز لأسباب عدة على المحكمة الجعفرية وحدها. ما سر هذه «الخصوصية»، لو جاز التعبير؟

عندما كانت قوانين الأحوال الشخصية عند المذهب الشيعي غير مقننة منذ عهد العثمانيين، صاغ رئيس المحكمة الجعفرية عام 1994 «دليل القضاء الجعفري» الذي ينظر في قضايا الزواج والطلاق والحضانة وغيرها من المسائل، غير أن حق الرجوع إلى تفسيرات ومرجعيات مختلفة مفتوح لدى القاضي. وأمام موجة المطالبة بإنهاء أشكال التمييز ضد المرأة في المحاكم الدينية وغير الدينية، وبالمساواة والعدل، كان لا بد من مواجهات «عنيفة» مع المحاكم الدينية، بخاصة الجعفرية، إذ يرونها المحكمة «الأبخل» من ناحية السماح للطفل بالبقاء مع أمه بعد الطلاق.

اسئلة وإشكاليات

تعتمد المحاكم الجعفرية الرأي الذي يقضي بانتقال حق الحضانة من الأم إلى الأب بعد بلوغ الطفل الذكر سنتين والأنثى سبع سنوات بحسب المادة (348) من قانون الأحوال الشخصية في دليل القضاء الجعفري. تُتَّهم المؤسسة الدينية بتعاملها «الذكوري» لدى البعض، ويرى البعض الآخر أن الموضوع «معقد» أكثر مما تظهره الوسائل الإعلامية. ثمة تساؤلات عدة: لماذا لا يرفع المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى سن حضانة الطفل الذكر، كما رفعته بقية المذاهب الإسلامية مثلاً؟ علمًا أن هناك فتاوى كثيرة في هذا الشأن وطالما أن المذهب الشيعي من المذاهب المرنة التي أبقت باب الاجتهاد مفتوحاً؟ هل توحيد قانون الأحوال الشخصية في لبنان هو الحل وسط التركيبة الطائفية الحالية للبلد؟ ولماذا فشلت تلك الممارسات في وضع حل جذري للموضوع؟

ذكورية ام استقلالية قضاء؟

هل تقع مسؤولية الممارسات «الظالمة» على عاتق المحكمة الدينية حصراً؟ تقول فرح: «لم يتدخل أحد من المحكمة الجعفرية او من علماء الدين عندما منعني طليقي من رؤية أولادي منذ 13 سنة». في المقابل يعلق الشيخ إسماعيل حريري، العضو في مكتب الوكيل الشرعي للسيد علي الخامنئي في لبنان، بالقول:«حق الرؤية مقدس في المحكمة الجعفرية، ولا يمكن للمحكمة أن تحرم أحد الوالدين من رؤية الطفل أبداً». ورداً على السؤال حول العقاب المفروض شرعاً إذا قام أحد الوالدين بمنع الطرف الآخر من حقه في الرؤية، يجيب حريري: «لا يوجد عقاب محدد». بدوره يرى المحامي محمد منتش أن المسؤولية والمحسوبيات وغياب العدالة في بعض القضايا يتخطى المحاكم الشرعية ليصل إلى المؤسسات المدنية. يعتبر منتش أن المشكلة الحقيقية هي في «النظام» بسبب «هيمنة السياسيين على القضاء ككل»، لأن تعيين القضاة مرتبط بالقوى السياسية الحاكمة،وهذه الاعتبارات موجودة في جميع المحاكم الدينية وغير الدينية.

مرجعيات مختلفة ومشكلات متشابهة

مع تأسيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى عام 1967، اتصلت تبعية المجلس بمرجعية النجف في العراق، أي مرجعية السيد علي السيستاني. الاختلاف بين الآراء الفقهية كالاختلاف الحاصل بفتوى الحضانة أمر شائع وطبيعي في الوسط الشيعي لأن خلاصات دراسة كل مرجع تختلف عن غيرها. في حديث خاص مع «القوس» أوضح السيد علي فضل الله، نجل السيد محمد حسين فضل الله أن عدم تغيير الفتوى المتبعة من المحكمة يرجع إلى رأي المرجع الديني الذي يعتمد من قبل المحكمة، وقال إنه «لا يمكن تغيير الفتوى المتبعة (سنتان للذكر وسبع سنوات للأنثى) إلا بصدور فتوى جديدة في هذا الشأن، أو بوفاة المرجع المتبع، فيتم عندئذ اختيار مرجع آخر بناء على قناعة من يتولى أمر المحكمة الشرعية». ولكن المفتي أحمد طالب يرى أن فتوى السيد السيستاني مجرد «حجة» لممارسات القاضي غير العادلة، ويعلل رأيه بأن السيد السيستاني نفسه لم يقفل باب الاجتهاد في فتواه، كما أن نفس القاضي الذي يعتمد فتوى السيد السيستاني في قضية طلاق، يعتمد فتوى مغايرة لها في قضية أخرى. وأوضح المفتي طالب أنه ليس لزاماً على القاضي الجعفري، أيّ قاضٍ في المحكمة، أن يتبع فتوى معينة لأنه مجتهد، أي هو «قادر على استنباط الحكم وليس مجبراً على الالتزام برأي ديني معين». لو كان القاضي مخيراً وحراً في اجتهاد ما يراه مناسباً، هل سيوصلنا رفع سن الحضانة إلى سيناريو بديل عمّا نحن فيه؟ ينفي المفتي الأمر لأنه يرى أن «الأمر متروك لمزاجية القاضي» الذي لا يبذل جهداً للعمل بروحية النص عوضاً عن اتباع النص الحرفي. من جهة ثانية، لا يرى السيد فضل الله أن موضوع الحضانة مجرد حكم شرعي تشريعي لأحد الأبوين بعيداً من مصلحة الطفل، لذا لا بد للقاضي أن يحدد الحضانة «بعد دراسة الظروف الموضوعية للطفل من خلال الاستعانة بأهل الخبرة والاختصاص من علماء التربية والنفس والاجتماع لتحديد المصلحة». يضيف السيد فضل الله أن بإمكان المرأة وضع شروطها في عقد القران، إذ يحق لها أن «تكون وكيلة على الزوج في طلاق نفسها ساعة تشاء وعند حدوث أمر بسيء إليها ويمكن أن تشترط لنفسها حق الحضانة فيما لو حصل طلاق، أو تكون الحضانة مناصفة». وتأخذ المحكمة هذه الشروط وتعمل بها أما على الصعيد الجماعي فيرى المفتي طالب أن الحل الجماعي بسيط، ولا يحتاج إلا إلى «ملء شغور رئاسة المجلس بشخصية عادلة مثقفة تربوياً واجتماعياً وليس فقط علمياً وفقهياً».

الحادة

998

من قانون اصول المحاكمات المدنية

يجوز حبس المحكوم عليه بتسليم ولد قاصر في حال الامتناع عن تسليمه.

لا بد للقاضي أن يحدد الحضانة بعد دراسة الظروف الموضوعية للطفل من خلال الاستعانة بأهل الخبرة والاختصاص من علماء التربية والنفس والاجتماع لتحديد المصلحة

الحوزة النسائية شريكة؟

«الواد مش بس نحفر قبر، نحنا مـــوؤودات ومحـــرومـــين من أقل حقوقنا الإنسانية»، تقول فرح التي ترى أن وجود قضاة عادلين في المحكمة الجعفرية استثناء وليس قاعدة. وتظهر امتعاضها تجاه غياب الصوت النسائي في المناصب الدينية. في مقابلة أجراها السيد محمد حسين فضل الله حول كتابه «دنيا المرأة»، اعتبر السيد أن المرأة هي الأكثر قدرة على تحسس مشاكل وآلام المرأة الأخرى، وما تعيشه من مشاعر سلبية تجاه المجتمع الذي يضطهد انسانيّتها. صحيح أن الشرع لا يسمح للمرأة أن تكون قاضياً، لكنه لم يمنع النساء العالمات بالدين والشريعة من المطالبة بحقوق المضطهدات. ترى فرح أن قبول الحوزة النسائية بالوضع القائم يصل إلى حد التواطؤ، لأن بإمكان المرأة العالمة القيام بحملات ضغط تدفع القاضي نحو خيارات عادلة، إذ «كيف يمكن أن نربي رجالاً لا يظلمون إذا لم تقم النساء بهذه الأدوار؟». يوافق المفتي أحمد طالب على الكلام ويتحفظ: «هذا الأمر ليس وارداً لأن توجيهات النساء الحوزويات قائمة على حسن التبعل الذي يمارسنه بشكل خاطئ عبر التنازل الدائم حتى عن حقوقهن».

الصحة النفسية ضحية.

حاولت «القوس» الوصول إلى شخص شهّرت زوجته به وحرمته من رؤية أطفاله، لكن أفاد شخص مقرب إليه بانه لا يرغب بالحديث عن الموضوع. هل يخجل الرجال من الظهور بشكل «ضعيف»؟ لماذا لا نراهم في وسائل الإعلام؟ تجيب المعالجة النفسية زهراء صاحب بأن الرجل ليس اقوى من المرأة سيكولوجياً، فكلاهما عرضة للاضطرابات النفسية بشكل متساوٍ إلى حد ما، لكن المجتمع والأعراف «تربي الرجال على القسوة وعلى ضرورة المبادرات في جميع القرارات العاطفية»، لذلك يعتبر الرجل نفسه اقوى من المرأة ولا يقدم على طلب الدعم النفسي حتى ولو كان بحاجة إليه. تتزايد الصدمة النفسية أضعافاً لدى الطفل نفسه الذي يكون في طور تكوين شخصيته وبنائه النفسي والفيزيولوجي والعاطفي خلال السنتين. تؤكد صاحب أن هذه الفترة العمرية هي من «أكثر الفترات التي يحتاج الطفل فيها أمه لأنه بحاجة إلى أخذ إجابات عن تساؤلاته تجاه الحياة». يؤكد حريري أنّ مكتب الوكيل الشرعي يأخذ هذا الأمر بالاعتبار و يحاول «أن يتم الانفصال بتراض وهدوء بين الوالدين للحفاظ على مصلحة الطفل ومصلحتهما». قد تختلف وجهات النظر ولكن الحرمان هو الحرمان، كما تؤكد صاحب. فحرمان الطفل من أحد والديه سيمنعه من تكوين فكرة سليمة عن العائلة، وقد يبرز عليه أعراض توتر وقلق وانخفاض في الطموح، كما يمكن أن يتدنى لديه مستوى التحصيل الدراسي. وأما بالنسبة إلى الأهل، فقد يشكل الحرمان لديهم صدمة عاطفية قوية، قد تأخذ وقتاً طويلاً للتعافي منها.

تصدّر المحكمة الشرعية الحكم بالرؤية، فيأخذه صاحب المصلحة إلى دائرة التنفيذ التي بدورها، وعبر النيابة العامة الاستئنافية، تستعين برجال قوى الأمن لتطبيق الحكم. هنا يمكن أن تدخل المحسوبيات السياسية ليسجل الشخص المطلوب «متوارياً عن الأنظار»، فيتعذر تطبيق الحكم، ويحرم احد الوالدين من رؤية الطفل بعد ان تتوقف ملاحقة الحاضن القانونية.

(هيثم الموسوي)

جمعيات وذكورية وأجندات...

تنقسم الجمعيات التي حاولت علاج الموضوع بين المطالبة برفع سن الحضانة عند الطائفة الشيعية ، وبين المطالبة باعتماد قانون مدني موحد للأحوال الشخصية. ولعل جزءاً كبيراً من التشتت في التصويب على تشخيص المشكلة يرجع إلى ظهور تعارض واضح بين المقاربتين. هذا فضلاً عن التشويش الذي يحدثه أثر الحديث حول الأجندات السياسية لجمعيات المجتمع المدني الممولة من وكالات الأمم المتحدة، والسفارات الأوروبية، والمؤسسات الدولية، والمنظمات غير الحكومية الدولية، وشركات القطاع الخاص الأجنبية التي ترفع هذه القضايا. تعكس الممارسات المنفصلة علاقة متوتّرة بين الحملات النسائية في لبنان، ما يجعل المقاربتين المطروحتين تصويان بشكل دائم ومستمر على حق الطفل بالبقاء مع أمه، لا مع الشخص الذي يقدم له الرعاية الأسلم والأفضل. إضافة إلى إظهار قضايا الحضانة إعلامياً على أنها خلافات شخصية بين الأم والأب وربطها بالتعامل الذكوري من دون تقديم أي مقاربات منهجية وموضوعية وقانونية للأمر. وفقاً للمتضررات، لا يمكن لوم النساء اللواتي يشهرن بالرجال والطائفة، لأنهن يائسات من مساعدة أي شخص، «في ناس بقولوا الجمعيات بيقبضوا. صراحة آخر همي، عالقليلة بيقبضوا وبيساعدوا». لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا: من المسؤول المباشر عن متابعة قضايا النساء المضطهدات في مجتمعاتنا؟ وكيف نشأ هذا الفراغ ليتيح فرصة ملئه لجمعيات مدعومة دولياً بهذه الطريقة؟ قد لا يعجبنا كلام فرح أو غيرها من المتضررات، ولكن أليس أولى من الامتعاض أو الرضا تقديم البديل؟

قانون مدني موحّد؟

تنوعت طروحات «قانون مدني موحد» للأحوال الشخصية، إلا ثمة إرباكاً يبرز دائماً: هل سيكون القانون اختيارياً أم إلزامياً؟ يعتقد الناشطون الحقوقيون أن القانون الاختياري لن يحل الأمر، بل سيجعل من المواطنين الذين يختارونه «طائفة جديدة». ويعللون بأنه لا يمكن للقانون الصادر عن السلطة الاشتراعية أن يكون اختيارياً، أي إن موافقة السلطة الاشتراعية عليه تقتضي بأن يصبح القانون المدني إلزامياً، والقانون الديني اختيارياً. إحدى أحدث اقتراحات القانون المدني للأحوال الشخصية روجت له منظمة «كفى» وتضمن:

-يطبق القانون على اللبنانيين وغير اللبنانيين المقيمين في الأراضي اللبنانية و تطبقه المحاكم المدنية حصراً

- يكتسب الأولاد الجنسية اللبنانية من والدهم أو والدتهم اللبنانيين بعد تسجيل الزواج

- سن الزواج القانوني للذكر أو للأنثى 18 سنة مكتملة

-يمنع أحد العاقدين من إتمام الزواج إذا كان أحدهما مرتبطاً بزواج سابق قائم

- اختلاف الدين بين العاقدين لا يشكل مانعًا للزواج

- يكتسب أي من العاقدين الجنسية اللبنانية في حال ارتباطه بلبناني أو لبنانية

-يلتزم الزوجين بالإنفاق المشترك على الأولاد وعلى البيت وعلى بعضهما وعلى من يقيم معهما في المنزل، كل بحسب قدرته

-يعتبر المنزل الزوجي مشتركًا ولا يجوز قسمته أو التصرف به إلا بعد وصول الأولاد إلى إنهاء دراستهم والوصول إلى مرحلة الكسب

-لا يقع الطلاق إلا بعد حكم صادر عن المحكمة المدنية المختصة

-يمكن لأحد الطرفين المطالبة بالطلاق للأسباب التالية: الخيانة الزوجية، العنف الأسري، الحكم بالسجن مدة تزيد عن ثلاث سنوات بجرم شائن، الترك الفعلي لمدة تزيد عن ثلاث سنوات. وفي حال حصل الطلاق لهذه الأسباب يحق للمتضرر المطالبة بالتعويض.

-السلطة الوالدية على الأولاد مشتركة بين الأهل طيلة فترة الحياة المشتركة وحتى بعد الانفصال، إلا إذا رأت المحكمة أن الحالة تستوجب إجراءات مخالفة.

حاليًا لا يوجد أفق لإقرار قانون مدني موحد للأحوال الشخصية في البرلمان اللبناني. فلو استثنينا خطاب المنظمات التوعوي تجاه فعالية هذا الطرح، لغاب عن المشهد أي خطاب ثابت آخر، وأي مواجهة قانونية مستمرة تقنع الناس به. تعليقاً حول أهلية القانون المدني لحل مشكلة الحضانة، يطرح منتش هذه الإشكالية: «إذا كان لديك مشكلة حقيقية في فساد النظام، تجعل تحقيق العدالة صعباً، ما الذي يضمن أن يطبق قانون مدني عادل وسط الفساد المستشري؟ فهل يطبق القانون المدني العادل في المحاكم المدنية الآن؟»

◆ جريمة في السينما

شفيق طبارة

تحولنا افلام السرقة، نحن المشاهدين، إلى شركاء في الجريمة. لمشاهدة هذه الافلام علاقة كبيرة بالمتعة المستمدة من مشاهدة اشخاص يتصرفون بخبرة ومهارة. تطلب منا قصص السرقة، بخاصة سرقة المصارف، نبذ الأخلاق التي نلتزم بها في حياتنا اليومية. الشخصيات الرئيسية مجرمون، يسرقون شيئاً ليس لهم في البداية. ولكنهم ابطالنا، نحثهم لارتكاب الجريمة. إنهم ساحرون، اذكياء، ماهرون، وسيمون، محترفون. ولاننا نتعاطف معهم، نشعر وكاننا منهم. نرى الاشياء كما يرونها، نضع انفسنا مكانهم. نحن الآن أعضاء في العصابة، ونريد إنهاء المهمة. لا عجب ان نستمر في الاستمتاع بافلام السرقة. قصص السرقة والعصابات وحدها تعطينا مساحة من التشويق غير المشروط وغير المباشر. قد لا يكون لدينا جراة سرقة قطعة حلوى من متجر صغير في الحياة العادية، ولكن عندما ندخل عالم افلام السرقة نشعر كيف سيكون عليه الحال حين نعيش ونعمل كمجرمين

سينما السطو على المصارف
ما نشتهيه ولا نفعله

هيكلية السرقة

مع أن عملية السرقة ذاتها وإطلاق النار وأخذ الرهائن تؤدي إلى الفوضى والعنف، إلا اللصوص أنفسهم خبراء ودقيقون في ما يفعلون، فلا مجال للخطأ. وهذا يثير «التعاطف الحركي»، حيث تثير جاذبيتنا مشاهدة عصابات أو لصوص يرتكبون سرقة معقدة، بإجراءات منسقة بدقة ويتعاون كبير. تتماشى هذه الدقة مع الحرفة المعتمدة لهيكلية السرقة. هناك صيغة ثلاثية الفعل لمعظم أفلام هذا النوع: التخطيط للسرقة (الجلوس مع المجرمين والتخطيط معهم)، كشف السرقة (التسلل إلى المصارف)، عواقب السرقة (المطاردة والتحقيقات). لكل فرد من العصابة دور محدد: العقل المدبر، الخبير الأمني والتكنولوجي، رجل العضلات، السائق وما إلى ذلك. تؤدي آلية التعاون والتفاهم المتبادل هذا إلى علاقة مثالية بين المجرمين، نحسدهم عليها أحياناً.

الخداع والانجذاب والراسمالية

الخداع هو الطبيعة الطموحة للسينما. والسرقة متجذرة في الخداع، وكمشاهدين نجد أنفسنا خلف الكواليس نخطط حول كيفية سير الأمور دقيقة بدقيقة. إلى جانب التواطؤ في الجريمة، فإن المعرفة والتواجد في حلقة الإتقان الكبير هذه يرضي لاوعينا البشري، ففي أعماقنا نريد أن نكون جزءاً من هذه السرقة بأنفسنا. تسمح لنا أفلام السرقة بأن نعيش بشكل غير مباشر كمجرمين، مغامرين يخالفون القانون بلا نية إيذاء أي شخص. هناك طابع رومنسي لقصص السرقة، إذ ننجذب إلى الأشخاص الذين يخالفون القانون. كل شخصية في أي فيلم تكون أروع عندما يكون لديها عيوب اجتماعية كثيرة. في أحيان كثيرة، نتعاطف مع لصوص البنوك أكثر مما نتعاطف مع الأشخاص الذين يحاولون القبض عليهم. ولكن أهم عنصر من عناصر التعاطف مع المجرمين وخاصة لصوص المصارف هو الرؤية المناهضة للرأسمالية. تكمن متعة السطو في مشاهدة نقل الثروة من شخص ثري إلى فقير. حيث يعمل الأبطال (اللصوص) الذين هزمتهم او خدعتهم الحياة لوضع الأمور في نصابها الصحيح، لا لأنفسهم فقط، بل لرهائن هذا النظام أيضاً.

> فيلم «عصر يوم قائظ» يشبه تقريباً ما حدث في جيب جنين، ولكن الفارق الوحيد ان البطل في الحياة الحقيقية كان يحاول استرجاع أمواله، وليس سرقة ما ليس له

■ بعد خمسين عاماً على سرقة البنك الذي يعمل به، تم التعرف على السارق/ تيد كونراد الذي كان يعرف باسم توماس راندلي ادلى باعتراف وهو على فراش الموت انه هو من سرق بنكاً في كليفلاند عام 1969. في احد ايام الجمعة في يوليو/تموز 1969، دخل كونراد، البالغ من العمر 20 عاماً آنذاك والذي كان يعمل موظفاً في بنك كليفلاند سوسيتي ناشونال بنك، إلى البنك في الصباح وخرج وهو يحمل 215000 دولار في كيس ورقي واختفى. لم يلاحظ احد ان الاموال مفقودة حتى يوم الاثنين التالي، عندما لم يحضر كونراد للعمل. المثير للاهتمام اكثر ان الجريمة وقعت بعد عام من بدء هوس كونراد بفيلم ستيف ماكوين «The Thomas Crown's Affair». اختفى كونراد وذهب إلى ولاية بوسطن وغير هويته وعاش هناك حتى اعترافه. وقال: «كنت مهووساً بالفيلم، وكنت كستيف ماكوين اشعر بالملل، فنظمت عملية السرقة من اجل المتعة فقط»

عنوانه الواضح والمباشر، «سرقة البنك» (1908) أول فيلم سينمائي عن سرقة المصارف. أحد الأفلام القليلة التي كان فيها الممثلون الذين يلعبون دور رجال القانون واللصوص، هم في الواقع رجال قانون ولصوص: كان ويليام تيلغمان مشيراً أميركياً مشهوراً ومحترماً على حدود أوكلاهوما؛ وكان آل جي جينينغز سارق قطارات مداناً بدأ بالتمثيل بعد أن أطلق سراحه من السجن.

«هيت» (1995) / Heat

شرعت مجموعة مجرمين محترفين بقيادة لص كبير يدعى نيل ماكولي (روبرت دي نيرو) في تنفيذ عملية سرقة أخيرة لبنك من شأنها أن تبعدهم دائماً من عالم الجريمة، وفي الجهة الثانية الشرطي فينسنت هانا (آل باتشينو) عازم على السير على خطى العصابة والقبض عليهم. «هيت» للمخرج مايكل مان، أحد أكثر الأفلام المعاصرة إثارة للاهتمام عن سرقة البنوك. مان يتألق حرفياً في الفيلم، في عمل لا تشوبه شائبة من حيث التمثيل والإيقاع السردي. يؤسس الفيلم علاقة بين اللص والشرطي ويعكس العيوب والبؤس ومخاوف كلا الجانبين. مشهد سرقة البنك وبعدها إطلاق النار والملاحقة في شوارع نيويورك أكثر مشهد حركة مروع في السنوات الأخيرة. «هيت» ليس فيلماً عن مواجهات بين الأخيار والأشرار، بل طريقة فهم كيفية تفكير الاثنين بشأن القانون والمؤسسات. اللصوص ليسوا قتلة، بل لديهم مبادئ أخلاقية ومهنية وحياة أسرية؛ والشرطي ليس مثالياً، بل لديه طموحات شخصية. ينغمس الاثنان في أزمة وجودية شخصية عميقة وتزيد رغبة الاثنين في الانتصار على بعضهما البعض.

أفلام سرقة المصارف كثيرة، ولكن العظيمة منها قليلة، إليكم بعضاً منها بتفاصيلها:

«عصر يوم قائظ» (1975) Dog Day Afternoon

مقتبس من عملية سطو حقيقة على بنك، ومن مقال في مجلة «لايف» بعنوان «الأولاد في البنك». حوّل المخرج الأميركي سيدني لوميت عملية السرقة واحتجاز الرهائن عام 1972، التي نفذها جون ڤويتوڤيتش وسلڤاتور ناتوريل في فرع تشيس مانهاتن في بروكلن، إلى تحفة سينمائية لا تنسى. خلق لوميت كرنڤالاً سينمائياً بين لصوص البنوك غير الأكفاء ولكن المتحمسين (آل باتشينو وجون كازال) الذين تحولت سرقتهم إلى سيرك شعبي واجتماعي اجتاح البلاد. عملية السرقة التي كان من المفترض أن تستغرق 10 دقائق، تحولت إلى مظاهرات شعبية مناهضة للاستبداد وتتحدى مؤسسات الدولة. دخل الرجلان إلى البنك، وتحولا من لصين إلى شخصين لطيفين بالنسبة إلى موظفي البنك والرهائن، فأصبحوا اصدقاء إلى درجة التحدث عن حياتهم الخاصة. وفي الخارج بينما الشرطة تحاصر المكان وتحاول المفاوضة، الجماهير في الشوارع تناصر اللصوص. ما حصل في الفيلم يشبه تقريباً ما حدث في جب جنين قبل أسابيع، ولكن الفارق الوحيد أن البطل في الحياة الحقيقية كان يحاول استرجاع أمواله، وليس سرقة ما ليس له.

■ لماذا تنكبد شركات الإنتاج عناء كتابة واختراع سرقة لتصوير فيلم، بينما يمكنها انتزاع واحدة مباشرة من عناوين الاخبار كل يوم؟

■ قال دولتن راسل (كليف اوين) في فيلم «إنسايد مان»: «لقد خططت وبدأت تنفيذ عملية سطو على البنك بشكل مثالي. الدافع المالي سبب بسيط للغاية، الدافع الاكبر هو لانني استطيع»

■ عندما دخل نيك ماكولي (روبرت دي نيرو) البنك مع العصابة لسرقته في فيلم «هيت»، اول جملة قالها للمودعين: «لا نريد ان نؤذي احدا! نحن هنا من اجل اموال البنك، لا اموالك. اموالك مؤمنة من الحكومة الفدرالية. لن تخسر عشرة سنتات! فكر بعائلتك، لا تخاطر بحياتك».

■ «السؤال الاكبر الذي لا إجابة له: اين المال؟»

■ السرقة: عملية الدخول إلى بنك مفتوح واستخراج الاموال بالقوة او التهديد باستخدام القوة. وتختلف عن السطو الذي يشكك اقتحام بنك مغلق.

«إنسايد مان» (2006) Inside Man

«عملية سرقة بنك مثالية» قالها لنا دولتن راسل (كليف أوين) في فيلم «إنسايد مان» للمخرج سبايك لي. كل شيء في الفيلم يحدث من وجهة نظر اللص. لا يُسرق شيء تقريباً من البنك، وكل شيء مسألة افتراضات. فيلم كلاسيكي للغاية في قصته، والأكشن غائب تقريباً. يعتمد كل شيء على التدرج في السرد في نص ذكي ونادر. قصة الفيلم تتلخص في ما يلي: يدخل لصوص لسرقة بنك، يأخذون الرهائن، يفاوضون الشرطة، ثم يخرجون من البنك من دون أن يلاحظهم أحد، كأن شيئاً لم يحدث!

«ريفيفي» (1955) / RIFIFI

"ريفيفي" فيلم السرقة للمخرج الأميركي جولز داسان الذي كان على قائمة هوليوود السوداء، سافر إلى فرنسا لإكمال مشواره السينمائي. فيلم يضعكم في حالة من الترقب والتوتر في واقعيته الجميلة، متفوقاً على الأعمال المشابهة في هوليوود. المشهد الرئيسي «السرقة» غني بالتفاصيل لدرجة الواقعية. لمدة 22 دقيقة مشهد من دون حوار ولا موسيقى نفذ بدرجة عالية من الدقة. مشهد فتح خزنة بالوقت الفعلي وبالطريقة الصحيحة. يبقيكم على أعصابكم طوال المدة ولكن التشويق لا ينتهي مع انتهاء السرقة، الفيلم متكامل بشخصياته الغامضة وواقعيته الجميلة لدرجة أن عملية السرقة الوهمية في الفيلم نفذت من قبل مجرمين حقيقيين في عمليات سرقة في جميع أنحاء العالم. هنا نرى أثر السينما الجميلة حتى على المجرمين أنفسهم.

عندما سأله مراسل فضولي عن سبب استمراره في سرقة البنوك لمدة أربعين عاماً، أجاب ويلي سوتون (1901–1980) سارق البنوك الشهير والمعروف باسم «سليكي ويلي» باقتضاب: «لأن هذا هو المكان الذي يوجد فيه المال».

القوس
■ فريق التحرير: عمر نشابة، صادق علوية، جنان الخطيب
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: رامي عليّان
info@alqaous.com
www.alqaous.com
alqaous alqaous22 alqaous al_qaous 01/34 99 54 صادرة عن شركة أخبار بيروت